د. علي عبد المنعم شعيب

تاريخ لبنان

من الاحتلال إلى الجلاء

١٩١٨ - ١٩٤٦



شعب لبنان يحرز انتصاراً وطنياً رائعاً بوعيه واتحاده ونضاله

كاملة معززة والغاء جميع التدابير والقرارات

جماهير لبنان تنزل الشارع في سبيل دستورها وكرامتها

العشرة الجديدة في تاريخ لبنان

وهم حوادث النضال الوطني الكبير

السياسيين وتعيين

LIBAN

POSTE AERIENNE

50P

د. علي عبد المنعم شعيب

تاريخ لبنان

من الاحتلال إلى الجلاء

١٩١٨ - ١٩٤٦

الفارابي

١٩٩٠

الكتاب: تاريخ لبنان
من الاحتلال إلى الجلاء
١٩١٨ - ١٩٤٦

المؤلف: د. علي عبد المنعم شعيب

الناشر: دار الفارابي - بيروت - لبنان
ص. ب.: ١١/٣١٨١ - ت: ٣٠٥٥٢٠

التنضيد: شركة المطبوعات اللبنانية ش. م. ل

الطبعة: الأولى/ تشرين الثاني/ ١٩٩٠

تصميم الغلاف: نجاح طاهر

فهرس المحتويات

القسم الرابع

الصراع البريطاني الفرنسي في لبنان ونتائجه

١٩٣٩ - ١٩٤٣

القسم الخامس

لبنان من الاستقلال إلى الجلاء

١٩٤٣ - ١٩٤٦

الملاحق

مقدمة

يعالج هذا الكتاب مرحلة مهمة من تاريخ لبنان المعاصر كانت حافلة بالصراع الدولي من أجل السيطرة على الشرق العربي . فيها تحركت المحاور العربية ومعها تفاعلت الأوضاع الداخلية حتى راحت بعض الطوائف الدينية تنزع إلى لعب دور الأمة القومية ضمن الدائرة الاستعمارية المرسومة لها .

لقد صدرت وفرة من الكتب القيمة والأبحاث العلمية التي تناولت تاريخ لبنان السياسي المعاصر . لكن هذا الكتاب يطرح آفاقاً جديدة للبحث ويتضمن الكثير عن تفاصيل أحداث لم تنشر من قبل . فقد اعتمدنا على مصادر اجنبية وعربية جديدة . ففي وثائق وزارة الخارجية البريطانية الكثير مما لم ينشر عن لبنان بأية لغة حتى الآن . وكذلك في أرشيف عصبة الأمم في جنيف .

في القسم الأول يتناول الكتاب بروز بعض الجمعيات الطائفية التي تحمل لواء الدعوة إلى أمة لبنانية والبعض الآخر إلى امة سورية . وكانت تلك الجمعيات منقسمة الولاء بين بريطانيا وفرنسا . مقابل ذلك كان فريقٌ كبيرٌ من المسلمين والأرثوذكس يحمل لواء القومية العربية ويرفع شعار الحرية . كان هدفهم وحدة المناطق السورية واستقلالها وانشاء دولة عربية كبرى تحتل مكاناً بين دول العالم كما في زمن العرب الغابر . في القسم الثاني تناولنا نشأة أهم الأحزاب وانظمتها وموقعها السياسي في الحياة السياسية اللبنانية والذهنيات التي ترعرعت فيها . جاء اختيار هذه الأحزاب على أساس تمثيلها لاتجاه سياسي . كما عالجنا في القسم الثالث من الكتاب الظروف التي مهدت لابرام معاهدة لبنانية فرنسية وردات الفعل الشعبية في لبنان عليها والموقف الرسمي الفرنسي منها .

كذلك تناولنا في القسم الرابع والخامس أسرار وخفايا الصراع البريطاني الفرنسي للاستئثار بالهيمنة على بلاد الشرق العربي وانعكاسات ذلك على المواثيق والوعود التي

اعطيت لقادة العمل الوطني في المنطقة . ولقد سهل ذلك الصراع قيام نضالات وطنية في لبنان وانجاز بعض المكاسب المهمة :

- اجراء انتخابات نيابية عام ١٩٤٣ دون ان يكون للسلطة الفرنسية حرية التصرف في فرض مرشحيها .
- اعلان استقلال لبنان .
- جلاء الجيوش الأجنبية الفرنسية والانكليزية .

في كل مراحل البحث اعتمدنا المنهج العلمي الموضوعي على أمل كشف مواطن الخلل الذي اعاق بناء الوطن وحال دون أن يصبح الشأن الوطني مسؤولية كل اللبنانيين .

الشرقية (النبطية) في ٢٧ نيسان ١٩٨٨

د. علي عبد المنعم شعيب

القسم الأول

لبنان من الولادة حتى المعاهدة

لبنان تحت الحكم الفرنسي المباشر

١٩١٨ - ١٩٣٦

أعقب الانتصار العسكري للحلفاء على الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى بداية فوضى سياسية وأحداث متداخلة في المنطقة العربية طالت العلاقات السياسية بين العرب والحلفاء. فيما شهد لبنان انقساماً بين مواطنيه نتيجة التدخل الفرنسي المباشر. فقد لقيت القوات الفرنسية التي نزلت على السواحل اللبنانية ترحيباً في بعض المناطق التي يتكون منها لبنان اليوم، ورفضاً شعبياً في سائر مناطق بلدان المشرق التي انضوت تحت قيادة الأمير فيصل بن الحسين صاحب المشروع الداعي لوحدة البلاد السورية.

بعدما جلت القوات العثمانية عن المشرق العربي في ٣٠ أيلول ١٩١٨ رفعت الراية العربية على دار الحكومة في دمشق وتولى الأمير سعيد الجزائري مهمة حفظ الأمن والنظام نيابة عن الأمير فيصل. وأبرق إلى جميع المدن اللبنانية والسورية يدعوهم إلى تشكيل حكومات عربية تدين بالولاء للأمير فيصل [١]. وتجاوباً مع الدعوة اذاع إسماعيل حقي بك والي بيروت أثناء انسحابه منها بياناً باللغة التركية إلى عموم المأمورين وجاء فيه «بناء على إعلان الحكومة العربية أصبحت المدينة أمام أمر واقع، فلقد عهد بإدارة أمور الحكومة إلى رئيس البلدية (عمر الداعوق)، فتجاه هذه الوضعية أصبحت وظيفتكم منتهية لذلك أطلعكم

---

(١) في تشرين الأول ١٩١٨ بعث سعيد الجزائري برسالة إلى رشيد نخلة قائد فرقة (الفدائيين اللبنانيين) «أعلنت سوريا الاستقلال العربي، شتتنا جيوش الترك، كل الوجوه تذهب إلى بعبدا لتشكيل حكم مطلق. الحمية العربية. انتم عرب قبل كل شيء. اقيموا المظاهرات. دخل مولانا الأمير فيصل ابن مولانا سلطان العرب الأول دمشق بمحفل لم تشهد له سوريا نظيراً. جيش العرب ملأ السهول والجبال. لا تخافوا بل ابطشوا بكل معاكس. أريقوا الدماء ولكن بعدل. احفظوا أرواح بقية ابناء المذاهب منهم، اخواننا في الوطنية. فليحي الاستقلال وليحي سلطان العرب. جاوبونا ماذا تصدعون الآن».

نخلة، رشيد: كتاب المنفى ص ٢٣٧ - ٢٣٨ بيروت - المكتبة العصرية ١٩٥٦.

على هذه التبدلات وأودعكم إياها» [٢] .

بادر عمر الداعوق إلى الاتفاق مع أعضاء المجلس البلدي على تشكيل حكومة مؤقتة تتولى إدارة الشؤون من حفظ الأمن والنظام والشؤون المعيشية . ووزعت الحكومة بياناً على الصحف حول تشكيلها فتحفظت هذه على نشره خوفاً من اجراءات يمكن أن يتخذها الفرنسيون فيما بعد . إلا أن هذه الحكومة لم تستمر إلا أياماً قليلة حتى أخذت حكومة جديدة دورها على المسرح السياسي اللبناني [٣] .

بعد أن دخل الأمير فيصل دمشق في أوائل تشرين الأول ١٩١٨ حمّل أحد المقربين إليه (ايليا خوري) مرسوماً إلى المسؤولين في المناطق اللبنانية يطالب بإعلان الاستقلال العربي وأرسل معه الراية العربية . وجرى رفع العلم العربي في بيروت بحضور عدد غفير من المواطنين في ساحة دار الحكومة . وكانت فاطمة محمصاني ، شقيقة محمود ومحمد محمصاني اللذين أعدمهما جمال باشا في ٦ أيار، قابضة على حبل السارية وألقى مصطفى الغلاييني كلمة باسم الحكومة مطالباً الشعب المحافظة على الراية العربية التي كلفت الكثير من الدماء والشهداء والتضحيات لأن الراية «هي شعار الاستقلال فعلى الشعب أن يستميت في سبيلها ليحسب في عداد الأمم الحية» [٤] .

إثر ذلك تشكلت حكومات محلية في العديد من المدن اللبنانية وسط ترحيب شعبي . وقف يومها رياض الصلح أمام قائد قوات الحلفاء في صيدا والقى خطاباً حدد فيه رأي الأهالي في مهمة تلك القوات : «اننا لا نستقبلكم كغزاة فاتحين بل نستقبلكم كضيوف عابرين . إننا نعرف تماماً معنى الضيافة وحدودها ، وواجباتها ، وبقي أن يعرف الضيف معنى تلك الضيافة وحدودها وواجباتها» [٥] .

شكل الأمير فيصل حكومة مركزية في دمشق على قاعدة العدالة والمساواة لجميع المواطنين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم . إنطلاقاً من هذه المبادىء قررت الحكومة تأسيس

(٢) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ص ٢١٨ دار النهار للنشر بيروت ١٩٧٧ الطبعة الثانية .

(٣) بيهم، محمد جميل: العهد المخضرم في سوريا ولبنان (١٩١٨ - ١٩٢٢) ص ٧٨ بيروت ١٩٦٨ .

(٤) جريدة البرق ٢١ تشرين الأول ١٩١٨ بيروت .

(٥) عندما دخلوا التاريخ: أعده وجمع فصوله ولاسي بروكوي ترجمه وكتب بعض فصوله ناصر الدين النشاشيبي وعليا الصلح النشاشيبي ص ٤٤ نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت ١٩٥٨ .

مجلس شورى من خمسة عشر عضواً وكان بينهم أحمد مختار بيهم وألفرد سرسق عن بيروت . وقد قوبل هذا القرار بالرفض من بعض القيادات اللبنانية الموالية للفرنسيين فيما وصفت صحيفة البيرق هذا المجلس بأنه تجاري لا يبشر بالخير [٦] .

لم يكن واضحاً في خضم الحماس الجماهيري للشعارات الوحدوية لدى العديد من منظري الدعوات الوحدوية أي تحديد لماهية المكان واهميته بالمنظار القومي ، وكان الطابع الاقليمي هو الأساس الذي يدفع هذه الدعوات سواء في المشرق العربي أو مغربه . فضلاً عن أن المطامح الشخصية لمعظم القيادات في تلك المرحلة لعبت دوراً كبيراً في تركيبة التحالفات على صعيد المنطقة العربية ، وطغت على المصلحة القومية العليا . فعندما أرسل الأمير فيصل الفريق شكري باشا الأيوبي كحاكم على بيروت وعلى أمل أن يرحب به الوحدويون والمسلمون البيروتيين اجتمع بعض الوجهاء منهم في منزل عمر بيهم وبعثوا برسالة إلى الأمير فيصل وَرد فيها «لا نقبل أن ترسل دمشق بواحد سوري» [٧] .

كان هاجس شكري باشا الأيوبي في بيروت الحصول على ثقة أهل جبل لبنان والتفافهم حول الحكومة العربية في دمشق . إذ أعلنَ عودة استقلال جبل لبنان وتعيين حبيب باشا السعد حاكماً عليه ليقسم يمين الولاء والاخلاص للشريف حسين . لم تدم حكومة الأيوبي غير عدة أيام اسوة بحكومة عمر الداعوق والحكومات العربية المؤقتة كمحصلة لاتفاق سايكس بيكو حيث استلم ادارة حكومة جبل لبنان الكولونيل الفرنسي Depiepape الذي عين من قبل قائد قوات الحلفاء في الشرق الجنرال اللّنبي . أمر الحاكم الجديد بانزال العلم العربي عن دار الحكومة في بيروت وبعبدا ورفع مكانه العلم الفرنسي . بذلك انتهت مهمة شكري باشا الأيوبي واستلم رجال الاحتلال دفّة الحكم على أن يبقى جميل بك الالشي في بيروت بوصفه معتمداً عربياً لدى الفرنسيين . ثم بادرت السلطات الفرنسية العسكرية إلى تثبيت مجلس إدارة جبل لبنان برئاسة حبيب باشا السعد . وكانت المفاجأة الثانية للأمير فيصل بعد طرد ممثله من بيروت تسلمه برقية من اللّنبي يطلب فيها التخلي عن أقضية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا إلى الحاكم الفرنسي بعد أن كان ممثلوه مارسوا مهام الادارة العربية فيها أكثر من اسبوعين فضلاً عن أن هذه الأقضية كانت تابعة لولاية دمشق في العهد العثماني . لم يكن أمام فيصل سوى تسليم ما طلب منه وأرسل برقيتين متتاليتين إلى اللّنبي يطالب فيهما بتشكيل لجنة استفتاء لأهالي تلك المناطق بخصوص مستقبل مناطقهم .

(٦) جريدة البرق ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨ بيروت .

(٧) مقابلة جرت مع تقي الدين الصلح في ١٦ شباط ١٩٧٨

عندما تكشفت نيات فرنسا الاستعمارية في بلدان المشرق وتضامن انكلترا معها بخلاف التزاماتها مع الشريف حسين مع بداية الحرب الأولى راحت الدولتان تعملان على التخفيف من الغضب الذي انتاب العرب نتيجة خيبة الأمل بوعودهما . وفي ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ صدر اعلان فرنسي انكليزي يتضمن وعداً للشعوب التي اضطهدها الأتراك بالاستقلال التام والنهائي ووعداً باقامة حكومات وادارات وطنية تستند إلى اختيار الأهالي [٨] .

أثار الاعلان ارتياحاً في الأوساط العربية بالرغم من الغموض في تفسير التصريح بما يخصُّ فلسطين التي كانت مهددة بالاستيطان الصهيوني . لكن هذا الارتياح أخذ يتلاشى عندما رفضت فرنسا الاستجابة لمشاريع الساسة الانكليز واعطاءهم الفرصة للتظاهر بالكرم مع العرب على حسابها بل راحت تستغل كل مناسبة من أجل تأكيد «حقوقها التاريخية» في بلدان المشرق وبث روح العداء بين الطوائف . واجه فيصل المؤامرة بالعمل على رص الصفوف بما يؤمن الوحدة الوطنية بين المواطنين على اختلاف طوائفهم . ففي ١١ تشرين ١٩١٨ ركز فيصل في خطاب القاه في حلب على أن «العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد» ومؤكداً أن الوحدة الوطنية هي قومية وليست دينية . «وحذر من القاء بذور الفتن بين المواطنين باسم الدين مهدداً بأشد العقاب كل من يقدم على ذلك» . كما طمأن السوريين إلى أن والده قرر «أن يجعل البلاد مناطق يطبق عليها قوانين خاصة بنسبة اطوار واحوال أهلها . فالبلاد الداخلية يكون لها قوانين ملائمة لموقعها والبلاد الساحلية أيضاً يكون لها قوانين طبق رغائب أهلها» [٩] .

لم يقتصر تحرك فيصل على حلب بل شمل طرابلس وبيروت التي استقبلته بحماس شديد رغم البلاغات الفرنسية بمنع التظاهرات يوم وصوله . في المدينتين شدد فيصل على الوحدة الوطنية وعلى روحية خطابه في حلب . لم تبدد تصريحات فيصل حالة الانقسام الشديد بين اللبنانيين بل بقيت الأكثرية الساحقة من المسلمين والأرثوذكس تطالب بالانضمام إلى الوحدة السورية بينما الكثرة الساحقة من المسيحيين وخاصة الموارنة ترفض هذه الوحدة وتطلب استقلال لبنان الموسع . لكن الأمير فيصل لم يفقد الأمل في توحيد البلاد السورية ما دام الحلفاء قد اخذوا على عاتقهم معالجة الأمور في مؤتمر الصلح وهم تعهدوا لوالده ، وعلى

(٨) **السعيد، أمين**: أسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين ص ٢٧١ دار الكتاب العربي .
(٩) **موسى، سليمان**: الحركة العربية (١٩٠٨ - ١٩٢٤) ص ٤١٤ دار النهار للنشر ١٩٧٧ .

الأقل بريطانيا ، باستقلال البلاد العربية تحت قيادته ، فضلاً عن تصريح الرئيس الأميركي ولسون باعطاء الشعوب التي كانت خاضعة للسلطنة العثمانية حق تقرير مصيرها .

موقف فرنسا وانصارها اللبنانيين من مستقبل سوريا .

في مطلع القرن العشرين كان انصار سوريا غير المجزأة قلة بين أصحاب الرأي والقرار في فرنسا . غير أن الأحداث الخارجية والداخلية التي شهدتها الدولة العثمانية خلال عامي ١٩١١ و١٩١٢ زادت من مخاوف الفرنسيين على مصير سوريا فتوحدت الرؤيا بين الكي دورسي ولجنة آسيا الفرنسية لتأمين سيطرة فرنسية على كامل بلاد الشام انطلاقاً من اعاقة تقسيم السلطنة آنياً بدلاً من التعجيل به . وكان الفريق المتقدم في الحزب الاستعماري عشية الحرب الأولى موجوداً في لجنة الشرق الأكثر تحرراً من لجنة آسيا الفرنسية . وكان رئيساه السناتور ايتيان فلاندان والنائب جورج ليغ يعتبران ترسيخ أقدام فرنسا في سوريا هو بمثابة تعزيز مهم لامبراطوريتها . عدا عن محازبي الحزب الاستعماري كانت قضية سوريا غير المجزأة مدعومة من قبل فريقين اساسيين في الرأي العام الفرنسي .

أولهما : فريق الوسط الكاثوليكي وكان شديد الايمان بالمبدأ القائل أن الله يعمل من خلال الافرنسيين في الشرق وكان المتحدث باسمه مؤسس مدارس الشرق المقتنعة «بضرورة عدم تحول ضريح سيدنا الأعظم ومغارته المقدسة وجميع الأماكن المقدسة في الانجيل وفي الكتاب المقدس إلى أيدي اللوثريين الألمان أو البروتستانت الانكليز بأي ثمن كان» يؤيد ذلك فريق غرفتي تجارة ليون ومرسيليا (المدعومتين من قبل غرف أخرى أقل منها اهتماماً بالشرق الأوسط) لكن لا مؤسسة مدارس الشرق ولا غرف التجارة كانت تحظى لدى الحكومة أو لدى الكي دورسي بالتأثير الذي كان يمارسه المناضلون الرئيسيون في الحزب الاستعماري . وحتى جماعة ليون كانوا يعتبرون دورهم عشية الانتصار تابعاً لدور فلاندان وشركائه . وقد كتب جان لبيين ، رئيس لجنة ليون الجديدة للمصالح الفرنسية في سوريا ، إلى فلاندان في تشرين الأول ١٩١٨ ليؤكد له انه «لن يعمل شيء من دون أخذ رأيكم» ويقترح انشاء هذه اللجنة كفرع محلي لتجمع وطني يديره فلاندان [١٠] .

عشية الحرب الأولى كانت سوريا الساحة الرئيسية للمنافسة الفرنسية البريطانية وهي الولاية التي بدت أفضل غنائم الحرب وقد خصصتها اتفاقية سايكس بيكو لفرنسا . في حين

(١٠) انظر جريدة السفير ٢٤ آذار ١٩٨٤ نقلاً عن (رولاسيون انترناسيونال) رقم ١٩ خريف ١٩٧٩ باريس .

وعد العرب بها خلال مباحثات سرية بين الشريف حسين ومكماهون المفوض السامي البريطاني في مصر .

كان أنصار سوريا غير المجزأة من الفرنسيين لا يكترثون كثيراً لاتفاقية سايكس بيكو التي جزأت سوريا مناطق نفوذ لفرنسا ولبريطانيا ، مراهنين على الطبيعة المؤقتة للاتفاقات المعقودة مع انكلترا وروسيا . بالمقابل كانوا مدركين بأن الحفاظ على وحدة بلاد سوريا يتطلب تنازلات في أماكن أخرى وهذا غير ممكن . وحسب لويد جورج فإن كليمنصو تنازل في مؤتمر لندن ، بداية كانون الأول ١٩١٨ ، عن فلسطين والموصل للانكليز ليحقق استراتيجيته العامة . «فقد بدأ متساهلاً في الشرق الأوسط آملاً بتسوية متوقعة في الراين ـ هدفه الأساسي في الحرب . . . وقد كان معلوماً أيضاً لكليمنصو أن انكلترا في مقابل فلسطين والموصل ، سوف تدعم بلا تحفظ المطالب الفرنسية في سوريا وكيليكيا وانها سوف تتقاسم مع فرنسا نفط الموصل» [١١] .

لم ترض تنازلات كليمنصو لبريطانيا انصار سوريا غير المجزأة . وفي تشرين الثاني ١٩١٨ قادت لجنة ليون لحماية المصالح الفرنسية في سوريا غير المجزأة حملة الرفض لاتفاقية سايكس بيكو وطالبت بالوصاية الفرنسية على هذه المنطقة .

وفي كانون الأول قدم نائب رئيس جمعية الدراسات الاستعمارية والبحرية Paul Bourdarie تقريراً حول المسألة السورية وتضمن ما يلي :

«إن الجمعية تعتبر الاشراف على كامل سوريا بما فيها لبنان وسوريا وفلسطين ـ مع الأماكن المقدسة ـ هو أمر منسجم مع المصالح الفرنسية ، ويؤمن لفرنسا موقعها كدولة كبرى اسلامية عربية . . .

إن الجمعية تدين انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لأنها لا ترى كيف يمكن ربط فكرة القومية بالفكرة الدينية . ان هذا الأمر يبدو مناقضاً لكل الأفكار السياسية الحديثة ، وبخاصة يبدو مغايراً للسياسة التي تتبعها فرنسا بالنسبة لمسلمي افريقيا الشمالية .

إن الانقسامات الدينية لا تسمح لسوريا بأن تكون قادرة على حكم نفسها بنفسها ضمن نظام جمهوري . ولا يوجد بالتالي أمير سوري يفي بالمقام ، وحتى إذا أردنا الاستعانة بأحد أفراد اسرة عبد القادر الجزائري ، فان ذلك يثير حتماً صراعاً بين العصبيات القبلية .

(١١) نفس المصدر .

من هنا يبدو من المفضل تعيين أمير مسيحي على لبنان وأمير مسلم على سوريا . . . . . . » [١٢] .

توجت نشاطات انصار سوريا غير المجزأة بمؤتمر لهم عقد في مرسيليا في ٣ كانون الثاني ١٩١٩ وبحضور ممثلين لبعض الجمعيات اللبنانية السورية منهم شكري غانم والدكتور جورج سمنه صاحب مجلة مراسلات الشرق الصادرة في باريس باللغة الفرنسية . شدد المجتمعون على أن تكون سوريا وعاصمتها دمشق محمية فرنسية وعلى هذا يجب تنظيمها [١٣] .

وكانت فرنسا ـ دون شك ـ ترتاب بشدة من محاولات بريطانيا للتملص من اتفاقها معها ولا سيما بعد تصريح وزارة الخارجية الانكليزية الذي طالب بمنح العنصر العربي الفرصة لاعادة تشكيل وحدته .

وبناء على ذلك أوعزت باريس إلى أنصارها في المشرق العربي وفي بلدان الأغتراب للعمل على كسب أكبر عدد من المطالبين بالحماية الفرنسية على هذه المنطقة . لكن ثمة ملاحظة أن هؤلاء الأنصار لم يكونوا موحدي الرؤى حول مستقبل سوريا وإن كانوا متفقين على الحماية الفرنسية . كان هناك تيارات لها مشروعها في سوريا غير المجزأة ، ولكن على أسس وتصورات مغايرة نسبياً لمشروع الأمير فيصل .

أبرز هذه التيارات ثلاثة :

١ ـ اللجنة المركزية السورية .
٢ ـ حزب الاتحاد السوري .
٣ ـ جمعية سوريا الجديدة الوطنية [١٤] .

وفي الاطار نفسه من اهتمامات فرنسا بالمغتربين اللبنانيين والسوريين راحت تعمل على سد النقص الحاصل في الدعاية بين أوساطهم . في ٢٥ نيسان ١٩١٧ دعا رئيس اللجنة الوطنية السورية شكري غانم المقيمين السوريين في باريس إلى اجتماع تقرر فيه ارسال الدكتور Lakah (كاثوليكي) من التابعية الفرنسية وجميل مردم بك إلى البرازيل للاتصال

(١٢) د. خليفة، عصام: ابحاث في تاريخ لبنان المعاصر ص ٧٦ دار الجيل بيروت ١٩٨٥

(١٣) - Eugene Jung : La révolte arabe P . 109 - 110 . Tome II Paris 1925 .

(١٤) د . خليفة، عصام: مصدر مذكور ص ٧٤ .

بالسوريين هناك وحملهم على تأييد الحماية الفرنسية على سوريا [١٥] . وقد زود الكي دورسي شكري غانم بمبلغ كبير من المال لتغطية نفقات مقالات تنشر في الصحافة الامريكية موجهة إلى المغتربين السوريين واللبنانيين . وتولت جريدة «الهدى» لصاحبها نعوم مكرزل، الصادرة في نيويورك باللغة العربية ، الدعوة إلى قيام لبنان المستقل تحت الوصاية الفرنسية .

تواجهت حملة أنصار فرنسا بين أوساط المغتربين في قارة أمريكا بحملة مضادة . فقد أصدر الصحفي سليمان بدور جريدة «البيان» بهدف الدفاع عن القضايا العربية والتصدي لطروحات جريدة الهدى المؤيدة للانتداب الفرنسي . في المكسيك أصدر يوسف شموني صحيفته «سوريا المتحدة» عام ١٩١٩ باللغة العربية . طالبت الصحيفة بضم سوريا إلى الامبراطورية العربية شرط الفصل بين السياسة والدين وإقامة المساواة بين المواطنين دون تمييز عرقي أو طائفي . وشكت الجريدة من ممارسات القنصلية الفرنسية في المكسيك لأنها رفضت اعطاء تأشيرات دخول للبنانيين والسوريين المناهضين للانتداب الفرنسي والراغبين بالعودة إلى وطنهم [١٦] .

في الأرجنتين اعلن في العام ١٩١٩ ولادة الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة الدكتور خليل سعادة (*) والعمداء يوسف المعلم وجبرائيل مجدلاني وخليل صائغ .

طالب الحزب بإقامة فيدرالية سياسية تضم لبنان وسوريا وفلسطين على قاعدة اللامركزية الادارية كما هو نظام الولايات الفدرالية الأميركية [١٧] .

أظهر الحزب الوطني الديمقراطي نشاطاً بارزاً في أوساط الجالية اللبنانية السورية في الأرجنتين . فقد نظم عدة لقاءات ثقافية واصدر مجلة (المجلة) التي دعت لسوريا غير المجزأة . وشكلت المجلة منبراً لطروحات مؤسس الحزب السوري القومي انطون سعادة .

مصير لبنان في لقاءات باريس ونتائجها .

في ٧ كانون الثاني ١٩١٩ ، وصل الأمير فيصل إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح يحدوه

---

(١٥) - Eugene Jung : La révolte arabe O.P. cité P. 56 .

انظر أيضاً توفيق فضل الله ضعوق : في وحي السبعين (١٨٨٣ - ١٩٥٣) ص ٢١١ - ٢١٢ - منشورات مطابع صادر - ريحاني بيروت ١٩٥٣ .

(١٦) جريدة «سوريا المتحدة» ١٧ أيار ١٩١٩ المكسيك

(١٧) - Ministère des affaires étrangers français (M.A.E.F)série(Syrie - Liban)N 56 le 12 Mars 1919 P 110 .

(*) يتهم مكتب المعلومات الفرنسي الدكتور خليل سعادة بالعمالة للانكليز .

الأمل بموافقة الحلفاء على منح البلدان العربية استقلالها تحت راية والده الشريف حسين . عقب وصوله أعلن رئيس الحكومة الفرنسية كلمنصو رفضه اشتراك فيصل في المؤتمر لكن توسط كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية أدى إلى تراجع كليمنصو عن موقفه لقاء وعد لويد جورج له بأن مشاركة الوفد الحجازي في المؤتمر لن يؤثر - بأي وجه - على الاتفاقات السابقة بين بلديهما حول الشرق [١٨] .

أما المعارضة الرديفة لتحركات فيصل فقد جاءت من «مجلس ادارة جبل لبنان» الذي اتخذ ، في كانون الأول ١٩١٨ ، قراراً يتضمن «استقلال لبنان بحدوده الأصلية أي بإعادة ما سلخ عنه في بروتوكول ١٨٦٤» [١٩] . وحمل هذا القرار إلى باريس وفد رسمي شكله مجلس الادارة برئاسة داوود عمون . ترافق ذلك مع اجتماع دعت إليه الجالية اللبنانية في باريس في ٥ كانون الثاني ١٩١٩ حيث اتخذت المقررات التالية :

١ - استقلال لبنان التام .

٢ - استرجاع وحدته الجغرافية في حدوده الطبيعية والتاريخية [٢٠] .

بوصول الوفد اللبناني إلى العاصمة الفرنسية صرح رئيسه داوود عمون إلى جريدة (التان) بأن الوفد يرفع المطالب المتفق عليها في مجلس ادارة الجبل وتتضمن التالي :

١ - استقلال لبنان .

٢ - اعادة حدوده التاريخية والطبيعية .

٣ - المساعدة الفرنسية .

وأوضح أن الحدود التاريخية والطبيعية للبنان تضم كل الأراضي الضرورية لوجوده [٢١] .

من جهة أخرى أرسل أعيان الموارنة في روميه عريضة إلى سفير فرنسا ورد فيها :

« . . . إننا نريد أن نكون شعباً مستقلاً بأوسع معاني الاستقلال تحت حماية فرنسا التي لم تكن تتوانى لحظة عن مساعدتنا منذ قرون كثيرة . . . » [٢٢] .

---

(١٨) زين نور الدين زين : مصدر مذكور ص ٩٨ .

(١٩) الخوري، بشارة: حقائق لبنانية الجزء الأول ص ٢٧٨ - ٢٧٩ - بيروت ١٩٦٠ .

(٢٠) - Journal officiel francais le 15 janvier 1919 Paris .

(٢١) - Journal « Le temps » le 15 Février 1919 Paris .

(٢٢) جريدة لسان الحال ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ .

في مؤتمر الصلح رفع الأمير فيصل مذكرة إلى المؤتمرين أوضح فيها حدود الدولة العربية التي يريدها تحت حكم والده وهي تقع إلى الجنوب من خط اسكندرونه ديار بكر ـ الحدود الفارسية حيث يؤلف سكانها شعباً متلاحم الانساب ولغته واحدة هي العربية (٢٣) .

وفي مذكرة لاحقة تاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩١٩ تطرق فيصل إلى موضوع لبنان قائلاً «وبما أن قسماً من سكان لبنان يطلبون ضمانة فرنسية . فالعرب مستعدون لقبول استقلال لبنان على أن يبقى الباب مفتوحاً لإنضمام لبنان إلى الاتحاد السوري بمحض اختياره» (٢٤) .

في هذا الوقت تدخلت فرنسا لدى المؤتمرين للسماح لشكري غانم بأن يعرض وجهة نظر الجمعيات اللبنانية . في ١٣ شباط ١٩١٩ القى غانم كلمته التي «تحدى فيها فيصل انه يمثل جميع الناطقين بالعربية قائلاً أنه يمثل الحجاز لا غير ولا علاقة للحجاز بسوريا التي تريد دولة كبيرة تساعدها وطلب أن توكل إلى فرنسا مهمة اعادة بناء سوريا تامة مستقلة متحدة» (٢٥) .

أدت معارضة فرنسا لطروحات الأمير فيصل داخل المؤتمر للحؤول دون الأخذ بمطالبة . لذلك تمنى الأمير على المجتمعين ارسال لجنة استفتاء دولية للوقوف على رغبات السكان حول مستقبلهم السياسي .

تمت الموافقة على الاقتراح من قبل الدول المشاركة في المؤتمر باستثناء فرنسا . غير أن اللجنة التي ذهبت إلى الشرق العربي اقتصرت على الأعضاء الأميركيين بعدما انسحب باقي الدول من الاشتراك في اللجنة نتيجة حسابات تتعلق بمصالحهم في المنطقة . وقد عرفت اللجنة باسم لجنة كنغ ـ كراين .

سبق وصول اللجنة الأميركية استعدادات لتوحيد الصف والكلمة والمطلب . فتقدم عدد من أعضاء حزب الاستقلال باقتراح يرمي إلى تشكيل مؤتمر وطني يتكلم باسم الشعب السوري كله عن طريق اجراء انتخابات تشريعية تجمع ممثلين عن المناطق السورية . بعد الموافقة على المبدأ جرت الانتخابات في المنطقة الشرقية وفقاً لقانون الانتخابات العثماني . أما في المناطق التي تقع تحت سيطرة الجيش الفرنسي والبريطاني فقد تم الاختيار بموجب مضابط .

---

(٢٣) موسى سليمان : مصدر مذكور ص ٤٦٧ .
(٢٤) نفس المصدر ص ٤٧٠ .
(٢٥) نفس المصدر ص ٤٧٢ .

في ١٠ حزيران ١٩١٩ وصلت لجنة كنغ ـ كراين إلى يافا . خلال تجوالها الذي استمر ٦ أشهر زارت اللجنة ٣٦ مدينة في المناطق العسكرية الثلاث لسوريا (الفرنسية ـ الانكليزية والعربية) . وحسب جريدة التايمز النيويوركية تلقت اللجنة ١٨٦٣ عريضة . وجاءت النتائج في لبنان على الشكل التالي . «في لبنان الأصلي الصغير فالأكثرية مخلصة لفرنسا معارضة للانكليز . وأما في المناطق الأخرى التي يراد ضمها إلى لبنان الكبير مثل صور وصيدا وطرابلس ، فان فيها أكثرية تعترض على الحكم الفرنسية وتقاومه ، ويدخل في هذه الأكثرية جميع المسلمين السنيين وأكثر الشيعيين ، وقسم من الأرثوذكس ، وطائفة البروتستانت . فأكثر هؤلاء يريدون أمريكا أولاً وانكلترا بالدرجة الثانية . والأكثرية في باقي المنطقة الغربية إلى شمال لبنان الكبير المراد انشاؤه هي ضد الوصاية الفرنسية في كل الأحوال» (٢٦) .

وكانت اللجنة قد التقت رئيس المؤتمر السوري هاشم الأتاسي على رأس عشرين نائباً يمثلون سورية بمناطقها الثلاث وقدموا اليها البنود العشرة التي وافق عليها المؤتمر :

١ ـ الاستقلال التام لسورية الطبيعية ، الممتدة من جبال طوروس شمالاً إلى رفح والعقبة جنوباً ومن الفرات والخابور حتى الجوف شرقاً إلى البحر المتوسط .

٢ ـ سورية دولة ملكية دستورية على قاعدة اللامركزية ومليكها الأمير فيصل نجل الحسين ملك الحجاز .

٣ ـ الاحتجاج على مبدأ الانتداب (المادة ٢٢ من قرار جمعية الأمم) بالنسبة لسورية ، باعتبارها صالحة لحكم نفسها بنفسها ، اسوة برومانيا وصربيا واليونان .

٤ ـ إذا لم يقبل مؤتمر الصلح احتجاج سورية على الانتداب ، فانها تفضل انتداب الولايات المتحدة الأميركية . لبعدها عن روح الاستعمار وعن كل مطمع سياسي في هذه البلاد كما جاء في تصريحات الرئيس ولسن .

٥ ـ إن لم تقبل الولايات المتحدة الأميركية أن تكون منتدبة على سورية فلتكن بريطانيا العظمى منتدبة لمدة عشرين سنة . بشرط أن لا يتجاوز انتدابها حد المساعدة الادارية والاقتصادية .

٦ ـ رفض انتداب فرنسا وعدم الاعتراف بأي حق تدعيه في سورية .

---

(٢٦) خباز، حنا: فرنسا وسوريا ص ٢٥ ـ ٢٦ الجزء الأول مطبعة علم الدين مصر ١٩٢٨ .

٧ ـ رفض إحداث وطنٍ قومي صهيوني في فلسطين ورفض الهجرة الصهيونية إلى أي جزء من سورية .

٨ ـ أن تكون وحدة سورية مضمونة وسليمة من كل تجزئة مع الاحتجاج على كل معاهدة ترمي إلى تجزئتها .

٩ ـ الاستقلال التام للقطر العراقي دون أن تكون حواجز اقتصادية بينه وبين سورية .

١٠ ـ السماح لسورية بأن ترسل وفداً يمثلها في مؤتمر الصلح للدفاع عن حقوقها (٢٧) .

سفر الوفد اللبناني الثاني

لمس الوفد اللبناني الأول برئاسة فؤاد عمون غموضاً في الموقف الفرنسي بما يتعلق بمطالبهم بتوسيع حدود متصرفية جبل لبنان واعلان استقلالها . وما عزز هذا الخوف موقف غرف التجارة في عدد من المدن الفرنسية التي تتطالب ببسط الحماية الفرنسية على كامل بلاد الشام . كما تخوف انصار الكيان اللبناني من انكشاف حقيقة أمرهم كأقلية أمام لجنة الاستفتاء الدولية . عندها سيروا المظاهرات إلى بكركي تطالب البطريرك الماروني الياس الحويك بالذهاب شخصياً إلى العاصمة الفرنسية ليؤكد على مطالب الوفد الأول . برز أكثر من تحرك لبناني في بلاد الأغتراب لهذه الغاية . وفي ١٩ نيسان ١٩١٩ انشىء مصرف جديد هو بنك سورية ولبنان ، وكان بكليته ملكاً للرأسمال الفرنسي . وقد عقد اتفاق مع وزارة المالية الفرنسية يمنح بموجبه امتياز واحتكار اصدار العملة السورية .

في ١٥ تموز غادر البطريرك الماروني بيروت إلى روما واجتمع إلى البابا طالباً منه دعم موقفه لدى الفرنسيين . وعقب انتقاله إلى باريس قدم فيها إلى رئيس الجمهورية والوزارة مذكرة يؤكد فيها على «مطالب الشعب اللبناني في الاستقلال وتوسيع الحدود واشراف فرنسا عليه وعلى سوريا مع عدم الانفصال عنها اقتصادياً» (٢٨) . وكان كليمنصو قد استحسن هذه المذكرة .

أما في المذكرة التي رفعها البطريرك الحويك إلى مؤتمر الصلح فشدد على المطالب التالية :

١ ـ الاعتراف باستقلال لبنان الذي نادى به الشعب اللبناني وحكومته في ١٠ أيار ١٩١٩ .

(٢٧) الحكيم، يوسف: سوريا والعهد الفيصلي دار النهار للنشر ص ١٠٣ الطبعة الثانية ١٩٨٠ .
(٢٨) جريدة لسان الحال ٢ كانون الأول ١٩١٩ بيروت .

٢ ـ إعادة لبنان إلى حدوده التاريخية والطبيعية بارجاع البقاع التي سلختها تركيا منه .

٣ ـ أن يعهد بالانتداب على لبنان إلى حكومة الجمهورية الفرنسية (٢٩) .

خلال اللقاءات التي اجراها البطريرك الماروني وممثلي الحكومة الفرنسية حدث خلاف في الرأي بين الفريقين يتعلق بمسألة حدود لبنان الكبير من جهة الجنوب : طالب الأول بأن يكون نهر الليطاني بينما تريد الحكومة الفرنسية أن تجعله عند عكا كي لا تضطر إلى تأليف حكومة صغيرة منفردة في اقليم صغير (٣٠) .

نجحت إلى حد ما مهمة البطريرك الحويك . فقد عاد إلى بيروت وهو يحمل في جعبته رسالة من رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو تشير «إلى أن فرنسا راغبة في تشجيع العلاقات الاقتصادية مع كل البلاد الموضوعة تحت انتدابها كأفضل ما يكون . فعند رسمها لحدود لبنان ستأخذ في الحسبان قبل كل شيء ضرورة الاحتفاظ بمناطق سهلية «للجبل» ومنفذ بحري ضروري لازدهارها» (٣١) .

لم تجد نفعاً احتجاجات المؤتمر السوري ضد كل ما يمس وحدة سوريا واستقلالها . فعندما قام الأمير فيصل بزيارة في ١٩ أيلول ١٩١٩ إلى لندن تلبية لدعوة لويد جورج فوجىء باتفاق بريطاني فرنسي حول المناطق السورية يقضي بسحب بريطانيا لقواتها المسلحة من سوريا ولبنان لتحل محلها القوات الفرنسية . جاء الاتفاق الفرنسي الانكليزي ليخفف من قلق رجال الأعمال الفرنسيين والأوساط الاستعمارية التي طالبت حكومتها بالاسراع بحسم الأمر في سوريا لصالح فرنسا . إزاء ذلك ظهرت في الصحافة الفرنسية حملة مسعورة ضد بريطانيا تتهمها بالقيام بدعاية معادية لفرنسا في سوريا وقد اشترك كليمنصو نفسه في هذه الحملة الاتهامية (٣٢) .

أعقب الاتفاق الفرنسي الانكليزي جملة من التطورات على صعيد تنظيم وضع بلاد المشرق . في ٩ تشرين الثاني ١٩١٩ ، سمي الجنرال غورو قائداً للقوات الفرنسية في الشرق ومفوضاً سامياً على سوريا مطلق الصلاحية . وحسب المستشرق الجنرال نيكيتا ايلي سيف

(٢٩) نفس المصدر ١ كانون الأول ١٩١٩ .
(٣٠) نفس المصدر ١٢ تشرين الثاني ١٩١٩ .
(٣١) كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ / ١٩٢٠ ص ٣١١ . معهد الانماء العربي الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٨ .
(٣٢) زين نور الدين زين : مصدر مذكور ص ١٢٦ .

اصطحب الجنرال غورو معه المستشرق البلجيكي اليسوعي هنري لامنس الذي وضع نظرية لأمة سورية بحيث تنقض مقولة الأمة اللبنانية. فقد أشار في كتابه «سوريا» «أن السوريين سيدركون أنهم يتمتعون بالجوامع الأربع التي تتألف منها الشعوب في التاريخ وهي جامعة البقعة واللغة، والأصل، والتقاليد، وسيدركون بعد اختبارات مؤلمة أن المحن والويلات توحد الشعوب بقدر ما توحدها حالة الرفاهية والرخاء» ثم يستطرد مشدداً على وحدة السوريين «ليس هناك من معترض على وجود أديان وطوائف متعددة في سوريا لكن تعددها لم يلغ وحدة الشعب السوري ولم ينقض شيئاً من سلامة عنصره على الرغم من وهم راسخ في الذهن، لسؤ الحظ عند السوريين، بأن يخلطوا اعتباطاً بين الدين والقومية فيقال الأمة المارونية والأمة الملكية» (٣٣).

في مستهل العام ١٩٢٠ وقع فيصل مع رئيس وزراء فرنسا كليمنصو اتفاقية تعترف من حيث الجوهر بالحماية الفرنسية على سورية الشرقية. وطلب الأمير أن يبقى ذلك سرياً لحين عودته من باريس إلى دمشق لكي يتسنى له مواجهة المعارضين للاتفاق. لكن ما أن تسرب خبر الاتفاق إلى بلاد الشام والذي تزامن مع وصول فيصل إلى بيروت حتى قامت المعارضة له من انصار الكيان اللبناني وانصار الوحدة السورية. ساورت الشكوك الفريق الأول الذي أرسل وفداً ثالثاً إلى باريس برئاسة المطران عبدالله الخوري ليؤكد على المطالب التي رفعها الوفدين الأولين. أما الفريق الثاني فقد سارع إلى دعوة المؤتمر السوري العام للاجتماع بدمشق في آذار ١٩٢٠. اقر المؤتمر باجماع الكلمة «استقلال سوريا استقلالاً تاماً بحدودها الطبيعية بما فيها فلسطين، دون أن يكون فيها لليهود وطن قومي، كما قرر مبايعة الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سورية بكامل اجزائها» (٣٤).

أحدث الاعلان عن مقررات المؤتمر السوري ردة فعل سلبية في أوروبا واعتبرته دوائر مؤتمر الصلح تحدياً صريحاً لأنه مخالف لقراراتها. أما في لبنان فكان الاستياء والرفض على أشده لأن قرارات المؤتمر اعتبرت تعرضاً لكيان لبنان وحدوده. في ٢٢ آذار ١٩٢٠ اجتمع رؤساء البلديات والوجهاء في بعبدا مع أعضاء مجلس ادارة جبل لبنان حيث أقيم مهرجان احتجاجاً على قرار المؤتمر السوري العام لأنه اعتبر تدخلاً بالشؤون اللبنانية (٣٥). واقترح

(٣٣) Lammens.H. : La Syrie P.5 imp catholique Beyrouth 1921.

(٣٤) الحكيم، يوسف: مصدر مذكور ص ١٣٨.

(٣٥) جريدة لسان الحال ٢٣ آذار ١٩٢٠ بيروت.

الحاضرون رفع العلم اللبناني على دور الحكومة وهو العلم الفرنسي المثلث الألوان وعليه ارزة.

في حين كانت بلاد المشرق تعيش حالة الفعل ورد الفعل على المواقف اتخذ المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح المنعقد في سان ريمو بإيطاليا قراراً بوضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. وبذلك انقشع زيف الشعارات باعطاء الشعوب الخاضعة للحكم العثماني الاستقلال والتي رفعها أكثر من طرف من الحلفاء. قوبل القرار بمظاهرات الاحتجاج في مختلف المناطق السورية واللبنانية. انفردت روما عن دول الحلفاء وأرسلت برقية إلى الأمير فيصل تبلغه بأنها ستوفد سفيراً إلى دمشق يمثلها.

وبناءاً على مقررات سان ريمو امتنعت اللجنة الدائمة للانتداب (٣٥ مكرر) في جنيف عن درس العرائض التي تطلب استقلال سوريا التام والتي تتضمن احتجاجا على جعل ادارة البلاد في يد فرنسا بصفتها دولة منتدبة. ولما كانت الولايات المتحدة الأميركية غير منضمّة إلى عصبة الأمم عقدت فرنسا بالنيابة عن لبنان معاهدة خاصة معها خولتها حق التمتع بالامتيازات الممنوحة في لبنان لسائر الأعضاء. بذلك ثبتت أمريكا قدمها في لبنان تجارة وسياسة وثقافة لقاء اعترافها بالانتداب.

أدى تجاهل مؤتمر سان ريمو لتطلعات الشعبين السوري واللبناني بالاستقلال والوحدة إلى استمرار حرب العصابات التي بدأت مع دخول الجيش الفرنسي وبخاصة في جبل عامل (٣٦). وأخذت تتسع جبهة المواجهة ضد الوجود الفرنسي حتى شملت مؤيديهم أنصار الكيان اللبناني نتيجة استفراد الفرنسيين بالسيطرة على كل المرافق الانتاجية في سوريا ولبنان دون الأخذ بالحسبان مصلحة السكان المحليين. ويقول أمين السعيد في ذلك «فقد سئم احرار لبنان المعاملة السيئة التي يعاملهم بها الموظفون الفرنسيون في حقوقهم. الكومندان

(٣٥) مكرر: ولدت اللجنة الدائمة للانتدابات بموجب المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم وبغرض محدد هو الاشراف على البلدان الخاضعة للانتداب. في أول عهدها عام ١٩٢١ شكلت اللجنة من تسعة اعضاء يختارهم مجلس العصبة من مختلف الامم (غير المنتدبة في الغالب) على أن يمارسو دورهم كافراد وليس بعضهم ممثلين لحكومات. وكانت مهمة اللجنة ان تدرس، وتنتقد التقارير التي تقدم اليها، وان تستجوب ممثلي الانتداب المعتمدين، وان تنظر في العرائض التي ترفعها مختلف الاطراف المعينة إلى العصبة... كانت اللجنة تعقد جلستين في السنة. انظر هامسلي: تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ص ١٤٢ / ١٤٣.

(٣٦) شعيب علي: مطالب جبل عامل ١٩٠٠ - ١٩٣٦ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٧ ص ٦٨ - ٨٥.

لابرو متصرف الجبل فقد كان يتطاول على اعضاء مجلس الادارة ولا ينفذ قراراتهم كما تطاول الليوتنان ماسيت مستشار الجند اللبناني على قائد الجند العام الأميرالاي سعيد بك ولم يطق هذا الاقامة على الذل فاستقال وانصرف إلى خدمة القضية الوطنية» (٣٧) .

إزاء ذلك تيقن اعضاء مجلس ادارة جبل لبنان أن التفاهم مع حكومة فيصل اجدى لمصلحتهم من المستعمر الفرنسي الذي كشف عن حقيقة نواياه في التسلط والاستئثار . لذلك بدأت الاتصالات في بيروت في أواخر شهر أيار بين نجيب الأصفر عن سوريا وكل من سعدالله الحويك ، أخ البطريك الماروني وعضو مجلس ادارة جبل لبنان ، والياس الحويك ، ترجمان المتصرفية ، والأعضاء سليمان كنعان - الياس الشويري - الأمير أمين ارسلان . وبعد التداول في العلاقة بين بلديهما توصل الفريقان إلى توقيع مضبطة تتضمن البنود التالية :

١ - استقلال لبنان التام المطلق .

٢ - حياده السياسي بحيث لا يحارب ولا يحارب ويكون بمعزل عن كل تدخل اجنبي .

٣ - اعادة المسلوخ منه سابقاً بموجب اتفاق يتم بينه وبين سوريا .

٤ - المسائل الاقتصادية يجري درسها وتقرر بواسطة لجنة مؤلفة من الطرفين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب سوريا ولبنان .

٥ - يتبادل الفريقان السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود الأربعة وضمان احكامها (٣٨) .

وتم الاتفاق على أن يحمل اعضاء مجلس الادارة المضبطة المذكورة إلى دمشق فحيفا وباريس ليتابعوا قضيتهم أمام مؤتمر الصلح وبمعزل عن كل ضغط وتأثير خارجي . غير أن السلطات الفرنسية أفشلت المسعى اللبناني السوري بعدما علمت بواسطة جواسيسها بالأمر فاعتقلت سبعة اعضاء من مجلس ادارة جبل لبنان وحكمت عليهم بالنفي إلى جزيرة كورسيكا . وصدر بلاغ رسمي بالحادث الذي وصف بالخطورة واتهم اعضاءه ببيع ضمائرهم . وادين هذا العمل من عدة فئات محلية محسوبة على الفرنسيين وفي طليعتهم رئيس مجلس ادارة جبل لبنان حبيب باشا السعد والمطران مبارك (٣٩) .

شكل هذا الحادث فرصة مؤاتية للمفوض السامي لالغاء كل مظهر من مظاهر المشاركة

(٣٧) السعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى ص ١٥٦ بدون تاريخ مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر .
(٣٨) جريدة لسان الحال ١٩ تموز ١٩٢٠ بيروت .
(٣٩) M.A.E.F. série (Liban - Syrie) N 36 P . 64 .

في السلطة بينه وبين اللبنانيين . في ١٢ تموز ١٩٢٠ أعلن الجنرال غورو إلغاء مجلس ادارة جبل لبنان بحجة عجزه عن القيام بوكالته . وصدور قرار آخر رقم ١٤١٦ تضمن شروطاً قاسية على الداخلين والخارجين من المنطقة الغربية . وسمح لمن يحمل إذناً رسمياً من المتصرف بالدخول بعد التثبت من أوراقه (٤٠) .

نبهت مبادرة مجلس ادارة جبل لبنان سلطات الانتداب الفرنسي إلى التململ الحاصل بين صفوف انصارها من اللبنانيين وهو ما يضعف موقفهم ويعزز جبهة الأمير فيصل على الصعيد الداخلي والخارجي ورأت أنَّ استمرار هذه الحالة يشكل خطراً على المصالح الفرنسية والنفوذ الفرنسي في المشرق . لذلك استعجل الجنرال غورو القضاء على الحكومة الفيصلية في سوريا .

في ٢٠ تموز طلب الجنرال غورو في بلاغ إلى الأمير فيصل الموافقة على ٦ أمور :

١ - أن تقبل حكومة فيصل أن تخلي للجنود الفرنسيين سكة الحديد السورية من رياق إلى حلب .

٢ - بان تحتل محطات حمص وحماه وحلب احتلالاً عسكرياً .

٣ - ان تقبل البلاد الخاضعة لحكم فيصل التعامل بالورق السوري النقدي .

٤ - ان تقبل انتداب فرنسا عليها .

٥ - ان تعاقب الثائرين (في مذابح مرجعيون ١٩٢٠) .

٦ - ان تمنع التجنيد الذي كان على قدم وساق في سوريا (٤١) .

لم ينتظر الجنرال غورو رد فيصل على بلاغه بل أمر قواته باحتلال المعلقة ورياق والزحف على دمشق . لم يكن الأمير فيصل في وارد التصدي . لذلك قررت الحركة الشعبية صد المعتدين بقيادة وزير الدفاع يوسف العظمة الذي استشهد مع مئات من المواطنين في خان ميسلون يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠ إذ جرت المعركة بين قوتين غير متكافئتين من حيث العدد والعدة والتدريب . كانت هذه المعركة المحطة الرئيسية على طريق احباط وحدة البلاد السورية وبداية مرحلة جديدة تمثلت بولادة دويلات طائفية : دولة لبنان الكبير - دولة العلويين - دولة حلب - دولة دمشق - دولة جبل الدروز واحتفظ لواء الاسكندرونة بوضع اداري خاص خاضع مباشرة للسلطة الفرنسية .

(٤٠) خباز، حنا: مصدر مذكور ١٨٢ .
(٤١) نفس المصدر ص ٣٠ .

ولادة لبنان الكبير

استغلّت سلطات الانتداب الفرنسي حالة الانقسام السائدة في بلاد المشرق والتي تساعد على تحقيق تطلعاتها من خلال فقدان التضامن الوطني ، والتعلق بمصالح ضيقة وشخصية ، والتنازع المتواصل على المكانة والنفوذ . بين الزعماء ، وتدخل رجال الدين في القضايا السياسية . وما تبقى على الانتداب الفرنسي فعله هو اختيار الوقت المناسب للتنفيذ .

وتمهيداً لذلك أرسل رئيس الوزراء الفرنسي ميللران رسالة إلى رئيس الوفد اللبناني الثالث المطران عبدالله ، في ٢٤ آب ١٩٢٠ ، تتضمن موافقته على ضم البقاع إلى جبل لبنان . «وان ما تسعى إليه فرنسا هو انشاء لبنان الكبير وضمان حدوده الطبيعية التي تمتد من جبال عكار في الشمال إلى حدود فلسطين في الجنوب ، وتضم مدن طرابلس وبيروت على أن تحتفظ بصلاحيات واسعة ومستقلة في الشؤون البلدية نظراً للتمايز الاقتصادي بين المدن والجبل . . . ويستطيع لبنان الاعتماد دائماً على فرنسا» (٤٢) .

وفي ٣١ آب ١٩٢٠ أصدر المفوض السامي الجنرال غورو قراراً اعلن فيه ولادة لبنان الكبير آخذاً بالاعتبار الحدود الجغرافية التي حددتها رسالة ميللران . وبهذا فقدت الدولة الجديدة وعلى نقيض المتصرفية القديمة ، كل تجانسها . فالمناطق التي الحقت بجبل لبنان إما ذات أكثرية اسلامية وأما مشتركة ، بنسب متفاوتة ، ما بين المسلمين والمسيحيين .

استقبل اعلان الدولة الجديدة وسط غبطة قسم كبير من السكان المسيحيين لأنهم شعروا بأن كيانهم الوطني الذي طالما طالبت به جمعياتهم في الداخل وفي بلاد الأغتراب قد تحقق ، فيما رفض الآخرون وبقيت آمالهم متعلقة بتحقيق القرار التاريخي الذي كان المؤتمر السوري الأول قد أقره . وخلافاً لكل الدويلات التي أنشأها الجنرال غورو في بلاد سوريا واختار لكل منها حاكماً محلياً فقد سمى على لبنان الكبير حاكماً فرنسياً . وعلل مندوب فرنسا الدائم في عصبته الأمم ذلك بالقول : «من المستحسن الاحتفاظ بحاكم فرنسي على لبنان نظراً للانقسامات الطائفية الحادة فيه» (٤٣) . بقي هذا المنصب حكراً على الفرنسيين حتى اعلان الدستور اللبناني عام ١٩٢٦ حيث انتخب لبناني في منصب رئاسة الجمهورية . لكن استمرت الرقابة الفرنسية الطابع ، واستمر - عملياً - التعيين والانتخاب لهذا المنصب رهناً

---

(٤٢) Tradition et politique de la France au levant P.307 Paris 1931 thèse
Bruneau André :
droit .

(٤٣) Comité permanent du mandat. sessions du 23 Octobre a 6 Novembre 1924 P. 100
Genève .

بأوامر المفوض السامي . وكان هو الحاكم الوحيد والمطلق الصلاحية في سوريا ولبنان يساعده سكرتير عام للمفوضية العليا يحل محله اثناء الغياب أو في حال عدم تمكنه من مزاولة اعماله . وفي القرار رقم ٣٣٦ تاريخ ١ أيلول ١٩٢٠ حدد الجنرال غورو مهمة السكرتير العام :

- الحاكم العام مسؤول تجاه المفوض السامي عن النظام والأمن العام والادارة العامة في أراضي الدولة اللبنانية .
- يكون إلى جانب الحاكم العام دوائر الدولة العمومية وتتعلق هذه الدوائر رأساً به ويكون على رأس كل منها موظف يعين بعد موافقة المفوض السامي ويكون الحاكم مرجعهم المباشر .
- يساعد رؤساء الدوائر مستشارون فرنسيون فنيون يعينهم المفوض السامي بناء على اقتراح السكرتير العام وبعد استشارته .
- كل القرارات الادارية التي يضعها رؤساء الدوائر تعرض على المستشارين الفنيين الفرنسيين الذين يوافقون عليها بامضائهم ويرفقونها عند الحاجة بملاحظاتهم ، ولا تصبح هذه القرارات نافذة إلا بعد موافقة السكرتير العام عليها (٤٤) .

خارج كادر المفوضية العليا الفرنسية برزت فئتان من الموظفين الأولى هي فئة المندوبين وهي جهاز الانتداب الذي يمثل المفوضية العليا في المناطق ويرتبط مباشرة بها . كان موظفو هذه الفئة يتقاضون رواتبهم باديء الأمر من أموال الخزينة . وكان المفوض السامي هو الذي يعين لهم صلاحياتهم ومسؤولياتهم . أما الفئة الثانية فهي فئة المستشارين في ادارة الانتداب وهي تضم موظفين فرنسيين معينين كمستشارين فنيين إلى جانب الموظفين المحليين . وكان موظفوا هذه الفئة يتبعون من الناحية القانونية ادارة الدويلات المحلية ، وكانت تلك الدويلات تقوم باعباء رواتبهم وتعويضاتهم دون أن يكون لها الحق في اختيارهم . وهكذا لم يظهر في الادارة اللبنانية سوى بعض كبار الموظفين المحليين خريجي جامعة القديس يوسف في بيروت وعدد كبير من صغار الموظفين والحجاب . ويؤكد اسكندر رياشي ذلك «إن ٩٠٪ من السكرتيرية تلامذة الجزويت واللعازاريين ومدارس الفرير . وقد ساعد الرهبان الفرنسيون هؤلاء في توظيفهم في مكاتب الحكام والمستشارين عندما كانوا - أي الرهبان - أصحاب

---

(٤٤) الخوري، بشارة: مصدر مذكور .

الكلمة النافذة عند مواطنيهم المحتلين» (٤٥) .

بعد إعلان لبنان الكبير وضع الفرنسيون خطة لانشاء مجالس تمثيلية محلية خاضعة لهم لتؤمن نوعاً من الصلة بين المفوضية العليا والسكان اللبنانيين . عام ١٩٢١ اجرت المفوضية العليا احصاءً سكانياً واتخذته كأساس لتوزيع المقاعد النيابية بين الطوائف رغم بعده عن الدقة إلى درجة كبيرة لأسباب (من نوع التكتم ، عدم الفهم ، والتزوير ، والحوافز الخاصة بالطوائف) تحول دائماً في مثل هذه البلدان دون اجراء تسجيل دقيق للأفراد (٤٦) .

في ٨ آذار ١٩٢٢ أصدر روبير دي كيه بالنيابة عن المندوب السامي الفرنسي في سوريا ولبنان قراراً يقضي باقامة مجلس تمثيلي منتخب يتمتع بحق التشريع . ثم اتبعه بعد أيام بقانون يحدد الاجراءات الانتخابية . في ٢١ أيار جرت الانتخابات على مرحلتين وذلك في جو من اعلان المقاطعة من جانب كبير من المسلمين وفي ظل الاتهامات المتبادلة بالتزوير والضغط والاكراه . ويعزز بولس مسعد من صحة هذه الاتهامات عندما كتب «رشحت نفسي عن كسروان في المجلس النيابي اللبناني سنة ١٩٢٢ مسوقين إلى ذلك بما رأينا من تنشيط المندوب السامي بذاته لنا» (٤٧) . في ٢٥ أيار انعقد أول اجتماع للمجلس التمثيلي وانتخب رئيساً له حبيب باشا السعد .

مضت المفوضية العليا الفرنسية في نهجها السياسي في تثبيت النفوذ الفرنسي في لبنان مستعينة على ذلك بالقوة وبالأموال الكثيرة التي انفقتها لمواجهة أشكال الرفض لذلك الوجود في أكثر من منطقة في سوريا ولبنان . عدا انطلاق العصابات المسلحة قتل المعارضون للانتداب اسعد بك مدير الداخلية في دولة لبنان الكبير انتقاماً منه على موالاته للفرنسيين . وخلال عام ١٩٢٢ وقع أهالي طرابلس والملحقات عرائض يطالبون فيها الحاقهم بسورية لأنهم لم يروا فائدة من الحاقهم بلبنان . ورفضوا حمل تذاكر نفوس لبنانية مما اضطر المفوضية العليا

(٤٥) **رياشي، اسكندر**: رؤساء لبنان كما عرفتهم ص ١٥ بيروت ١٩٦١ .

(٤٦) امرت المفوضية الفرنسية باجراء احصاء لسكان لبنان الكبير سنة ١٩٢١ ، فقد بلغ العنصر المسيحي ٣٢٣٠٥٢ نسمة موزعة على المارونيين وعددهم ١٩٩١٨١ والأرثوذكس وعددهم ٨١٤٠٩ والروم الكاثوليك وعددهم ٤٢٤٦٢ أما المجموع العنصر الاسلامي فبلغ ٢٧٣٣٦٦ نسمة موزعة على الاسلام السنيين وعددهم ١٢٤٧٨٦ . والاسلام الشيعيين وعددهم ١٠٤٩٤٧ والدروز ٤٣٦٣٣ .
الدحداح، ادوار: سياسة لا وجدان بحث في استقلال لبنان ص ٢٤ مطبعة زنكوغراف طبارة . بيروت ١٩٢٦ .

(٤٧) **مسعد، بولس**: لبنان وسوريا قبل الانتداب وبعده الجزء الأول ص ١١٥ المطبعة السورية في مصر الجديدة ١٩٢٩ .

على الغاء الشطر الأدنى من التذكرة الذي ينص على أن حامليها من الرعية اللبنانية . وفي شباط ١٩٢٣ بعث زعماء بيروت وطرابلس وصيدا وصور بمذكرة إلى الجنرال ويغان كرروا فيها الاحتجاج على ضم مناطقهم إلى لبنان دون استشارة أهل البلاد لاعتبارات منها الاضرار باقتصادهم والقاء العبء على عواتقهم بكثرة الضرائب (٤٨) . وبين الحين والآخر كانت تلتقي مصلحة الفريقين من اللبنانيين على قاسم مشترك للوضع اللبناني وتعمل على تحقيقه . في ٩ أيلول ١٩٢٢ وضع سليمان كنعان العضو السابق للمجلس الاداري لجبل لبنان مذكرة بالاتفاق مع الأمير شكيب ارسلان وقدماها إلى رئيس عصبة الأمم والسكرتير العام تطالبها باعادة استقلال لبنان بضمانة المجتمع الدولي وان يترك لأهله الخيار في انتقاء شكل حكومتهم وانتخاب رئيسهم بلا تدخل اجنبي في الأمر لكي ينشئوا في بلادهم نظاماً ديمقراطياً نيابياً يتلاءم ومصالحهم ويتفق مع مصلحة السلم العام (٤٩) . وضعت تلك المذكرة باسم الوفد السوري الفلسطيني الذي كان ينشط من القاهرة واحياناً من جنيف . ولعب احد اعضاءه رياض الصلح دوراً بارزاً في باريس حيث استطاع الحصول على دعم فريق كبير من الحزب الاشتراكي الفرنسي S - F - I - O .

وحسب الأرشيف الفرنسي فإن الحزب الاشتراكي طالب بجلاء فرنسا عن سوريا ، فيما وعد النائب السابق للحزب Jean Longuet مندوب حزب الاستقلال السوري رياض الصلح ببذل المزيد من النشاط للمحافظة على وحدة سوريا ومنحها استقلالها (٥٠) . وفي مذكرة أخرى رفعها رياض الصلح وشكيب ارسلان إلى عصبة الأمم احتجاجاً على تجزئة سوريا استشهدا بالتصويت الذي جرى في الحزب الاشتراكي على قرار يدعو إلى تحرر سوريا من كل احتلال عسكري أو وصاية وقبولها كعضو في عصبة الأمم (٥١) . كما استغلت الحركة الوطنية السورية كل مناسبة للتعبير عن موقفها في الوحدة والاستقلال لسوريا . وتولت جريدة «المقتبس» السورية منذ العام ١٩٢٤ التركيز أكثر فأكثر على لبنان لتؤكد على ضرورة ضمه إلى سوريا (٥٢) . حينئذ واجه الانتداب الفرنسي معارضة من نوع آخر من انصاره

(٤٨) **بيهم، محمد جميل**: لبنان بين مشرقٍ ومغربٍ (١٩٢٠ - ١٩٦٩) ص ٢٥ بيروت ١٩٦٩ .

(٤٩) أعمال الوفد السوري الفلسطيني من أيار ١٩٢٢ إلى تشرين الأول ١٩٢٢ القاهرة كانون الثاني ١٩٢٣ المطبعة السلفية بمصر ص ١٥١ .

(٥٠) - M.A.E.F série (Syrie - Liban) (1918 - 1929) N 214 P 77 .

(٥١) - Idem P. 93 .

(٥٢) **الياس، جوزف**: تطور الصحافة السورية في مائة عام ١٨٦٥ / ١٩٦٥ ص ١٣٢ الجزء الثاني بيروت ١٩٨٣ .

اللبنانيين لأنه لم يحقق مطالبهم على كثرتها . فقد احتجت لجنة الدفاع عن حقوق لبنان لدى الجنرال غورو على تعيين الحاكم الأعلى لدولة لبنان الكبير فرنسياً (٥٣) . ويومها راحت بعض الأوساط الفرنسية تقترح اميل اده لمنصب حاكم لبنان وأقيمت مهرجانات دعماً لهذه الفكرة ، كما رفعت عرائض تحمل توقيع آلاف المهاجرين وارسلت إلى باريس بواسطة نعوم مكرزل (٥٤) .

خلال مرحلة الحكم الفرنسي المباشر (١٩٢٠ - ١٩٢٦) تعاقب على سدة المفوضية العليا في المشرق ستة مفوضين : بيكو الجنرال غورو ١٩٢٠ ، الجنرال ويغان ١٩٢٣ ، الجنرال ساراي ١٩٢٥ ، دي جوفنيل ١٩٢٥ وبنسو ١٩٢٦ . لم يكن لهؤلاء المفوضين سياسة عامة تطبع نهجهم بل أن تغيير المفوض كان يتناول تغيير الخطة والمنهج . فكان لكل مفوض سياسة حزبه فيتبع التقلب في فرنسا التقلب في السياسة نحو بلاد المشرق . في حين كان الجنرال ويغان اكليركي الصبغة كان خلفه الجنرال سارامي ماسوني النزعة . فمنذ اليوم الأول لوصوله دعا إلى استقالة حاكم لبنان الفرنسي Vendenberg وتبلغ المجلس النيابي التمثيلي ان حاكماً لبنانياً سيحل محله . لكن لم يلجأ الجنرال ساراي إلى ذلك إلا مرة واحدة وعاد ليسمي حاكماً فرنسياً على لبنان هو ليون كيلا . في عهد ساراي أرسلت الحكومة الفرنسية احد الخبراء في القانون Auguste Brunet إلى المشرق لمساعدته في اجراء مشاورات مع القيادات المحلية في المنطقة . ومن ثم ليرفع تقريراً عن مهمته إلى لجنة شكلها وزير الخارجية الفرنسية لوضع دستورين لدولتي سوريا ولبنان .

كانت اللجنة برئيسها واعضائها من الفرنسيين وهم :

Paul Boncour	Depute , Président
Reynald	Senateur,vice Président
Fromageot	Jurisconsulte
Gidel	Professeur à la facultéde droit de Paris (٥٥)

تمشياً مع هذا التوجه الفرنسي الجديد جرت المرحلة الأولى من انتخابات المجلس التمثيلي الجديد ولم يرافقها مقاطعة شاملة على غرار انتخابات ١٩٢٢ من قبل انصار الوحدة السورية .

(٥٣) خباز، حنا: مصدر مذكور ص ٢٠٣ .
(٥٤) L'archeveque Pierre Hobeika: Emile Eddé p 19. imp catholique 1938 Beyrouth.
(٥٥) Jean Lapierre: Le mandat francais en série, P 94 Paris 1936 .

في البدء قررت لجنة وضع الدستور استمزاج أصحاب الرأي في لبنان عبر المفوضية الفرنسية في بيروت وهم : رئيس المجلس التمثيلي ، نائب الرئيس - النواب عن جميع الدوائر الانتخابية في لبنان الكبير والمزارعون والصناعيون والتجار ، واعيان المهن المختلفة ، المصارف والقضاة واعضاء نقابة المحامين ، والأطباء ، الصحافيين ، الخ رؤساء أهم البلديات ، رؤساء الطوائف الدينية والجمعيات النقابية المختلفة ، اعضاء الحكومة ، رئيس مجلس شورى الدولة ، رئيس محكمة التمييز (٥٦) .

قبل ان تنجز اللجنة مهمتها اشتعلت الثورة السورية حتى شملت معظم المناطق اللبنانية . وكان من البديهي أن تتأثر الحياة السياسية اللبنانية في هذه المرحلة من تطورها بالأحداث الراهنة آنذاك .

(٥٦) Edmond Rabbath: La formation historique du Liban politique et constitutionnel P.366 Beyrouth 1973 .

الفصل الثاني

لبنان من اعلان الدستور حتى المعاهدة ١٩٢٦ - ١٩٣٦

لما كانت الأوضاع السياسية والادارية في «دولتي المشرق» سوريا ولبنان مترابطة ترابطاً وثيقاً ، وكان مصير البلدين متلازماً ماضياً وحاضراً لذلك رأينا أنه لا بد لنا - في سياق بحثنا عن الأحداث اللبنانية - من التطرق إلى تلك الأوضاع السورية في تلك المرحلة بما يخدم دراستنا في شأن الوضع السياسي في لبنان .

يكاد يجمع الباحثون على أن الثورة السورية التي انطلقت من جبل العرب كانت نتيجة احداث مباشرة وغير مباشرة . يتصدر سوء الادارة الأسباب غير المباشرة للثورة . وحسب محضر جلسات اللجنة الدائمة في جنيف ، «يتحملها بالدرجة الأولى ممثلو الدولة المنتدبة المختلفون ، في حين أن بعض هؤلاء الأشخاص كانوا عرضة لتهم خطيرة ولا سيما في البرلمان الفرنسي . أما الشكاوى التي وردت (إلى هيئة الأمم) من هيئات مختلفة فمعظمها سوري وبعضها لبناني ، وأكثرها يشكو من الدولة المنتدبة أو من معظمها» . كذلك تضمنت الشكاوى السياسية الخارجية ، «أن السياسة الخارجية التي اداراتها فرنسا بالنيابة عن بلاد الانتداب كانت موضوع شكويين من أصحاب العرائض فقد جزعوا أولاً لأن أهالي سوريا ولبنان لم يكن لهم اشتراك بالعمل في هذا الميدان ، وهم ينتقدون الدولة المنتدبة ثانياً لأنها تخلت بدون مبرر عن بعض الأراضي التي لبلاد الانتداب وتنازلت عنها لجيرانها» . ويضيف المحضر «وقد تألفت المعارضة من الطبقات العليا من أعظم الدوائر نشاطاً واستقلالاً ، وهذه هي الطبقات التي ترتفع اصواتها بأعظم الحاح وهم الأحزاب التي تقدمت الاشارة إليها هي التي تنطق بمطالب تلك الطبقات . ومن أهم هذه المطالب - وهذا جدير بالذكر - المطالبة بالاعتراف حالاً باستقلال سوريا التام وسيادتها .

ومن الممكن تعليل العداوة التي أظهرها فريق ذو نفوذ من الطبقات السورية نحو نظام الانتداب بأن هذه الطبقات ترى أن كل تدخل أوروبي مهما يكن نوعه ينذر بحرمانهم من

المزايا التي يتمتعون بها . وترى هذه الطبقة من المعارضين ان استقلال البلاد ينطوي على صيانة المراكز التي كسبوها واستبقاء العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بدون تغيير .

نعم أن قسماً كبيراً مما يمكن أن يدعى طبقة قادة الرأي ولا سيما في لبنان قد عضد الدولة المنتدبة بغيرة واخلاص نوه بها مراراً الممثل المنتدب في أثناء المناقشات ولكن اللجنة وقفت على حوادث عديدة دلت على أن هذه الملاحظات لم تظهر تلك المزايا الحيوية المهمة القائمة على الاخلاص للمصلحة العامة والرغبة في تحمل المسؤولية والروح العلمية والنزاهة الشخصية التي يمكن أن تنتظر بحق وعدل ممن يخدمون الحكومة أو يمثلون الجمهور»[١] .

إلى جانب سوء الادارة كانت الأوضاع الاقتصادية في بلدان المشرق تعاني من كساد خطير وعوزٍ حادٍ . ويشير محضر اللجنة الدائمة للانتداب بخصوص ذلك ، «أن بلاد الانتداب تصاب بضرر مزدوج من جعل نظام النقد مؤسساً على اقتران العملة السورية بالعملة الفرنسوية لأن تقلب سعر الفرنك الفرنسوي لا بد من أن يحدث تأثيراً سيئاً على حالة سوريا ولبنان الاقتصادية»[٢] .

وساهم في اندلاع الثورة السورية انتشار الروايات حول المتاعب التي يواجهها الجيش الفرنسي في قمع ثورة الريف المغربي . وكانت فرنسا قد سحبت اعداداً كبيرة من جيشها من المشرق إلى المغرب .

أما الأسباب المباشرة للثورة السورية فقد ظهرت في مطلع نيسان ١٩٢٥ حين قابل وفد درزي الجنرال ساراي لتقديم شكوى ضد تصرفات مسيئة يقوم بها حاكم جبل العرب الفرنسي الكابتن كاربيه وللمطالبة بتنفيذ اتفاق ١٩٢١ بين زعماء الجبل والسلطات الفرنسية والتي تنص على أن يكون حاكم الجبل درزياً . أثناء ذلك كال المفوض السامي المديح للكابتن واعتبر الاتفاقية وثيقة تاريخية لا تصلح لشيء . هذه السلبية من المسؤول الفرنسي تجاه مطالب الدروز فضلاً عن مطالب القيادات الوطنية اللبنانية السورية كانت تحمل في طياتها بداية الثورة ضد الوجود الفرنسي في المشرق العربي . وبالتالي اعتبر الدروز انفسهم في حل من احترام القوانين الفرنسية . وبمناسبة عيد الأضحى احتفل الدروز على طريقتهم

(١) تقرير مقدم إلى مجلس جمعية الامم عن اعمال لجنة الانتدابات الدائمة في اجتماعها الثامن الذي عقد في رومة من ١٦ فبراير إلى ٦ مارس ١٩٢٦ - المطبعة العربية بمصر ص ٧ - ٩ .
(٢) نفس المصدر ص ١٠ .

باطلاق الرّصاص ابتهاجاً وتحدٍ لسلطات الاحتلال الفرنسي . في أثر ذلك اعتقلت السلطات الفرنسية عدداً من مطلقي الرصاص وغرمت أهالي مدينة السويداء الأموال . وفي ١٢ تموز ١٩٢٥ استدعى الجنرال ساراي خمسة من زعماء الدروز بحجة الاستماع إلى شكواهم لكنه أمر باعتقالهم . فكان ذلك بداية اندلاع الثورة . وحسب التقرير المقدم إلى عصبة الأمم عن أعمال لجنة الانتدابات الدائمة «ان امتداد الثورة من جبل الدروز إلى دمشق والأقطار الأخرى يعود إلى الأسباب التالية :

- فشل المساعي الأولى التي بذلت لقمع الثورة وقد صدر الأمر باجرائها بدون استعداد كاف فلم يكن بد من أن تشجع الثورة على تعزيز الأمل بالفوز في نفوس الناقمين .
- تدخل عصابات لا ضابط لها طامعة في النهب .
- الدعاية التي نشرها السكان المعادون للانتداب بما لهم حق النفوذ الاجتماعي والسبب الأخير هو الأهم : القلق والاستياء الدفين اللذان كانا سائدين في أقطار مختلفة في سورية ولا سيما في دمشق»[٣] .

لم تكن شمولية الثورة للمناطق الأخرى لتشير إلى أن الأزمة في جوهرها ازمة «حاكمية جبل الدروز» بقدر ما كان للتسلط الفرنسي على مقدرات البلاد من اثر في زيادة حالة الفقر والبطالة التي كانت منتشرة على نطاق واسع . وكان للشعارات التي اطلقها القيمون على الثورة وخاصة مسألة وحدة البلاد السورية أثر في التقاء كل القوى الوطنية السورية واللبنانية حولها .

وفيما كانت الثورة تمتد إلى مناطق متعددة من لبنان الكبير راح أنصار الكيان اللبناني يطالبون المفوضية العليا الفرنسيّة بوضع قانون أساسي للبنان . ويتضح ذلك من مناقشات مجلس النواب اللبناني بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٢٥ . فقد وافقت الأكثرية على اقتراح قانون جاء فيه «لما كان المجلس النيابي يمثل السلطة المحلية في البلاد ، لذلك نطلب من الدولة المنتدبة أن تقدم القانون الأساسي اليه ليتفق وإياها على وضعه ، عملاً بنص المادة الأولى من صك الانتداب»[٤] .

لم تأخذ سلطات الانتداب الفرنسي بقرار البرلمان اللبناني لأنها كانت مرتبكة بتطورات

(٣) نفس المصدر ص ١٢ .
(٤) ملحق النهار ١ كانون الثاني ١٩٧٥ ص ٥٣ بيروت .

الثورة السورية وانعكاساتها على صعيد المشرق والمغرب العربي . ولهذا استبدلت الجنرال ساراي بمفوض سامي مدني هو عضو مجلس الشيوخ الفرنسي دي جوفنيل .

في ٢٥ تشرين الثاني وصل دي جوفنيل إلى القاهرة واستقبل لجنة سورية فلسطينية تقدمت بحل لأنهاء الثورة السورية يقوم على انسحاب الجيش الفرنسي والغاء الانتداب من بلدان المشرق . لم يجد ذلك الحل قبولاً فأدى إلى وقف المباحثات وانتقال المفوض السامي إلى بيروت . في البدء لم يلجأ دي جوفنيل إلى استعمال العنف على أمل كسب ثقة الثوار . لكن رجحان كفة المعركة لصالح الثوار ، الذين سيطروا على معظم مناطق سوريا وراشيا وحاصبيا وشمال لبنان وقسم من جبل لبنان ، دفع بسلطات الانتداب الفرنسي إلى اللجوء إلى سياستها التقليدية وهي خلق صراعات بين ابناء بلاد المشرق وذلك عبر اللعب على الوتر الطائفي وهي أرضية صالحة لمثل هذه الطروحات وقد رافق امتداد الثورة إلى مناطق تضم طوائف مختلفة عمليات انتقام من بعض المسيحيين المحسوبين على الانتداب الفرنسي . حسب مصادر صحفية غربية أن الفرنسيين نجحوا في تجنيد اعداد من المسيحيين وخاصة الموارنة [٥] .

في ١٠ تشرين الأول ١٩٢٥ اعلن بول بنكور وبموافقة الكي دورسي وقف عمل لجنة الدستور في لبنان بحجة الافساح بالمجال للمفوض السامي دي جوفنيل لتدبير أمر ذلك بالتشاور مع السلطات المحلية فيه . وعندما أيقن المفوض السامي أن المشكلة السورية مستعصية الحل وجه اهتمامه لمنح لبنان دستوراً كمكافأة له على ترحيبه في أكثر من مناسبة بمبدأ الانتداب . فعند نزول دي جوفنيل من الباخرة في ميناء بيروت سلمه الحاكم كايلا قراراً وضعه المجلس النيابي للبنان الكبير بشكر فرنسا التي كان جيشها سعيداً بوجود الدرك اللبناني إلى جانبه يقاتل على الأراضي اللبنانية ولحماية سكانه وللمحافظة على استقلاله [٦] .

في ٤ كانون الأول ١٩٢٥ أعلن دي جوفنيل بأنه طلب من الحاكم الفرنسي كيلا بدعوة المجلس النيابي إلى دورة استثنائية لكي يعهد اليه في وضع دستور لبنان . ويشير النائب السابق يوسف سالم ، احد اعضاء اللجنة المنتخبة لوضع الدستور بما يلي «لم يضيع المجلس وقته بل إنه بادر إلى انتخاب لجنة لوضعه برئاسة موسى نمور من الأعضاء ميشال شيحا ـ شبل دموس ـ عمر الداعوق ـ يوسف الخازن ـ فؤاد ارسلان ـ يوسف سالم ـ جورج زوين ـ بترو طراد ـ روكز أبو ناضر ـ صبحي حيدر ـ يوسف الزين ـ جورج ثابت ـ عبود عبد الرزاق .

---

(٥) - M.A.E.F Série (Syrie - Liban) 1918 - 1929 N 214 P 168 - 169 .

(٦) السعيد، أمين: المصدر مذكور ص ٣٨٣ .

واختارت اللجنة ميشال شيحا مقرراً . وعينت المفوضية العليا كلاً من شارل دباس والمستشار القانوني مسيو سوشه لمؤازرة اللجنة» [٧] .

رأت اللجنة أن تقوم باستفتاء على بعض النقاط المحددة فوجهت إلى الأعيان ورؤساء الطوائف والموظفين اسئلة تتعلق بالأسس التي يجب أن يرتكز عليها الدستور . تناولت الأسئلة الموضوعات التالية :

١ ـ ما شكل الحكومة : ملكية دستورية أو جمهورية؟ (*)

٢ ـ هل يجب أن يتألف البرلمان من مجلس أم مجلسين ؟

٣ ـ هل تكون الوزارة مسؤولة أمام رئيس الدولة أم أمام البرلمان ؟

٤ ـ ما هو الأفضل : المسؤولية الوزارية الفردية أو المسؤولية الوزارية التضامنية ؟

٥ ـ ما هو الأفضل : تعيين اعضاء مجلس الشيوخ أو انتخابهم ؟

٦ ـ هل يجب اعتماد الطائفية أساساً لتوزيع المقاعد في البرلمان (*) [٨] .

بلغ مجموع الشخصيات التي وجهت إليهم الأسئلة ١٨٩ شخصية . أبدت ١٣٢ شخصية رأيها في حين تجاوب الزعماء المسيحيون في الرد على الأسئلة إلى جانب بعض القيادات الشيعية واستنكفت الأكثرية الاسلامية عن الاجابة بل وجهت عرائض وبرقيات تذكر بمطالبها السابقة بالوحدة مع سوريا على أساس اللامركزية [٩] .

هال دي جوفنيل قيام أكثرية المسلمين في لبنان يطالبون بالانفصال والانضمام إلى

---

(٧) سالم، يوسف: ٥٠ سنة مع الناس ص ٦٥ أ ٦٦ دار النهار للنشر ١٩٧٥ بيروت .

(*) تلقت اللجنة ١٢٠ جواباً بالموافقة على النظام الجمهوري مقابل ١٢ جواباً طالبوا بالنظام الملكي .

(*) تلقت اللجنة اجوبة يجمعون فيها مرسليها على الغاء الطائفية لكن يفضل ١٢١ جواباً بأن يكون التمثيل في الادارات على أساس طائفي .

- Voir Jean La Pierre: Le mandat français en Syrie O.P cité P.119 .

(٨) سالم، يوسف: مصدر مذكور ص ٦٦ .

(٩) أشار ملحق النهار بتاريخ ١ كانون الثاني ١٩٧٥ إلى العرائض التالية :

ـ قرار اعيان الطائفة الاسلامية في بيروت بتاريخ ٩٢٦/١/٥ .

ـ عريضة قيادات صيدا ٩٢٦/٢/٩ .

ـ عريضة «الامة الطرابلسية» إلى رئيس المجلس النيابي اللبناني ٩٢٦/١/٩ .

ـ عريضة قاضي بيروت ومفتي بيروت ٩٢٦/١/٩ .

ـ قرار مجلس بلدية بعلبك ٩٢٦/١/١١ .

ـ عريضة مفتي طرابلس وقاضي طرابلس ٩ كانون الثاني ١٩٢٦ .

الوحدة السورية . فقرر اتخاذ اجراءات وقائية لوقف الحركة الانفصالية . في ١٧ كانون الثاني ١٩٢٦ اذاع بلاغاً رسمياً بهذا الشأن وجاء فيه «يتلقى منذ زمن المفوض السامي كثيراً من المضابط المعارضة بعضها ما يرمي إلى اقتطاع هذا القسم أو ذاك من لبنان ومنها ما يطلب ابقاء الحدود الحالية على ما هي ، فهذه المضابط غير مفيدة . . .

أما الذين يتعرضون للحدود فانهم يثيرون عداوات الجنسيات والأديان ويجعلون الاتفاق بين الدول مستحيلاً .

وهكذا فانهم يقفون في وجه الوحدة الحقيقية التي تقوم بتوثيق علاقات المودة والمصلحة» (١٠) . كما حذر حاكم لبنان ليون كيلا بعض الموظفين في الادارات الرسمية لاشتراكهم في الحملة التي ترمي إلى فصل بعض المناطق عن لبنان . وطالبهم في حال الاستمرار بالاستقالة (١١) . وكان يقصد كيلا بشكل أساسي قضاة الشرع ورجال الافتاء المسلمين الذين يتقاضون معاشات من خزانة الدولة اللبنانية .

الملاحظ في سياق تطور الأحداث أن استمرار المعارضة الاسلامية بقي رهناً بميزان القوى ما بين الفرنسيين من جهة والثوار من جهة أخرى . أمام تعاظم دور الثوار اضطر المفوض السامي دي جوفنيل إلى التسليم كلامياً ببعض المطالب وفي مقدمتها العمل على تحقيق وحدة البلاد السورية . جاء ذلك في خطاب له في دمشق أثناء استقبال وفد من الوجهاء السوريين «أن فرنسا من جهتها ستتكفل نحو كل الشعوب بأن الالتزامات ستحترم وستبدي إليها المشورة التقنية التي ستقود «الولايات المتحدة من سوريا ولبنان» في طريق التقدم الحديث وتصونها ضد كل تهديد لحدودها الخارجية والاستقلال الوطني» (١٢) .

أثارت عبارة «الولايات المتحدة من سوريا ولبنان» تخوفاً عند أنصار الكيان اللبناني فاعتبروها مساً بالسيادة اللبنانية . حينئذ اتخذت الحكومة اللبنانية عدة إجراءات طالت نشاط أنصار الوحدة السورية . في ١٣ كانون الثاني أصدرت قراراً بحل المجلس البلدي لمدينة بعلبك لموقفه المؤيد للوحدة السورية . وحذرت اللبنانيين من القيام بنشاطات معادية للكيان اللبناني . لم يكترث أنصار الوحدة السورية لاجراءات الحكومة اللبنانية لأنهم كانوا يدركون مدى الارباك المسيطر على موقف الانتداب الفرنسي الذي راح يفتش عن حل مؤقت

---

(١٠) **السعيد، أمين**: مصدر مذكور ص ٤١٦ - ٤١٨ .
(١١) نفس المصدر ص ٤١٦ .
(١٢) M.A.E.F Rapport à la S.D.N sur la Syrie et Liban P.37 Paris 1926 .

بما يسمح له الانقضاض فيما بعد على أي مكسب يعطى .

في ٢٧ نيسان سمى المندوب السامي الفرنسي الدامادا احمد نامي رئيساً للحكومة السورية ، وهو زوج احدى بنات السلطان عبد الحميد ومن أسرة مسلمة غنية من أصل شركسي وكان يقيم منذ أمد في بيروت . قبل الرئيس المكلف المهمة بشروط ثلاث :

١ ـ وضع بمعاهدة لثلاثين سنة بين الدولة المستعمرة وسوريا تكون أساساً لممارسة الانتداب .
٢ ـ حق سوريا في وضع دستورها .
٣ ـ فتح مفاوضات بين الدويلات السورية لتحقيق الوحدة .

في ١٥ أيار قبل دي جوفنيل ما تضمنه البيان الوزاري لحكومة أحمد نامي الرامي لتحقيق الوحدة السورية «بما يوفر للأمة نتائج مثمرة» (١٣) .

ويقول غالب العياشي «أرسل المندوب الفرنسي إلى الدامادا احمد نامي رسالتين بخط يده . اعترف بالأولى بحق سوريا في الحصول على مرفأ بحري . وتعهد باعطاء طرابلس مع عكار على طول خط سكة الحديد إلى بعلبك فتتصل طرابلس بدمشق بدون أن تمر السكة بأراضي لبنانية . وفي الوثيقة الثانية سلم بضرورة الوحدة السورية وعهد بتحقيقها على أساس التفاهم بين فرنسا وسوريا ولبنان من جهة أخرى والرسالتان مكتوبتان في أواخر شهر أيار ١٩٢٦ . وكانتا محفوظتين عند الدامادا احمد نامي ولم تنشر» (١٤) .

يرجح صحة هاتين الوثيقتين والتي أشار اليها أيضاً الكاتب أمين السعيد ، أن تعاظم دور الثورة قد حرك الرأي العام الفرنسي وفي طليعتهم الحزبين الاشتراكي والشيوعي .

هال أنصار الكيان اللبناني حزم أنصار الوحدة السورية في موقفهم . لذلك استعجلوا وضع دستور للبنان حتى يكرس كدولة . يقول يوسف سالم أحد اعضاء لجنة وضع الدستور «غير أن اللجنة لم تنتظر ورود الأجوبة بل نشطت للعمل على الفور . ولم تكن الرسائل قد وصلت إلى أصحابها بعد ، حين بدأ ميشال شيحا يضع نصوص الدستور مستلهماً الدستور الفرنسي الصادر سنة ١٨٧٥ . ومستمداً منه معظم نصوص الدستور اللبناني العتيد . . .
وصار ميشال شيحا كلما وضع مادةً أو فصلاً أو نصاً عرضه على الرئيس موسى نمور وعلى كل

---

(١٣) نفس المصدر ص ١٧ .
(١٤) **العياشي، غالب**: الايضاحات السياسية واسرار الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان ص ٣٠٨ . مطابع الاشقر بيروت ١٩٥٥ .

واحد منا نحن أعضاء اللجنة لتمحيصه والتعليق عليه وابداء الرأي فيه» (١٥) .

ويؤكد القانوني الفرنسي سورل صحة كلام سالم (١٦) بينما يشير ادمون رباط إلى عكس ذلك «لم تذكر محاضر جلسات المجلس التمثيلي ما حدث لهذه اللجنة ، ولكن يبدو أنها شرعت في أعمالها منذ هذا التاريخ ، وأنها وضعت بياناً بالأسئلة التي كان ينبغي توجيهها ، على سبيل الاستشارة . . .

وبعد ورود الأجوبة عن هذه الأسئلة تولت لجنة فرعية منبثقة عن اللجنة المؤسسة ، مهمة وضع المشروع الأول للدستور . ويبدو أن هذا المشروع أحيل في أصله عليها ، من جانب المفوضية العليا حيث تم وضعه . . .» (١٧) .

لكن من المؤكد أن مجلس النواب اللبناني بدأ مناقشة مسودة الدستور في ١٩ أيار ١٩٢٦ وقد استغرقت عدة جلسات طويلة كانت تعقد قبل الظهر وبعده حتى يوم ٢٢ أيار . وفي اليوم التالي حضر للفوض السامي هنري دي جوفنيل إلى المجلس وأعلن فيه وضع الدستور موضع التنفيذ . وفي اليوم الثاني من اعلان الدستور اتخذ المفوض السامي قراراً بتعيين مجلس الشيوخ الجديد ، الذي لحظ الدستور انشاءه ، وما لبث هذا المجلس أن عقد ، في ٦ أيار ، بالاشتراك مع المجلس النيابي اجتماعاً مشتركاً انتخب فيها الأرثوذكسي شارل دباس رئيساً للجمهورية اللبنانية وبوحي من المفوضية العليا طبعاً .

ويقول النائب يوسف سالم «لم يكن هناك سوى مرشح واحد للرئاسة هو شارل دباس الذي أشار المفوض السامي باختياره . فانتخب بالاجماع وكان أول رئيس للجمهورية اللبنانية» (١٨) .

نص الدستور اللبناني ، الذي واجهه اعتراض أنصار الوحدة السورية ، على تكريس لبنان الكبير ضمن حدود غير قابلة للتعديل وأناط السلطة التشريعية بمجلسين ، مجلس النواب ومجلس الشيوخ : كما حرص على اعتماد الطائفية في توزيع المقاعد . وعلى نظام الانتخابات العامة على مرحلتين للذكور فقط . أما السلطة الاجرائية فقد اناطها الدستور برئيس جمهورية غير مسؤول منتخب من المجلسين مجتمعين ويعاونه مجلس وزراء ، .

---

(١٥) سالم، يوسف: مصدر مذكور . ص ٦٧ .

(١٦) Sorel-Jean - Albert: Le mandat français et l'expession économique P.64. Thèse droit 1929 . Paris .

(١٧) ملحق النهار ١٠ كانون الثاني ١٩٧٥ بيروت .

(١٨) سالم، يوسف : مصدر مذكور ص ٧٠ .

شعر أنصار الكيان اللبناني بالارتياح إلى وضع الدستور موضع الاجراء . لكن البطريركية المارونية أبدت معارضتها لتعيين أرثوذكسي لمنصب الرئاسة الأولى وقدمت احتجاجاً بذلك إلى المفوض السامي الذي وعدهم باعطاء الرئاسة الأولى المقبلة إلى الطائفة الأكثر عدداً . بعد هذا التاريخ كرست رئاسة الجمهورية في لبنان للطائفة المارونية .

أول ما بادر اليه شارل دباس هو تهدئة النفوس بخصوص سلامة حدود لبنان . جاء ذلك في خطاب له القاه في ١٣ حزيران في جامعة القديس يوسف «اعلن بصراحة أن هذا القلق لا مبرر له . . . لأن الدستور كرس ثبوت كل جزء من الأراضي اللبنانية ، وأعلن ان الحدود اللبنانية لا تمس»(١٩) . أثار الخطاب حفيظة الوزراء السوريين الذين قدموا احتجاجاً إلى رئيس الحكومة احمد نامي باعتباره يعرقل تحقيق الوحدة السورية وهي أهم المطالب الوطنية ، ويعارض صراحة الوعود التي قطعها المفوض السامي شفهياً وكتابة . لم تهدأ الضجة حول الموضوع إلا بحضور ممثل عن المفوض السامي إلى دمشق الذي أوضح لرئيس الحكومة ما يلي: «انكم تبلغوني الاحتجاج الذي حصل في سوريا من جراء بعض كلمات تلفظ بها رئيس الجمهورية اللبنانية المجاورة . فأسارع إلى القول أن هذه الكلمات صدرت بطريقة عفوية ولا يمكن إلا أن تلزم مسؤوليته الخاصة ولا تلزم أبداً مسؤولية المفوض السامي الذي لم يعرف بها إلا بعد اعلانها .

عرض الرئيس اللبناني وجهة نظره وانتم تعارضون كلامه وتعرضون وجهة نظر معاكسة . ففي هذه الحالة ، يجب على السلطة المنتدبة أن تكون حكماً نزيهاً كما يلزمها واجبها ورسالتها لن تخطىء . ويمكنكم أن تتأكدوا في هذه النقطة كما في غيرها أنه لن يتغير شيء من تصريحات المفوض السامي . ليس فيه كلمة زائدة ، ولن يحذف منه أية كلمة .

والآن وقد عرضت القضيتان على الدولة المنتدبة ، فمن الحكمة ـ في رأي ، عدم التمسك في الوقت الحاضر بجدل قابل للتسمم ، وانتظاراً للمحادثات السلمية التي تنتظرونها مع عودة جو سلمي يناسب أكثر للمفاوضات» (٢٠) .

وكان الوزراء السوريون قد التمسوا من المفوض السامى عدم موافقته على الدستور اللبناني لأنه يتضمن نصاً يشير إلى «عدم المساس بالأراضي اللبنانية» أثناءها أجاب دي

---

(١٩) - M.A.E.F : Rapport à la S.D. N. sur la Syrie et Liban P 21. Paris 1926.

(٢٠) نفس المصدر ص ٢١ - ٢٢ .

جوفنيل «ان الطرفين يستطيعان أن يتفاوضا بحرية ، لأن السلطة المنتدبة تخشى أن يضطرب الأمن بينهما وهي تقدم حكمها في حال عدم التوصل إلى اتفاق» (٢١) .

لم تسلم القوى السياسية اللبنانية المؤيدة للوحدة السورية بالواقع الذي استجد بعد إقرار الدستور اللبناني . بل راحوا يجاهرون علانية بمواقفهم السابقة .

في ٣٠ أيار ١٩٢٦ وجه زعماء العشائر في الهرمل وبعلبك نسخة عن مقررات اجتماع عقدوه إلى كل من سلطان باشا الأطرش وإلى اللجنة التنفيذية بمصر وإلى الدكتور شهبندر وإلى الوفد السوري في أوروبا وعصبة الأمم وتضمنت «لا يمكن تأمين حياتنا في داخل لبنان أصلاً حيث حقوقنا السياسية والقومية مهضومة وستبقى مهضومة أبد الدهر . وها نحن نؤيد مطالبنا المشروعة بالسلام وباشتراكنا في الثورة العامة ولا نترك سلاحنا من أيدينا ما لم نعد إلى حضن أمنا سوريا حيث منطقتنا محصورة بين حمص وبعلبك وطرابلس ومرفأ اقتصادياتنا حمص وجميع معاملاتنا الداخلية وقد اهديت الهرمل لقمة سائغة للبنان مع أنها سورية جغرافياً وتاريخياً» (٢٢) .

في ١٥ أيلول رفعت مذكرة إلى عصبة الأمم جاء فيها «نحن الموقعين التجار وأصحاب الأملاك ، المحامين ، الأطباء ، المهندسين الممثلين للرأي العام في البلاد الملحقة بلبنان من دون موافقة سكانها ننتهز فرصة اجتماع مجلس عصبة الأمم نكرر احتجاجنا على ضم مناطقنا إلى لبنان بناء على ما يسمونه قانون أساسي وضع من غير اشتراكنا وعلى غير الارادة الوطنية بدليل أن نوابنا رفضوا الموافقة عليه في جلسة مجلس النواب اللبناني التي عقدت في ١٩ أيار ونطالب بالوحدة السورية على أساس السيادة القومية ونرجو أن تتدخل عصبة الأمم تدخلاً فعلياً توصلاً إلى حل المسألة السورية حلاً عادلاً طبقاً لمبدأ الحق وأماني السكان الاجتماعية» (٢٣) .

رغم المعارضة لسياسة الانتداب الفرنسي مضى هذا الأخير في تثبيت وجوده في المشرق يلغي ويحدث ما يشاء في قوانين البلاد حتى التي أشرف على وضعها . لم يكن المجالس التمثيلية والتشريعية في المشرق أية صلاحيات حقيقية في التطبيق العملي . فضلاً عن أن عدد النواب في المجلس كان يخضع في كل مرة لمزاجية المفوضية العليا وليس لضرورة وطنية .

(٢١) نفس المصدر ٢٢ .
(٢٢) السعيد، أمين: مذكور ص ٤٦٥ .
(٢٣) Eugene Jung: L'islam et l'Asie devant l'imperialisme P. 92 - 93 Paris 1937 .

فالمجلس الأول كان مؤلفاً من ثلاثين نائباً . وعندما دمج فيه مجلس الشيوخ عام ١٩٢٧ باسم «المجمع اللبناني» أصبح العدد ستة واربعين نائباً . وفي العام ١٩٢٩ جعل العدد خمسة وأربعون ثم خفض العام ١٩٣٤ إلى خمسة وعشرين ثم ارتفع إلى ثلاثٍ وستين ثلثهم بالتعين والثلثان بالانتخابات .

كل الانتخابات التي جرت بين ١٩٢٢ و ١٩٣٤ كانت على درجتين وعندما وضع المفوض السامي الكونت دي مارتيل الدستور المؤقت في ظل حكومة لبنانية مؤقتة عدل قانون الانتخاب وجعل الانتخاب على درجة واحدة، بالاضافة إلى سنة تعيين النواب بمراسيم تصدرها السلطة التنفيذية .

أحدث إقرار الدستور اللبناني واخماد الثورة السورية فيما بعد تغييراً في مجرى الصراع الوطني في بلاد المشرق لجهة النهج الكفاحي الوطني بما يتلاءم والوضع المستجد . في تلك المرحلة اتسم الكفاح بالمظاهرات السلمية حيناً والصاخبة احياناً ، واعلان الاضراب في مختلف القطاعات ، وإثارة الحملات الدعائية في الصحف والبيانات وغيرها من طرائق النشر . اتخذ القيمون على هذه التحركات من تدهور الحالة الاقتصادية والتجارية والضائقة المالية الخانقة والتي كانت تطال معظم فئات الشعب اللبناني على اختلاف مذاهبهم وسيلة لترويج أغراضها السياسية وأهدافها الوطنية . وفي بعض الأحيان لم يقتصر الإحتجاج على دعاة الوحدة السورية ، حتى أنصار الكيان اللبناني والانتداب الفرنسي رفعوا الصوت احتجاجاً على ممارسات رجال المفوضية الفرنسية في بيروت . في ٢٣ أيلول ١٩٢٦ أرسلت الجمعية اللبنانية في باريس مذكرة إلى رئيس الحكومة ووزير الخارجية الفرنسي تتضمن الشكوى من الممارسات الخاطئة واللامبالاة تجاه مطالب اللبنانيين . وأشارت المذكرة إلى أن المفوضين الفرنسيين الذين تعاقبوا على سدة المفوضية العليا في بيروت ملأوا البلاد بالموظفين والمحسوبين بما لا تتحمله ميزانية البلاد (٢٤) . بالمقابل تجمع تقارير المفوضية العليا في بيروت والمرفوعة إلى باريس على تحميل رجال السياسة اللبنانيين مسؤولية الهدر في ميزانية الدولة لأن السمة العامة لسلوكهم تجاه الدولة هو التنازع على المكانة والنفوذ والضغط على توظيف أزلامهم في المؤسسات العامة. في الوقع هذا لا يعفي سلطات الانتداب من مسؤولياتها لأنها كانت سلطة الوصاية فكانت تنفذ رغبات أنصارها المحليين بهدف كسب ولائهم لسياستها الاستعمارية في المنطقة

(٢٤) Idem P. 95.

في حين تحققت تطلعات أنصار الكيان اللبناني بقيام دولتهم ، بقيت المعضلة الأساسية التي تواجههم هو خلق ولاء وطني شامل في المناطق التي ضمت إلى جبل لبنان عام ١٩٢٠ . لم يكن تحقيق ذلك بالأمر السهل لأن التركيبة الطائفية التي ضمنها الدستور اللبناني ومورست عملياً لم تؤد إلى ولادة شعور وطني بالمفهوم العام لبناء الأوطان . فقد عرقل الإنتداب إنطلاقاً من مصلحته بالهيمنة كل اتفاق لبناني على قواسم مشتركة . ففي أعقاب اعلان الدستور شغلت المفوضية العليا رجال السياسة اللبنانيين بتوزيع المغانم في الدولة اللبنانية . من هنا يلاحظ قصر عمر الوزارات اللبنانية خلال فترة السيطرة الفرنسية .

في ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٦ استبدل دي جوفنيل بمفوض سامي آخر هنري بونسو (عسكري) الذي أعلن عن اجراءات ينوي تطبيقها لاستتباب الأمور في بلدان المشرق . فقد وجد أنصار الوحدة السورية أن بيان بونسو لم يأت بجديد عن تصريحات أسلافه لناحية جلاء الريبة من نفوس سكان المشرق . إن ما أعلنه من اجراءات لا يتفق مع ما تنتظره البلاد ، ولا يعتبر مؤشراً على إيجاد مناخ للتفاهم لأنه لا يعترف للأمة بالحرية في صحافتها وتشكيل احزابها ورفع الأحكام العرفية والغاء النفي الاداري وسياسة الأبعاد . فضلاً عن أن بيان بونسو اعتبر سورية اجزاء مفككة متباينة وراعى الطائفية في التقسيمات الادارية . لذلك توجب على قادة العمل الوطني تكثيف اللقاءات لمواجهة اجراءات بونسو .

في ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٧ التقى الوطنيون في سورية ولبنان في مؤتمر عقد في بيروت حيث اصدروا بياناً يحمل مطالب طالما رددتها الهيئات والوفود المختلفة إلى المفوضين السامين السابقين وهي وحدة البلاد واستقلالها وتأليف مجلس تأسيسي وعقد معاهدة [٢٥] . ومنذ العام ١٩٣١ راحت بيانات الوطنيين تصدر باسم «الكتلة الوطنية» . وبتوقيع هاشم الأتاسي . ضم مجلس الكتلة ثمانية أشخاص من لبنان هم : محمد عارف الحسن ، عبد اللطيف بيسار ، عبد الحميد كرامي من طرابلس ، رياض الصلح وعبد الرحمن بيهم من بيروت والأمير أمين أرسلان وشكيب ارسلان من جبل لبنان وسعيد حيدر من بعلبك .

في ٢٣ حزيران ١٩٢٨ التقى انصار الوحدة السورية في مؤتمر عقد في دمشق بدعوة من رياض الصلح ، وضم وفوداً من بلاد العلويين والأقضية التي ضمت إلى لبنان الصغير ، لمطالبة الجمعية التأسيسية السورية لوضع الدستور يلحظ مادة خاصة في صلب الدستور تنص

(٢٥) د. قرقوط، ذوقان: تطور الحركة الوطنية في سوريا ١٩٢٠ - ١٩٣٩ ص ١٠٣ - ١٠٤ دار الطليعة ١٩٧٥ بيروت .

على أن سوريا هي دولة واحدة مستقلة ذات سيادة وذات وحدة سياسية لا تتجزأ [٢٦] .

من جهة أخرى واجهت المفوض السامي بونسو مشكلة التوفيق بين أنصار الكيان اللبناني الذي تعددت أوجه الخلاف بينهم على تشكيل الوزارة وعلى الصلاحيات بين مجلس النواب والشيوخ . حينئذ لجأ المفوض السامي إلى تعديل الدستور الذي اقتضى إلغاء مجلس الشيوخ والحاق أعضائه بمجلس النواب . وأمر بالحد من النفقات وتشكيل حكومة ثلاثية برئاسة بشارة الخوري في كانون الثاني ١٩٢٨ . لكن الطوائف غير الممثلة في الحكومة وفي طليعتهم ممثلو الطائفة الشيعية اعتبروها مناسبة لهم للمطالبة بحقوق طائفتهم . ففي جلسة مناقشة البيان الوزاري انسحب صبري حمادة من الجلسة اعتراضاً لعدم وجود وزير شيعي في صفوفها . أما يوسف الزين فابرز في مداخلة له الغبن اللاحق بالشيعة في مؤسسات الدولة اللبنانية لجهة :

- عدم وجود مركز في مديريات الوزارات للطائفة الشيعية .
- عدم اعطائها أي وظيفة كان ، من الوظائف الرئيسية الكبرى التي تؤمل معها حفظ مقامها في الكيان اللبناني [٢٧] .

بعد ثمانية أشهر خلف حكومة الخوري وزارة رباعية برئاسة حبيب باشا السعد التي شهدت التعديل الثاني للدستور بتمديد ولاية رئيس الجمهورية شارل دباس من ثلاث سنوات إلى ست سنوات . في ٨ أيار ١٩٢٩ ، تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة بشارة الخوري للاشراف على الانتخابات والتي لم يفز فيها إلا من كان مرخصاً له من المفوضية العليا بالفوز . خلال هذه السنة وما تلاها تفاقمت الحالة المعيشية في لبنان إلى درك من التردي والسوء لم تشهد مثله منذ الحرب العالمية الأولى لأن فرنسا راحت تحمل اوزار أزمتها الاقتصادية نتيجة انهيار بورصة نيويورك ، إلى مستعمراتها . فقد تعطلت المصانع عن العمل وتكاثرت الافلاسات حتى بلغ عددها في بيروت في ذلك العام ٣٠ إفلاساً وارتفع العدد إلى ثمانية واربعين عام ١٩٣١ . وعندما كان المواطنون يتوجهون بشكواهم في الصحف إلى السلطات ، ويطلبون فيها الالتفات إلى اقتصاديات البلاد واصلاح شأنها كانت تجيبهم على ذلك بتعطيل الصحف بالجملة [٢٨] .

(٢٦) شعيب، علي : مصدر مذكور ص ١٠٤ - ١٠٧ .
(٢٧) جريدة «السفير» في ١٨ شباط ١٩٨٧ بيروت .
(٢٨) الصلح، عادل: حزب الاستقلال الجمهوري من المقاومة الوطنية أيام الانتداب الفرنسي ص ٤٢ . دار الطليعة ١٩٧٠ بيروت .

في تشرين الأول ١٩٢٩ كلف إميل اده بتشكيل حكومة أخذت على عاتقها التقليل من النفقات الحكومية واتباع سياسة التقشف . فكان أول ما بادر اليه إغلاق حوالي ١١١ مدرسة حكومية . تلك الاجراءات زادت النقمة على نظام الانتداب وخاصة من الجانب الاسلامي لأنه اعتبر نفسه أكثر المتضررين من إغلاق المدارس الحكومية . وازداد اعداد المتضررين من سياسة التقشف حتى أخذت تشكل حالة وطنية تجمع مختلف ابناء الطوائف لكن سرعان ما تضعضعت هذه الحالة عندما أعلنت المفوضية الفرنسية اجراء احصاء عام لسكان لبنان ، تتوزع على أساسه الحصص الطائفية في مؤسسات الدولة . لا شك أن طرح موضوع حساس كهذا يعيد إنقسام اللبنانيين فيما بينهم . يقول عادل الصلح أنه في هذه المرحلة «دخلت سوريا ومعها لبنان مرحلة جديدة بات فيها الانتداب ينظر إلى البلاد نظرة جديدة . وانقضى عهد التفكير بالمشاريع الكيفية التي كان رجال الانتداب والطامعون يستنسبونها لحكم المشرق واني أذكر هنا على سبيل المثال مشروع تنصيب الشريف علي حيدر باشا ملكاً على سوريا الذي أطلعت عليه شخصياً» (٢٩) .

جرى الاحصاء في لبنان في جو من التوتر بين الفئات الاسلامية والمسيحية لأن كل فئة تحاول إظهار تفوقها العددي . في شهر كانون الثاني ١٩٣٢ دعت جمعية الشبيبة الاسلامية ممثلي الطوائف الاسلامية إلى اجتماع يعقد في مقرها حيث تقرر تلبية الدعوة للمشاركة في الاحصاء «لما فيه من أهمية لتوزيع الحقوق الطائفية في مؤسسات الدولة» . ثم سميت لجنة دائمة من ثلاثة اعضاء تمثل المذاهب الثلاثة للسهر على حسن سير الاحصاء ولشد انتباه ممثلي الانتداب الفرنسي إلى الحقوق المهضومة لمذاهبهم (٣٠) .

في الطرف المسيحي تولى البطريرك الماروني والمطارنة في ابرشياتهم الحملة في الوسط المسيحي لحملهم على المشاركة بكثافة في عملية الاحصاء . وتوجه البطريرك بنداء إلى رعيته يحثهم على تسجيل المغتربين «لأن مصلحة الأمة اللبنانية تقتضي احصاء مواطنينا» (٣١) .

رغم ذلك شهدت عملية الاحصاء اقبالاً ضعيفاً لأبناء الريف قياساً على سكان المدن

---

(٢٩) نفس المصدر ص ٦٤ .
(٣٠) بيهم، محمد جميل «النزعات السياسية في لبنان» عهد الانتداب والاحتلال ١٩١٨ ـ ١٩٤٥ طبع في دار الأحد بيروت سنة ١٩٧٧ ص ٢٦ .
(٣١) نفس المصدر ٢٨ .

لأن هؤلاء اعتبروا الاحصاء خطوة لفرض ضرائب جديدة لصالح المقاطعجي أو الدولة . فضلاً عن أنهم لم يكونوا على وعي كامل لأهمية الاحصاء .

في الواقع أن المفوضية الفرنسية في بيروت كانت على معرفة تامة بالواقع الانقسامي اللبناني . لذلك لم تلجأ إلى اجراء الاحصاء إلا لأنها ترسخ به الانقسام الطائفي بعدما وجدت تقارباً في وجهات النظر بين انصار الكيان اللبناني وأنصار الوحدة السورية ضد سياسة الانتداب الفرنسي . فقد سبق اجراء التعداد السكاني في لبنان ولادة حزب الاستقلال الجمهوري (*) والذي ضم قيادات من الطوائف الدينية المختلفة . أشارت مبادىء الحزب إلى الغاء الطائفية في لبنان «لأن النظام الطائفي يوجد التنافر والتفرقة بين العناصر الوطنية ، والطائفية تقضي على الكفاءة وتقف حجر عثرة في سبيل أي تقدم . ولا يجوز القول أن النظام الطائفي يحمي الأقليات فليس في لبنان على شكله الحاضر طائفة تجمع وحدها نصف سكانه أو أكثر من النصف . فكل طائفة هي بنفسها أقلية بالنسبة إلى المجموع . ومصلحة البلد تقضي بأن يستعاض عن هذا النظام بنظام الكفاءة والجدارة» (٣٢) .

وفيما كانت المفاوضات دائرة بين المفوض السامي والحكومة السورية بشأن معاهدة في مطلع الثلاثينيات أعد حزب الاستقلال الجمهوري مشروعاً يقدمه للجانب اللبناني في حال جرت مفاوضات بينه وبين فرنسا . أهم بنود هذا المشروع «لبنان دولة عربية مستقلة ذات سيادة» (٣٣) .

من جهة أخرى اعترفت صحيفة فرنسية بصعوبة اجراء أى احصاء فى لبنان في ظل الاعتبارات الطائفية القائمة فيه . «يجب الاعتراف بأن العدد الكبير للطوائف والمذاهب في لبنان ، وكذلك أهمية الاعتبار-الديني في هذا البلد من وجهة نظر سياسية تزيد التعقيد والأخطاء لكل الاحصاءات الديمغرافية» (٣٤) .

بعد نجاح الانتداب في إعادة قسمة اللبنانيين حول الاحصاء أقدم المفوض السامي بونسو في ٩ أيار ١٩٣٢ على تعليق الدستور على أنه تدبير يقصد منه معالجة الوضع

(*) ولد الحزب عام ١٩٣١ وكان يشرف على سياسته الشيخ عزيز الهاشم وعادل الصلح . انظر كتاب عادل الصلح : مصدر مذكور ص ١٣ و ١٤ .
(٣٢) الصلح ، عادل: مصدر مذكور ص ٩٣ .
(٣٣) نفس المصدر ص ١٠٩ .
(٣٤) - Le journal de la «sociéte statistique» P.234 Paris 1945 .

الاقتصادي مع أن هذا التدبير لم يكن في الحقيقة إلا إيغالاً في التعنت بمواجهة تصاعد المد الوطني . وراحت المفوضية العليا الفرنسية تصور لأنصار الكيان اللبناني أن ما جرى هو لصالحهم لأن حظ الشيخ محمد الجسر بالوصول إلى سدة الرئاسة الأولى كان محتملاً . مع أنه كان سهلاً على المفوضية العليا أن تشير إلى النواب المحسوبين عليها بانتخاب من تشاء . تلازم تعليق الدستور بصدور قرار باسناد رئاسة الحكومة إلى رئيس الجمهورية شارل دباس . وبذلك عاد لبنان إلى عهد السيطرة الفرنسية المباشرة .

ويقول النائب السابق يوسف سالم «أن رد البطريركية على قرار تعليق الدستور وما نتج عنه حصر في الاعتراض على ابقاء شارل دباس رئيساً للجمهورية ، وطالبت بوجوب اختيار رئيس من الطائفة المارونية لجمهورية لبنان . وعندما قيل للبطريرك عريضة انك وافقت على قرار المفوض السامي ، أجاب : اجل وافقت لكي احول دون وصول الشيخ الجسر إلى الرئاسة .

وشدد البطريرك انطون عريضة وبعض اقطاب الموارنة حملتهم ، وظلوا يحتجون ويلحون ويوفدون الرسل إلى المفوض السامي ، ويضغطون على الحكومة الفرنسية في باريس، إلى أن عين حبيب باشا السعد بقرار من المفوض السامي رئيساً للجمهورية في العام ١٩٣٣ (٣٥) . اكتفى الطرف الاسلامي بالرد على وقف الدستور برفع شكوى باسم الشبيبة الاسلامية إلى عصبة الأمم في جنيف باعتباره تحدياً يراد منه اقصاء المسلمين عن رئاسة الجمهورية (٣٦) . ووصلت مقر الكتلة الوطنية في دمشق برقية من بيروت جاء فيها : «نستنكر تجزئة قطرنا العربي الصغير، نطلب الوحدة الكاملة على أساس اللامركزية واللاطائفية والعدل» (٣٧) .

كشف وقف العمل بالدستور عن نية الانتداب الفرنسي في خنق الحريات النقابية والديمقراطية . تميز ذلك بالتعطيل الاداري للصحف المعارضة لعدة أشهر أو أكثر ، وبالصراع مع النقابات العمالية التي لجأت في أكثر من مناسبة لاعلان الاضراب بهدف

(٣٥) سالم، يوسف: مصدر مذكور ص ٨٥٦ .
(٣٦) بيهم، محمد جميل: لبنان بين مشرق ومغرب ص ٣٤ ـ ٣٥ مصدر مذكور .
(٣٧) جريدة «الشعب» ١ آذار ١٩٣٣ دمشق .
وقع البرقية : رفيق بحصلي وكامل بكداش - فريد تلحوق-نقولا راهبة، جان سرور- بدري طليع - حسين سجعان - احمد علبي - فيليب عساف - سليم عساف - نصري المعلوف - حليم غزار الدين - محي الدين النصولي - فائز مكارم .

التخفيف من عبء الأزمة المعيشة التي كان يرزح تحت اعبائها عمال لبنان , وكان أبرزها العام ١٩٣٣ اضراب نقابة السواقين العمومين الدي دام ١٤ يوماً شلت فيها المواصلات في جميع الأراضي اللبنانية ، واضراب نقابة عمال المطابع في بيروت التي ارسلت منذ اليوم الأول للاضراب إلى نقابة السواقين رسالة تعلن عن تأييدها لها ، كما اعلنت عن اضراب يوم رمزي . وبعد هذا الإضراب مباشرة اتخذ أصحاب الصحف اجراءً يقضي بصرف بعض العمال وحسم أجر يوم الاضراب مضاعفة من أجور الباقين . لقد ادركت نقابة المطابع أن وراء هذه الحملة مؤامرة مدبرة بين المفوضية العليا الفرنسية وأصحاب الصحف تتجاوز قضية صرف العمال وحسم اجورهم إلى اتخاذ تدابير بحق النقابة تمنعها من القيام بأي نشاط علني وتمنع أيضاً صدور مجلة «اليقظة» التي كانت تشرف عليها .

ولمواجهة هذه الحملة قررت النقابة القيام بحملة مضادة . ففي عدد مجلة «اليقظة» الصادر بتاريخ أول أيار عام ١٩٣٣ نشر مقال افتتاحي حول الاضراب الرمزي وفيه هجوم على أصحاب العمل لموقفهم المتخاذل أمام سلطات الانتداب عندما تلجأ إلى التعطيل الاداري للصحف ، ودفاعاً قوياً عن الحريات النقابية والديمقراطية ، وخاصة حرية النشر (٣٨) . ويشير عادل الصلح في كتابه إلى هذا الموضوع «في ذلك العام جرت محاولة للاحتفال بعيد أول أيار ، ونشطت في هذا السبيل نقابة عمال المطابع ، فجرت مظاهرة ولقاءات طرحت فيها مطالب محددة مما أثار قلق اجهزة الانتداب التي قررت سحب ترخيص نقابة عمال المطابع فأدى ذلك إلى بروز ظاهرة تاريخية هامة حيث بادرت النقابة إلى توجيه إنذار للسلطات بالغاء قرارها خلال مدة معينة . ولما انتهت المهلة المحددة أعلن الاضراب العام من قبل نقابة غير شرعية ودام مدة طويلة ، والتزم به مئة بالمئة من عمال المطابع» (٣٩) .

الشكوى من الحالة الاقتصادية المتدهورة تصاعدت من أكثر من طرف في المشرق العربي . وبدل أن تلجأ سلطات الانتداب إلى اتخاذ اجراءات للتخفيف من حدة الأزمة راحت تفرض ضرائب جديدة ووضعت سياسة جمركية ، دون أخذ مشورة السلطات المحلية وغرف التجارة ، يزيد أربعة اضعاف على ما عليه في البلاد المجاورة والذي نشأت عنه مسألة التهريب بين فلسطين وشرق الأردن من جهة والبلاد السورية من جهة أخرى .

(٣٨) مجلة «اليقظة» ١ أيار ١٩٣٣ بيروت .
(٣٩) الصلح، عادل: مصدر مذكور ص ٣٧ ـ ٣٨ .

أدى وضع الحواجز الجمركية بين سوريا والبلدان المجاورة إلى اضمحلال التجارة . ولما رأى تجار دمشق أن شكاويهم لم تلق آذاناً صاغية وان الحالة الاقتصادية تزداد سوءاً يوماً عن يوم كاتبوا تجار بيروت واللاذقية فاجتمع ممثلو هؤلاء الغرف التجارية في بيروت أيام ٢٠ و ٢١ و ٢٢ آذار ١٩٣٣ وقرروا بعد درس الموقف ابلاغ المفوض السامي بوجهة نظرهم : «لا سبيل للتدليل على ما وصلت اليه البلاد من التقهقر الاقتصادي بعد أن أصبح هذا معلوماً من الجميع ، تؤكد الصيحات المتعالية في كل مكان ومن جميع الفئات ، وهذه مظاهر السخط واليأس والنكبات والعسر ترافق التاجر في تجارته والمزارع في زراعته والصانع في عمله وما كان هذا لو اتبع ولاة الأمر سياسة اقتصادية رشيدة تكون منهاجاً لحياة البلاد في تجارتها وصناعتها وزراعتها كما وأنه لولا التدابير الجمركية المخالفة لأماني البلاد لما كان للأزمة المالية علينا كل هذا التأثير» (٤٠) .

أدت الأزمة الاقتصادية التي رزح تحت وطأتها لبنان إلى الالتقاء في وجهات النظر بين أنصار الأمة اللبنانية وأنصار الوحدة السورية لالغاء الهيمنة الفرنسية المباشرة . ولكن مسألة التوافق على المساواة في الحقوق والواجبات بين اللبنانيين بقيت حجر عثرة أمام الاتفاق التام بين من قام على كاهلهم لبنان الكبير وانصار الوحدة السورية . في هذا الاطار عقد خلال شهر تموز «المؤتمر اللبناني» في دار رشيد نخلة ولم يدع اليه جماعات النواب والوزراء وأصحاب العلاقة بالحكومة القائمة وبالمفوضية العليا . وحسب جريدة «الأحرار» دعي للمؤتمر ٢٠٠ من أصحاب المهن الحرة ومن أصحاب الوجاهة في البلاد . عالج المؤتمر المواضيع التالية :

١ ـ تقرير المعاهدة اللبنانية الفرنسية أو تقرير الانتداب .
٢ ـ وضع دستور يقدم إلى جمعية الأمم ووزارة الخارجية الفرنسية يكون على غير أساس الطائفية أي على الجدارة فقط .
٣ ـ تقرير الوحدة اللبنانية أو الوحدة السورية .
٤ ـ طلب تنقيص ثلث الضرائب للحال أو مقاطعة الدفع إلى غير ذلك من مثل انقاص عدد الموظفين واستلام الحصة الجمركية حالاً للتعويض على الأعمال الحكومية» (٤١) .

كما عقد خلال شهر آب مؤتمر سيار في جبل عامل ، في قرى الجوهرية ، الطيبة ،

(٤٠) تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني إلى جمعية الامم حول الحالة السياسية والاقتصادية في سورية ص ٤٧ مطبعة الشباب مصر ١٩٣٣ .
(٤١) نخلة، رشيد: مصدر مذكور ص ٧٨ .

القصيبة وميفدون من أجل نيل العامليين حقوقهم . تولى قيادة هذه الحركة راشد عسيران ـ عادل عسيران ـ رضا التامر ـ رياض التامر ـ حسين الأمين ـ هلال الجوهري ـ نور الدين الجوهري ـ شفيق لطفي ـ تحسين خياط ـ مارون فارس (٤٢) . خلال تلك المرحلة بقيت القيادة الطرابلسية متمسكة بمواقفها على أمل انضمامها إلى سوريا لأن المدينة أصيبت باقتصادها قياساً على المناطق الأخرى التي ضمت إلى لبنان العام ١٩٢٠ .

واستمر تعليق الدستور اللبناني لحين استبدل المفوض السامي بونسو ـ في تموز عام ١٩٣٣ ـ بمفوض سامي آخر هو دي مارتيل الذي أصدر في ٢ كانون الثاني ١٩٣٤ قراراً قضى باعادة تنظيم الادارات في الجمهورية اللبنانية وتعيين حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية خلفاً لشارل دباس على أن لا يتسلم مهمات منصبه إلا بعد اجراء انتخابات في الشهر ذاته . أسفرت نتائج هذه الانتخابات عن فوز مرشحي الانتداب إضافة إلى الثلث من اعضاء المجلس المعينين من قبل المفوض السامي .

كانت مسارعة دي مارتيل للافراج المؤقت عن الدستور اللبناني محاولة منه لاحصاء انصار الانتداب على أمل تجنيدهم في المواجهة التي كانت تتمخض عنها حالة التدهور الاقتصادي في مطلع العام ١٩٣٥ . تصدر تجديد امتياز التبغ والتنباك في سوريا ولبنان رأس القائمة التي واجهت الفرنسيين في ذلك العام والتي ترتب عليها نتائج سياسية . ورئس المعترضين البطريرك الماروني عريضة الذي ذهب في معارضته لحد المطالبة بالغاء الانتداب واستبداله بمعاهدة . وقد نسق في الأمر مع الكتلة الوطنية في دمشق . مع أن القضية كانت مرحلة عابرة بين سلطات الانتداب وانصارها من اللبنانيين لكن كانت مؤشراً على المعاناة التي رزح تحت وطأتها سكان بلدان المشرق . وفي الوقت التي بلغت فيه النقمة الجماهيرية في سوريا ذروتها مطالبةً الانتداب بمعاهدة بقي حبيب باشا السعد في سدة الرئاسة في لبنان حتى مطلع العام ١٩٣٦ يعاونه حكومة مديرين برئاسة عبدالله بيهم . في ٢ كانون الثاني فاز إميل اده بانتخابات رئاسة الجمهورية على منافسة بشارة الخوري بـ ١٥ صوتاً مقابل ١٠ أصوات . وهكذا اعيد العمل بالدستور اللبناني وكان ذلك مؤشراً على مرحلة جديدة يمر بها لبنان في ظل الانتداب الفرنسي .

(٤٢) جريدة الشعب ٢٩ اب ١٩٣٣ دمشق .

القسم الثاني

الأحزاب اللبنانية

التكتلات البرلمانية

أ ـ الكتلة الوطنية

لم تظهر الكتلة الوطنية كتنظيم سياسي لها مبادئها المحددة إلا في العام ١٩٤٣ ، وإن كانت قد بقيت تُعرف كما في السابق (كتلة اده) باسم مؤسسها إميل اده . ولهذا فإن كل تأريخ يطاول نشوء هذه الكتلة وتطورها مرتبط بالعمل السياسي لمؤسسها ونظرته لدور لبنان في المنطقة العربية .

في أثر نشوب الحرب العالمية الأولى سافر إميل اده إلى القاهرة وأخذ يعمل لانشاء فرقة من المتطوعين للاشتراك في الحرب ، سماها «الفرقة اللبنانية ـ السورية» ، لتقاتل إلى جانب قوات الحلفاء .

فور انتهاء الحرب الأولى اشترك «إميل اده» في وفدين من ثلاثة وفود سافرت إلى العاصمة الفرنسية لتطالب مؤتمر فرساي للصلح باستقلال لبنان .

عندما تولى الجنرال «سراي» مسؤولية المفوضية الفرنسية في بيروت راحت بعض الأوساط الفرنسية في باريس تشجع فكرة تولي أميل اده منصب الرئاسة في لبنان الكبير ، ونظّمت عدة لقاءات لدعم ترشيحه . فيما حمل نعوم مكرزل عدداً من العرائض مذيلة بتوقيع مغتربين لبنانيين تطلب تولّي إميل اده حاكمية لبنان . [1] .

طوال عمله السياسي لم يخف إميل اده تعلقه بالحماية الفرنسية للبنان . وعرفه مؤيدوه بذلك ، وقد خاطبه المونسنيور بيار حبيقة قائلاً : «أحببت لبنان ـ يا فخامة الرئيس ـ واحببت فرنسا: هذا هو مبدؤك. وعملت للبنان، ولفرنسا ـ فقدس الناس عملك، وتكاتفوا حولك» [2] .

---

(١) Hobeika Pierre: Emile Eddé op cité p 23.

(٢) Idem .

خلال مرحلة الانتداب تولى أميل اده عدة مناصب في الدولة اللبنانية :

- إنتخب رئيساً للمجلس النيابي للبنان الكبير في العام ١٩٢٤ .
- رئيس مجلس وزراء بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٩ إلى ٢٠ آذار ١٩٣٠ .
- أصبح رئيساً للجمهورية من تاريخ ٢ كانون الثاني ١٩٣٦ حتى ٤ نيسان ١٩٤١ .

في مطلع العام ١٩٣٦ شهد العمل البرلماني في لبنان إنقساماً متوازياً وبين تكتلين : الكتلة الدستورية ويتزعمها بشارة الخوري مقابل تكتل إميل اده . وقد انعكس هذا الانقسام بين المواطنين وبخاصة في الأوساط المسيحية في جبل لبنان .

مثل إميل اده وتكتله تيار «اللبننة» المتعصب والمرتبط بفرنسا والرافض لعروبة لبنان . وهذا التيار كان يقول بالأمة اللبنانية المتحدرة من الأصل الفينيقي . لهذا رعى تكتل اده ذلك التيار وشجعه من خلال موقعه في السلطة . واهتم بمسألة جنسية المغتربين اللبنانيين ، وهم بأكثريتهم مسيحيون ، ووجه اليهم نداء بواسطة إحدى الشركات البرقية كي يُسارعوا إلى اعتناق جنسية وطنهم الأم لبنان . في حين وقف معارضاً لكل قوى سياسية تعمل على استقلال لبنان عن الحماية الفرنسية في الأربعينات . فدعم سياسة ألفرد نقاش والمفوضية الفرنسية ضد البطريرك الماروني والكتلة الدستورية والقادة المسلمين المطالبين بالاستقلال .

وكانت الانتخابات النيابية مناسبة لطرح اسم الكتلة الوطنية ونهجها في ٩ آب ١٩٤٣ وجاء ذلك بمثابة البيان الانتخابي وتضمن نصه :

١ ـ إستقلال لبنان التام .

٢ ـ تعلق لبنان بقضية الأمم المتحدة التي ساهم فيها اللبنانيون بجميع مواردهم منذ ابتداء الحرب وهم دائبون على المساهمة فيها حتى النهاية .

٣ ـ توثيق العلاقات الوديّة مع الأقطار الشقيقة المجاورة على أساس الاحترام المتبادل والسيادة الكاملة .

٤ ـ لبنان بلد ديمقراطي صرف ـ

ـ يستمر على احترام جميع الأديان ولا يستند إلى أحدها للحكم .

ـ يضمنُ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية بين جميع اللبنانيين من غير تميز .

ـ يؤمن لمختلف عناصر البلاد تمثيلاً عادلاً في الوظائف العامة باعتبار الكفاءة والاستحقاق .

٥ ـ إصلاح الإدارة العامة في الدولة بتوسيع الصلاحيات في الملحقات .

٦ ـ نشر التعليم وتعميمه وتثقيف الشبيبة اللبنانية تثقيفاً لبنانياً صحيحاً .

٧ ـ تعميم طرق الوقاية والتدابير الصحية في جميع المناطق .

٨ ـ إنهاض مرافق البلاد بتنمية الزراعة والسياحة والتجارة والصناعة .

٩ ـ تنفيذ برنامج عام للري وجلب مياه الشرب إلى مختلف النواحي .

١٠ ـ إصلاح اجتماعي يتناول بوجه خاص مشاريع الاسعاف وتحسين حالة العمال على إختلاف مهنهم .

١١ ـ صيانة مصالح اللبنانيين المغتربين .

١٢ ـ ضم جميع اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم في قومية موحدة ـ الوطن اللبناني [٣] .

في أعقاب احداث ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ إنفرط عقد الكتلويين على أثر عزل إميل اده من البرلمان وملاحقة مؤيديه في الوظائف العامة . وفي ١٥ أيار ١٩٤٦ رأى إميل اده إعادة تجميع مؤيديه عبر حزب سياسي . فتقدم من وزارة الداخلية ثلاثة من نواب الكتلة : أمين السعد ـ اسعد بستاني وجورج عقل بطلب منحهم ترخيص بتأسيس حزب الكتلة الوطنية وفقاً لمنهاج أهم ما ورد فيه : «اللبنانيون أمة واحدة ولبنان دولة مستقلة ذات سيادة» [٤] .

أما في السياسة الاقتصادية فقد تضمن المنهاج : «نظراً لوضع لبنان الجغرافي وبالنظر للنظم الاقتصادية السارية في البلدان المجاورة لم يبق للبنان إذا شاء الاحتفاظ بمركزه التجاري إلا أن يعتمد طرقاً جديدة كإعلان نفسه منطقة حرة حتى يعود إلى لبنان نشاطه التجاري الغابر ووضعه الاقتصادي المتفوق . على أن تؤمّن بذات الوقت وسائل حماية الصناعة الوطنية واليد العاملة والإنتاج الوطني وتخصص مساعدات مالية للمصنوعات الوطنية التي تُصدَّر إلى الخارج» [٥] .

لم يلجأ مؤسسوا الحزب لوضع المنتسبين في هيكلية تنظيمية قاسية ، ولم يتخذوا فروعاً في المحافظات وبلدان الاغتراب بل شكلت منازل كبار الكتلويين المقر لنشاط المحازبين والمؤيدين ومنها تؤخذ التعليمات وتنفذ . وتقوم دعوة الحزب أكثر ما يكون على الإتصالات الشخصية التي يؤمنها جميع أعضائه بالمتصلين بهم في بيوتهم .

---

(٣) حزب الكتلة الوطنية سيرة ومواقف بيروت ١٩٧١ ص ١٨ .

(٤) الكتلة الوطنية ص ١ بدون تاريخ للنشر .

(٥) نفس المصدر ص ٢ .

لذلك ارتكزت قاعدة الحزب على دعامتين أساسيتين :

١ ـ القاعدة الحزبية التي تضم المحازبين المنتسبين وهي الفئة المسؤولة العامة .

٢ ـ القاعدة الشعبية التي تضم المحبذين وهم كثر يتأثرون بتوجه الحزب ويلتزمون بمقرراته . وهذه الفئة تبرز أكثر ما يكون في موسم الانتخابات النيابية .

سمي رئيس الحزب عميداً وهو القيّم على الحزب ويمثله وينطق باسمه . ينتخب من هيئة مؤلفة من مجلس الحزب واللجنة التنفيذية . وكان إميل اده أول عميد يسمى للحزب .

ما يمكن ملاحظته أن قوة الحزب واستمراريته تبقى مرتبطة إلى حد كبير بعائلة اده وشخصية المؤسس إميل أده الذي له هالة كبيرة في أوساط المسيحيين وبخاصة في جبل لبنان . كذلك ترتهن نسبة المحبذين والمنتسبين للحزب بوضعه داخل السلطة أم خارجها .

ب ـ الكتلة الدستورية

في مطلع العام ١٩٣٦ قام فريق من النواب بمطالبة المفوض السامي الفرنسي بإعادة العمل بالدستور . وفي أعقاب ذلك أخذ هذا الفريق يجمع حوله الأنصار والمحازبين للمطالبة باسم الكتلة الدستورية برئاسة بشارة الخوري . وقد عُرف عن هذا الأخير ـ عضو الماسونية ـ مطالبته باستقلال لبنان ،تحت الانتداب الفرنسي (٦) .

لم تختلف الكتلة الدستورية لجهة تنظيمها عن الكتلة الوطنية ، فلم تكن حزباً بمعناه الحديث. كما لا تختلف تركيبتها الطبقية عن الكتلة الوطنية، فهي تضم ممثلي مصالح البورجوازية والرجعية الإقطاعية . وركائزها الأساسية كانت في جبل لبنان وبين الأوساط المسيحية والمارونية وكذلك بين الدروز عن طريق الزعامات الاقطاعية المنافسة لعائلة جنبلاط التي مثلها الأمير مجيد أرسلان .

كانت الكتلة الدستورية معارضة للكتلة الوطنية ولكن في نطاق الانتداب ، وضمن حدود التعاون مع الفرنسيين . وتعود أسباب المعارضة الأساسية إلى المنافسة على الحكم والحصول على نصيب أدنى من منافع السلطة . وإن كانت هناك بعض الخلافات السياسية المحلية فإن السياسة الخارجية كان أساسها التعاون مع الانتداب الفرنسي . على أن وجود الكتلة الدستورية في موقف المعارضة إضطرها أحياناً لطرح بعض المطالب الديمقراطية وإن

---

(٦) M.A.E.F série N 58 (Syrie - Liban) p 78 .

بصورة ديماغوجية من جهة ، مما أوجد بينها وبين أقسام البورجوازية الوطنية المعارضة للاستعمار بعض التقارب من جهة أخرى . وبينما كانت الكتلة الوطنية مغرقة في عدائها للحركة الوطنية المناهضة للاستعمار الفرنسي في لبنان ، وفي رفضها لكل علاقة مع العالم العربي ، كانت الكتلة الدستورية تظهر احياناً عكس ذلك .

فقد أيد بشارة الخوري تنمية التعاون الاقتصادي والتجاري والثقافي والأدبي بين لبنان والأقطار العربية . ورأى الخوري في مقابلة معه «بدل الوحدة العربية العمل لاتحاد سياسي وعسكري ، على أن يحتفظ كل قطر باستقلاله وبشؤونه المحلية وهذا هو الأنسب في بادىء الأمر» (٧) .

استمدت الكتلة الدستورية قوتها من الزعامة المحلية التي يتمتع بها نوابها ومن بعض المتزعمين المحليين المستفيدين من وجود الكتلة في السلطة ، كبعض المخاتير في القرى ورؤساء البلديات والسماسرة وذوي المصالح الذين يرتبطون بحكم مصالحهم بالحزب الحاكم .

وبعد تبدل الحالة في لبنان في أثر دخول القوات الانكليزية عام ١٩٤١ اتجهت الكتلة الدستورية نحو الانكليز حيث وجدت فيهم سنداً لايصالها إلى الحكم ولقهر خصومها السياسيين ولمقاومة الانتداب الفرنسي . هذا التوجه الجديد للكتلة ، التي كان من أبرز اركانها بشارة الخوري وكميل شمعون وفريد الخازن ومجيد أرسلان وإميل لحود ، قادها للتنسيق مع ممثلي البرجوازية الوطنية التي كانت معارضة للاستعمار الفرنسي (عبد الحميد كرامي في طرابلس رياض الصلح في بيروت وعادل عسيران في الجنوب) .

وهكذا وصلت الكتلة الدستورية إلى الحكم بدعم من الانكليز ومعاضدتهم المباشرة . على أن هذه الكتلة قد دب فيها التفكك بعد وصول بشارة الخوري إلى سدة الرئاسة اللبنانية عام ١٩٤٣ ، فخرج كميل شمعون وفترت العلاقات مع مجيد أرسلان وصبري حمادة . كما أن تحالفاتها مع ممثلي البرجوازية الإسلامية لم يستمر لمدة طويلة .

مع ذلك بقي نفوذ الكتلة الدستورية مرتبط برئيس الجمهورية بشارة الخوري (١٩٤٣ ـ ١٩٥٢) . وبقي يستخدمها ككتلة نيابية لاقامة التحالفات بينه وبين الكتل النيابية الأخرى في المناطق . استندت هذه التحالفات إلى تبادل المنافع والتوجه العربي الذي عملت له بريطانيا في الأربعينات من انشاء الجامعة العربية وغيرها .

---

(٧) الخردي، **محمد شاكر**: العرب في طريق الاتحاد جزء اول ص ٧ دمشق ١٩٤٧ .

الأحزاب الطائفية

أ ـ حزب الوحدة اللبنانية

ظروف نشأة الحزب

بعد إعلان دولة لبنان الكبير العام ١٩٢٠ تمحور ولاء القاعدة الشعبية لأنصار الكيان اللبناني بشكل أساسي حول قطبين رئيسين هما بشارة الخوري واميل اده . وسرعان ما اكتسبت المنافسة طابع «الثنائية الحزبية» في الصراع لأجل الحكم وفي اطار الولاء للانتداب الفرنسي . مع ذلك بقيت البطريركية المارونية المرجع الأساسي للقطبين تقدم من تشاء على الآخر حتى لو أدى الأمر إلى الخلاف مع المفوضية العليا الفرنسية صاحبة القرار الأول في لبنان . ومن حين إلى آخر كان يحض بعض الطامحين بالحكم على بركة البطريركية المارونية مما يفسح لهم في المجال أن يخوضوا معترك العمل السياسي .

وفي العام ١٩٣٦ كان مصير لبنان أمام منعطف خطير مما فرض على أنصار الكيان اللبناني مواجهته في إطار :

- بدء مفاوضات سورية فرنسية لتوقيع معاهدة بدل الانتداب . وقد طالب الوفد السوري باعادة المناطق التي ضمّت إلى لبنان عام ١٩٢٠ .
- وصول الجبهة الشعبية اليسارية إلى سدة الحكم في باريس . وقد عُرف عنها تعاطفها مع وحدة بلاد سوريا .
- تجدد نشاط أنصار الوحدة السورية في لبنان بما يدعم طلب الوفد السوري المفاوض .

في هذا الظرف استحوذت الأحداث على اهتمام البطريرك الماروني الذي أرسل موفدَين إلى باريس ليكونا قريبين من المحادثات السورية الفرنسية هما توفيق لطف الله عواد [١] والمطران مبارك .

(١) توفيق عواد ابن شقيقة المطران بول عواد .

انطلاقاً من هذا الدور الذي أُعطي لعواد دفعه للخروج من دائرة الثنائية الحزبية (الخوري واده) . فقد قرر تأسيس حزب الوحدة اللبنانية وبمباركة من البطريرك عريضة . في ١٥ آذار رفع توفيق لطف الله عواد وابراهيم مخلوف عريضة رسمية إلى الحكومة اللبنانية يطلبان السماح لهما بتأسيس حزب سياسي هدفه الدفاع عن وحدة الأراضي اللبنانية كما تتألف منها الجمهورية الحالية .

شكلت الهيئة القيادية على الشكل التالي :

الرئيس توفيق عواد ـ سكرتير عام ومسؤول الإعلام ابراهيم مخلوف ـ نائب رئيس انيس ياسين ـ أمين صندوق راؤول حبيقة [٢] . أما عن الحوافز التي دعت لتأسيس الحزب فقد وردت في النداء الذي نشرته مجلة «لبنان والشرق الأوسط» لصاحبها ابراهيم مخلوف .

«. . . صديقتنا فرنسا ، الليبرالية الكريمة ستشجع المواطنية النيرة البناءة المستوحاة من القيم العليا للديمقراطية الفرنسية .

إن الشباب اللبناني مدعو لتحديد ارتباطهم بالأمة اللبنانية في وقت تجري فيه المفاوضات السورية الفرنسية لإعداد معاهدة مع سوريا» [٣] .

ثم أضافت المجلة : «لأن الطموحات الوطنية للبنانيين كانت باستمرار محبطة ، ولأن السياسيين الإنتهازيين يعملون على تقسيم لبنان وتحطيم شخصيته ، ولأن جهود المواطنين المخلصة تستغل لأهداف شخصية ، ولأن الشباب المتوقد والمثقف هو العنصر المهمَل في وطنه . عزمت مجموعة من الشباب اللبناني المستقل والواثق بصداقة فرنسا على إنارة الرأي العام وتأسيس حزب الوحدة اللبنانية بهدف عتق الشباب وخلق تاريخ جديد من الحرية والأخوة في البلاد . . . إذن نوجه نداء إلى كل الوطنيين اللبنانيين للانتساب إلى حزب الوحدة اللبنانية حتى نعزز العمل الوطني» [٤] .

عن أهداف الحزب كتبت المجلة المذكورة «يعلن الحزب عن ارتباطه باحترام استقلال التراب اللبناني في حدوده المعترف بها في القانون الدولي . ولا يعترض الحزب على إقامة علاقات صداقة وروابط اقتصادية مع البلدان المجاورة . كما يعتبر الحزب أن الوضعية الخاصة للبنان تستدعي بالضرورة حل مشاكله السياسية في أجواء من الهدوء والتعقل التي

(٢) جريدة النهار ١٩٣٦ السنة الرابعة .

(٣) La revue«du Liban et de l'orient méditerranée» Paris - juillet 1936.

(٤) Idem Mai 1936 .

تقتضيه روابط الصداقة مع فرنسا . وسيبذل الحزب جهوداً على خلق هذه الأجواء» [٥] .

أعطي للحزب دورٌ كبير في أثناء المفاوضات السورية اللبنانية وبشخص رئيسه توفيق عواد الذي وجه إنذاراً إلى الوطنين السوريين يحذرهم فيها «من تشجيع الانفصاليين اللبنانيين لأنهم لا يفوزون سوى بزرع أسس الانقسام على اختلافه بين البلدين» [٦] .

وفي بيان اذاعه مكتب الحزب في تشرين الأول ١٩٣٦ جدد المؤسسون تمسكهم بالمبادىء الأساسية للحزب وهي :

أولاً : المحافظة على الكيان اللبناني بحدوده الطبيعية الحاضرة .

ثانياً : معارضة كل فكرة ترمي إلى الوحدة السورية أو اقتطاع بعض الأراضي اللبنانية أو ما يسمونه الاتحاد اللامركزي .

ثالثاً : إنصاف جميع الطوائف على أساس المساواه .

رابعاً : عقد معاهدة مع الدولة الفرنسية تضمن للبنانيين الاستقلال والسيادة القومية من كل نواحيها .

خامساً : حرية لبنان التامة في إدارة جماركه وجميع مصالحه الاقتصادية والمالية .

سادساً : إنشاء جيش وطني .

سابعاً : المحافظة على حقوق اللبنانيين وخصوصاً طبقة العمال فيما يختص بالمزاحمة الأجنبية مع تحديد ساعات العمل .

ثامناً : تأليف وفد يضم جميع العناصر الموالية للبنان يعاون فخامة رئيس الجمهورية لعقد المعاهدة الفرنسية ـ اللبنانية .

تاسعاً : حل المجلس النيابي الحالي ودعوة الأمة لانتخاب مجلس تأسيسي يقرر الدستور العتيد .

عاشراً : تعديل معاهدة لوزان فيما يختص بجنسية المهاجرين والاعتناء بشؤونهم في الخارج وتسهيل سبل العودة أمامهم إلى لبنان .

حادي عشر : المطالبة بإجراء استفتاء في بلاد العلويين للاطلاع على رغبة الأهالي في مطالبتهم للإنضمام إلى لبنان .

ثاني عشر : وضع قانون يحدد فيه سن تقاعد للبالغين الستين من العمر وذلك لإفساح مجال

(٥) Idem.

(٦) Idem.

العمل أمام الشباب المتعلم[٧] .

شكّل حزب الوحدة اللبنانية عدة فرق دعاها القمصان البيضاء وهي الفرقة شبه العسكرية التي كانت تابعة للحزب . حسب مجلة لبنان والشرق الأوسط بلغ عدد المنتسبين للحزب ٢٥ ألف شخص . أما إنتماؤهم الطائفي تشير إليها مواطن سكن المنتسبين التي بأكثريتها في الأماكن المسيحية : انطلياس ـ الجديدة ـ زحلة ـ زغرتا وغيرها .

اتخذ الحزب إشارة يضعها المنتسبون وهي عبارة عن أرزة لبنان . كما تكوّن العلم من قماش ٍ أبيض في وسطه أرزة خضراء يحتضنها نسر . وكان مطلع نشيد الحزب التالي :

أنشر جمالك يا علم ما بين أعلام الأمم
من يفتدي وطناً له فهو الكريم المحترم
وطني أنا وأنا الوطن [٨]

في مطلع العام ١٩٣٧ أصدر الحزب جريدة «الوحدة اللبنانية» اسبوعية مؤقتاً باثنتي عشرة صفحة .

أخذ الشلل يدب في الحزب بعد ولادة منظمة الكتائب وتبنيها من الانتداب الفرنسي وكل القيادات المارونية . وشهدت مرحلة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ تعاون الكتائب وحزب الوحدة اللبنانية تحت شعار «تحرر لبنان والاستقلال التام» [٩] . وقد أدّت شهوة الحكم التي طغت على رئاسته ، إلى ضعف الحزب وانقسام القيادة على نفسها . ففي ٦ كانون الثاني ١٩٣٨ عقدت اللجنه الإداريه المركزية العليا لحزب الوحدة اللبنانية جلسة خاصة للبحث في شؤون الحزب وموقف رئيسه العام وبعد أن تبودلت الآراء اتخذ قرار بنزع الثقة من الرئيس توفيق عواد للاسباب التالية : «١ ـ إنه لم يقم بواجباته الحزبية . ٢ ـ لم ينفذ قرار الحزب . . . والذي قرر عدم التعاون مع الحكومة الحاضرة والمجلس النيابي . ٣ ـ لأنه ثبت للجنة مجاراة الرئيس العام للحكومة في جميع اعمالها ، ولم يثبت وجوده كنائب للدفاع عن مصالح الشعب اللبناني» [١٠] .

أثار هذا القرار الجدل بين القيادة والرئيس وبالتالي شل نشاط الحزب فتلاشي وجوده

(٧) جريدة لسان الحال ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٦ بيروت .
(٨) جريدة البشير ١٥ كانون الثاني ١٩٣٧ بيروت .
(٩) جريدة البرق ٥ حزيران ١٩٣٧ بيروت .
(١٠) جريدة البشير ٩ و ١٠ كانون الثاني ١٩٣٨ بيروت .

السياسي في ١٢ تموز نشرت جريدة البشير النظام الجديد للحزب . لكن لم تجدِ المحاولات لإحياء دوره وإن استمر وجوده حتى العام ١٩٤٤ إذ دعت قيادته فروعه واعضاءه للانضمام إلى حزب الكتائب اللبنانية والكتلة الوطنية .

ب ـ منظمة الكتائب

ساهمت أسباب عديدة في ولادة منظمة الكتائب في أواخر العام ١٩٣٦ وكذلك في نجاحها فيما بعد . فولادة لبنان الكبير بهيمنة مسيحية دفعت الفريق الحاكم إلى تشجيع ولادة احزاب ينضوي تحت لوائها اللبنانيون أو على الأقل المسيحيون لتعزيز هيمنتهم وللتصدي لفريق آخر بغالبية اسلامية وارثوذكسية تناهض الكيان اللبناني . لكن تلك المساعي فشلت لوقوع الأحزاب أسيرة الصراعات الشخصية لمؤسسيها . بالمقابل استطاعت منظمة الكتائب أن تتخطى هذه الصراعات .

كان لشخصية بيار الجميل وتنظيمه شبه العسكري الاسهام الكبير في نجاح الكتائب وقد جاءت النشأة شبيهة بنشأة الأحزاب الفاشية والنازية في إيطاليا وألمانيا وإسبانيا . في أوائل العام ١٩٣٧ قال بيار الجميل في ظروف تأسيس الكتائب «كنت أحد مندوبي لبنان في الحفلات الأولمبية التي جرت مؤخراً في المانيا فتسنّى لي إبّان رُحلتي إلى برلين مشاهدة الفرق العديدة المنظمة ومررت في المانيا كما مررت في النمسا وتشيكوسلوفاكية وايطاليا فشاهدت بأم عيني تلك الشبيبة المنظمة ، وحداني ذلك إلى التفكير في تنظيم شبيبتنا اللبنانية على مثالها وقد ساعدني على تحقيق رغبتي ما لي من نفوذ في الأوساط الرياضية التي لم تسر بعد إلى أهداف وطنية» [١١] .

تزامن عزم بيار الجميل على تحقيق رغبته في إنشاء الكتائب مع قيام مظاهرات في المدن اللبنانية تضامناً مع مطالب الكتلة الوطنية في دمشق ، بالاستقلال والسيادة ووحدة بلدان المشرق . وكانت المفوضية العليا الفرنسية في بيروت تدعم وتشجّع موقف السلطة اللبنانية في قمع كل انتفاضة وطنية .

في بداية تأسيسها أوكِل للكتائب دور الرد على المظاهرات الوحدوية حيث يقول بيار الجميل «رفع الانفصاليون آنذاك رؤوسهم ، فانبرينا لهم وصدّيناهم بقوة .

(١١) الكتائب اللبنانية : بيار الجميل في خدمة لبنان ص ٢٩ طبع على دار الطباعة والنشر اللبنانية ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٠ .

على مظاهرات في طرابلس ، اجبنا بمظاهرات في إهدن وجونيه وجبيل . . . وعلى مناشير توزع في صيدا أجبنا بمناشير أخرى، وعلى اضراب باضراب آخر وعلى إقفال مدينة بإقفال مدينة أخرى ، وعلى وفد من عندهم إلى المفوضية العليا بوفد من عندنا . . .

كان علينا أن نثيرها أزمة كي ترسم حدود وطننا على الخرائط الجغرافية وفي الكتب المدرسية»[١٢] .

طوال ستة أشهر تذبذبت الكتائب بين حمل اسم «القمصان النارية» أم «القمصان الحديدية» ، وانتهت إلى تبني إسم الكتائب تحت ستار أنها منظمة رياضية للشباب .

وفي وقت شرعت الحكومة اللبنانية بمفاوضات مع فرنسا لإستبدال الإنتداب بمعاهدة في تشرين الثاني حازت الكتائب موافقة السلطة في لبنان على شرعيتها بإسم اللجنة التأسيسية المؤلفة من «بيار الجميل ، جورج نقاش ، شارل الحلو ، شفيق ناصيف وإميل يارد»[١٣] .
في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٦ صدر أول بيان تأسيسي وجاء فيه : «لم تنشأ في سبيل أحد ولا ضد أحد وهي لن تعيش ولا تزدهر إلا بإرادة الجميع وتعاون الجميع .

فليس من شك في أن هذا التعاون بين اللبنانيين سيظل الشرط الضروري في اتخاذ وحفظ العلاقات المتآلفة بيننا وبين جيراننا كلهم في وقت تبرز فيه المشاكل المهمة نفسها أمام الدولتين الشقيقتين : لبنان وسوريا»[١٤] .

لم تكن فترة التأسيس لتمر بسهولة على منظمة الكتائب لأن قاعدتها الأساسية والمعنية بتنظيمها أكثر من غيرها وهم أكثرية مارونية كانت منقسمة في الولاء بين الجناحين التقليديين للموارنة ، بشارة الخوري وإميل اده ، والاثنان من مؤيدي الانتداب الفرنسي . كذلك كانت اللجنة التأسيسية للكتائب منقسمة بين الجناحين باستثناء بيار الجميل . وفي هذه الحالة لم تكن الكتائب قادرة على حماية صفوفها من انعكاسات الخلاف الحزبي التقليدي .

وصودف في اواخر نيسان ١٩٣٧ أن نُظّم للكتائبيين الجدد رحلة إلى وادي العرايش في زحلة ، حيث حصلت مشادة بينهم في أثناء مناقشة أمور محلية .

في ٢ أيار اعلن أمين السر العام جوزف شادر في بيان له «تقوية لدعائم الكتائب وشداً

(١٢) **الجميل، بيار** : لبنان بين واقع ومرتجى ص ٢٢٥ بيروت ١٩٧٠ .
(١٣) **الكتائب اللبنانية** : بيار الجميل في خدمة لبنان مصدر مذكور ص ٣٠ .
(١٤) تاريخ حزب الكتائب اللبنانية الجزء الأول ١٩٣٦ - ١٩٤٠ص ٣٣١ .دار العمل للنشر ١٩٧٩ .

لأزر روابطها ونمو حركتها . . . . التأمت اللجنة الرئيسية للكتائب في ٢٨ نيسان ١٩٣٧ واتخذت بالاتفاق القرارات التالية :

١ - الغيت من قانون الكتائب جميع النصوص المتعلقة باللجنة الرئيسية . إن جميع اعضاء اللجنة المسجلة اسماؤهم في وزارة الداخلية انسحبوا من اللجنة المذكورة واعتبروا مستقلين حكماً باستثناء بيار الجميل الذي أصبح رئيساً أعلى للكتائب .

٢ - إن السلطة والصلاحية المنصوص عنها في قانون الكتائب الممنوحين سابقاً للجنة الرئيسية قد انتقلتا إلى الرئيس الأعلى للكتائب واصبحت الكتائب والحالة هذه تحت قيادة الرئيس الأعلى فقط .

٣ - إن اعضاء اللجنة الرئيسية السابقة يكونون تحت تصرف الرئيس الأعلى .

إن الرئيس الأعلى بقرار اتخذه في التاريخ نفسه قد الحق السادة اميل يارد وجورج نقاش وشارل الحلو اعضاء اللجنة السابقة بلجنة التنظيم والدعوة وكلّفها اعادة تنظيم هذه اللجنة»[١٥] .

مرسوم حل المنظمات شبه العسكرية ومنها الكتائب .

خلال شهر تشرين الثاني ١٩٣٧ وبمناسبة المولد النبوي قامت منظمة النجّادة بإستعراض في شوارع بيروت حاملة الاعلام السورية مما أثار انصار الكيان اللبناني الذين نظموا مظاهرة مضادة قادتها الكتائب فخُلق جو من التوتر . في الواقع لم تكن هذه الحالة يتيمة في تلك الفترة بل سبقها حالات مشابهة ادت إلى صدامات بين المسلمين والمسيحيين . رأت الحكومة اللبنانية أن الاستمرار على هذا السياق من التصاعد الطائفي بين اللبنانيين ينذر بعواقب وخيمة يصعب أن يسيطر عليها فيما لو تجددت . عندها اصدر رئيس الجمهورية مرسوماً رقم ١٤٧٤ / EC تاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٧ يعلن فيه حل منظمات القمصان البيضاء ، النجادة والكتائب، لأنها تجمعات شبه عسكرية. أعقب المرسوم بيان لوزارة الداخلية جاء فيه : «إن الرأي العام يقدر الأسباب التي أدّت إلى هذا التوتر حق قدرها . فمعظم الجمعيات الموجودة في لبنان تألفت وعاشت خلافاً لاحكام القانون . ليس هذا فحسب بل إن الحكومة ترى بأن وجودها فى شكلها الحاضر واهدافها الحقيقية وجهادها واعمالها المعروفة لا يتفق مع ما تقتضيه مصلحة البلاد . فالقوانين المعمول بها القانون العثماني الصادر في ٢٩ رجب

(١٥) جريدة البشير في ١١ أيار ١٩٣٧ بيروت .

سنة ١٩٢٧ وقرار المفوض السامي رقم ١٤٦ الصادر في ٤ تموز ١٩٣٤ قد وضع الشروط التالية لوجود كل جمعية :

١ ـ ان تكون غاية الجمعية رياضية بحتة .
٢ ـ ان لا يكون لها أهداف سياسية وان لا تشترك في تظاهرات واجتماعات لها صفة أو اتجاه سياسي .

هذه الشروط صريحة لا تقبل شكاً ولا جدلاً ، وقد كان محتوماً ان نحترم هذه النصوص ولكن معظم الهيئات التي نشأت في لبنان رأينا البعض ينزع نزعة طائفية والبعض يعمل في الحقل السياسي وبصورة لا تتفق مع المبادىء .

رأينا القسم الأكبر منها يتخذ الرياضة هدفاً علنياً ويعتبرها اداة لتدريب اعضائها تدريباً عسكرياً ويرتدون الألبسة الخاصة ويتظاهرون حيناً بعد حين» [١٦] .

عمل الحكومة لم يمر دون تحدٍ . فصحافة ٢٠ تشرين الثاني حملت رداً من زعيم الكتائب ينكر فيه أن محازبيه لهم ميول عسكرية بل يشكلون نخبة الشباب اللبناني الملهم بوطنية مخلصة هدفها استئصال الفوضى من البلاد ولن تستطيع الحكومة اقتلاع مثلها العليا إلا بإبادة ٨ آلاف شاب عدد افراد منظمته . وانهى بيار الجميل اعلانه بكلمة «ايها الرفاق إلى الغد» [١٧] .

صبيحة ٢١ تشرين الثاني وعلى صوت صفارات ظهر بعض مئات من الكتائب فجأة في ساحة الشهداء . بذلت محاولات لتفريقهم من قبل أفراد البوليس لكنهم قاوموهم بنجاح وسرعان ما ردوا البوليس إلى مراكزهم التي كانت قد قطعت خطوط الاتصال بها . ثم جاءت نجدات من البوليس والدرك كما حضرت أيضاً فصائل من جماعات ذوي القمصان البيضاء لمساندة الكتائب . حدث تراشق كثيف بالحجارة بين المتظاهرين والبوليس ثم اطلقت العيارات النارية واستمرت الصدامات حتى حضرت فصائل من الجيش مزودة بالمدافع الرشاشة إلى المكان .

وما حل الظهر حتى تمت السيطرة للجيش على الموقف بعدما جرح العديد من الجانبين بينهم رئيس الكتائب كما قتل احد الجنود السنغاليين .

لم تذكر صحف اليوم التالي شيئاً عن الاضطرابات ولكنها اعترفت من جهة أخرى بأنها

(١٦) محضر جلسات المجلس النيابي جلسة ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٧ .
(١٧) Foreing office (F.O) 371 Document 20849 P 169 le 22 Novembre 1937 .

تسلمت من الحكومة امراً بالامتناع عن نشر خبر الاضطرابات ، وعليها التقيد بما ينشر من بلاغات صادرة عن الحكومة .

إستطاعت السلطة اللبنانية السيطرة على الموقف عسكرياً لكن إجراءاتها لم تحظ بالتغطية السياسية اللازمة للقيادات السياسية في لبنان ، بل إن مؤيدي الكتائب من رجال دين وسياسيين استنكروا عمل الحكومة .

البطريرك الماروني ابرق إلى أمين الجميل والد رئيس الكتائب يثني فيها على شجاعة ابنه فيما طلب مقام عال آخر عزل وزير الداخلية بسبب الحوادث مع الكتائب .

أثار النواب المسيحيون وبخاصة الموارنة مسألة حوادث ٢١ تشرين الثاني في البرلمان . ففي جلسة ٢٩ تشرين الثاني تطرّق العديد من النواب إلى دور الحكومة في رعاية المنظمات الطائفية وخصوصاً الكتائب وكيف تحاسبهم على عمل لم يُستنكر يوماً من قبل المسؤولين .

جاء في كلمة النائب عون : «. . . لا تحسبن أن الحكومة فهمت اصلاً فهماً يختلف عن فهمنا إياه . إن موقف الحكومة من الكتائب من وقت ما انشئت لا يترك مجالاً للشك في هذا الصدد . فهي لم تكتف بأن تضطهد الكتائب فحسب بل شجعتها رسمياً بجميع الوسائل الممكنة . إنه من الغريب أن تأخذ الحكومة إليه في تشرين الثاني ١٩٣٧ على الكتائب لباسها في حين أنها كانت تجد نفسها سعدة جداً في تشرين الثاني ١٩٣٧ أن تقف إلى جانب افرادها أمام عدسة المصور والأفلام السينمائية . وإنه من العجيب أيضاً أن تؤاخذ الحكومة الكتائب على ميولها السياسية في حين انها كانت تشجع موظفيها على الدخول فيها» .

أما النائب شفيق ناصيف أحد مؤسسي الكتائب قال في مداخلته : «إن القلق العميم الذي خامر النفوس من الخطر على سلامة الأراضي اللبنانية هو الذي غمز من قناة الكتائب اللبنانية وكان حافزاً لها على العمل» ثم يضيف «هذا الذي كان مطمحنا وهذا الذي كان مثلنا الأعلى هو أن تنشأ قومية دأبها التساهل واحترام المبادىء والمعتقدات على وجهاتها وسعياً مصمماً على حياة الحرية والاستقلال تحت عناية تشملنا بها الشقيقة الكبرى فرنسا . . . لقد نفحتنا السلطات والأوساط جميعاً بالتشجيع ، فجاءت الكتائب على ما رجونا واشتهينا» .

فيما قال النائب ابراهيم عازار : «. . . كنا نرى مأموري الحكومة ولا سيا في المناطق يطوفون القرى لتشجيع الشبان على الانخراط في سلك هذه المنظمات وحثّ الأهالي على حضور حفلات الكتائب والوحدة اللبنانية وغيرها . . . فاللبنانيون الذين يقاسون اليوم آلام السجن وآلام المرض من جراء قساوة رجال الشرطة هم وأبناؤهم واجدادهم كوّنوا لبنان ،

بينما كان بعض أركان الحكومة اليوم (المسلمون) يسعون بجميع الطرق لمقاومة فكرة الوطن اللبناني وهدم كيانه وهذه مقالاتهم وكتبهم تشهد عليهم»[١٨] .

كذلك شاركت بعض القيادات الاسلامية في الحملة ضد حكومة الأحدب لتصديها لشباب الكتائب بالتواطؤ مع المفوضية الفرنسية وقد طيّروا بهذا الخصوص برقية إلى المفوض السامي وجاء فيها :

«نستنكر أشد الاستنكار الاعتداء الشنيع الهمجي الذي سلّطته الحكومة أمس على حياة المسالمين من فتيان الكتائب والنساء والأولاد . ويؤسفنا أن نرى قوى الجيش الفرنسي تُستخدم غير مرة لتثبيت حكومة قامت بقوى الحراب على أشلاء الحريات الذبيحة ومصالح الوطن المدوسة وكرامته المهانة .

نرجو إبلاغ احتجاجنا هذا إلى عصبة الامم ورئاسة الوزارة الفرنسية ووزارة الخارجية»[١٩] .

علّقت المفوضية الفرنسية في بيروت على الكتاب المرفق بالبرقية المذكورة إلى عصبة الأمم بما يلي : «الموقعين هم من المسلمين ، أشخاص مناهضين لابن طائفتهم خير الدين الأحدب رئيس الحكومة . هذا الحقد عليه ليس غريباً عن مداخلاتهم ، وأكثر غرابة أن عناصر مسلمة تأخذ على عاتقها الدفاع عن الكتائب»[٢٠] .

في الواقع ساندت السلطة اللبنانية والمفوضية الفرنسية منظمة الكتائب لاداء دور رسموه لها وليس لادخالها في دوامة من الصراع الطائفي الذي لا يريدونه كهدف بحد ذاته بقدر ما هو للجم المطالب الاسلامية والوطنية في الاستقلال والسيادة . فقد وُقت مرسوم الحل فيما كانت تستعد المفوضية الفرنسية لتنفيذ مضمون المعاهدة اللبنانية الفرنسية كركيزة للتعايش الاسلامي المسيحي في النظام اللبناني . في هذا الظرف لم تكن المفوضية الفرنسية تريد تعكيراً للوضع الداخلي في لبنان خصوصاً أن الكتلة الوطنية في سوريا تخلّت عن المطالبة بالمناطق التي ضمت إلى لبنان عام ١٩٢٠ ، وعن دعم انصار الوحدة السورية فيه .

---

(١٨) انظر محضر جلسات المجلس النيابي جلسة ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٧ .

(١٩) Comité permanant du mandat N 2049 le 22 Novembre 1937 societé des Nations (S.D.N) Genève.

وقع البرقية : أمين بيهم ، ابراهيم الأحدب ، صائب سلام ، تقي الدين الصلح ، محمد علي حمادة ، حسين سجعان ، محمد النصولي .

(٢٠) C.P.M N 2049 le 7 Juin 1938. S.D.N Genève.

انطلاقاً من هذه السياسة لم تكن غاية الجيش الفرنسي من قمع الكتائب بما تمثله من افكار وطموحات بقدر ما هو إعتراض على ممارسة خاطئة بادرت لها . لهذا خرج الكتائبيون من الاعتقال بعد استتباب الأمن مباشرة دون تحميلهم مسؤولية ما تسببوا به من خسائر في الممتلكات العامة وفي الأرواح بين رجال الشرطة . من هنا راحت الكتائب تمارس نشاطها كالمعتاد دون أن يكون لمرسوم حلها أثر على هذا النشاط .

بل أن الكتائب بقيت على علاقة حميمة مع الذين اتخذوا قرار مرسوم الحل ، وبتوافق تام مع السياسة الفرنسية في لبنان .

في ١٠ كانون الثاني ١٩٣٨ عقدت الكتائب اللبنانية للالعاب الرياضية اجتماعاً عاماً في ناديها بمحلة فرن الشباك رافعين العلم اللبناني وعدة اعلام كتبت عليها العبارات التالية :

«فليحي رئيسنا المحبوب إميل اده» .
«فليحي رئيس الوزراء خير الدين الأحدب» .
«لبنان المستقل يحيّي فخامة الرئيس»[٢١] .

في ٢ نيسان كتبت جريدة «البشير» «هؤلاء شبان الكتائب يعقدون الاجتماعات ، ويلقون الخطب ويمارسون الخطط التي درجوا عليها قبل قرار الإلغاء ، فكأنه لم يتبدل شيء من الوجهة العملية»[٢٢] .

في أول تموز ١٩٣٨ صدر التعديل في القانون الأساسي للكتائب في المادة الأولى «الكتائب اللبنانية منظمة للشباب الوطني غايتها السعي المتواصل إلى إعداد أمة لبنانية تدرك واجباتها وحقوقها في دولة ناجزة الاستقلال كاملة السيادة بالتحالف والصداقة مع فرنسا»[٢٣] .

في حين تميزت فترة حل الكتائب ١٩٣٧ ـ ١٩٤٣ بعدة نشاطات :

ـ تنظيم مصلحة الشؤون الاجتماعية عام ١٩٣٨ «يوم الفقير» .
ـ انشاء مستوصفات مجانية في بيروت ، طرابلس ، زحلة وجونية .

---

(٢١) جريدة البشير ١٢ كانون الثاني ١٩٣٨ بيروت .
(٢٢) نفس المصدر ٢ نيسان ١٩٣٨ .
(٢٣) القانون الأساسي للكتائب اللبنانية لعام ١٩٣٨ مطبعة عازار ـ بيروت تموز ١٩٣٨ .

– فتحت دائرة خاصة للاستشارات القانونية المجانية .
– تصدّت للحزب القومي السوري في أكثر من مناسبة .
– انشاء مكتب للتوظيف .
– تظاهرة كتائبية احتجاجاً على إقامة حفلة تكريمية في نادي الشرق على شرف نائبين شيوعيين فرنسيين جاءا لبنان لاعلان تضامنهما مع شعبه بالاستقلال والسيادة .
– عام ١٩٣٩ رفعت الكتائب مذكرة إلى المندوب السامي غبريال بيسو تطالب بوقف العمل بالدستور للسماح بحكم فرنسي مباشر على لبنان وسمت جوزف سعادة ضابط ارتباط بين الكتائب ومكتب الكابتن دارسي (٢٤) .

خلال فترة الحكم الفيشي اعتقل العديد من اللبنانيين باستثناء الكتائب . كذلك حصل الأمر نفسه في ظل جيوش الحلفاء حتى أنها دعمت الرئيس الفرد نقاش المدعوم من الفرنسيين بخلاف موقف البطريرك عريضة والكتلة الدستورية المطالبين بالاستقلال .

وفي اثناء احداث ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ وقفت الكتائب إلى جانب أكثرية الشعب اللبناني الداعية للاستقلال . لكن كان لها نظرتها الخاصة لمفهوم الاستقلال الذي لا يُحدث تغييراً في طبيعة النظام اللبناني القائمة زمن الانتداب .

فعندما حاول رئيس الحكومة رياض الصلح إلغاء كل مظهر من مظاهر الاستعمار الفرنسي عبر إخراج جيوشه من لبنان وتشكيل جيش وطني وقفت الكتائب إلى جانب التيار المهيمن في السلطة والداعي إلى وطن قومي مسيحي وربط لبنان بمعاهدة مع فرنسا .

أهداف الكتائب :

«حسب المادة الأولى من القانون الأساسي لعام ١٩٣٨ تهدف الكتائب إلى إنشاء منظمة وطنية بالتحالف مع فرنسا وذلك :
– بتربية مواطنين لهم مثال وطني .
– اعداد الشباب للقيام بالتزاماتهم الوطنية قياماً يتفق ومصلحة الوطن والعائلة .
– بإنماء روح التضحية في صفوف الشباب مقروناً بمبدأ النظام والتعاون .
– باحياء عوامل الأخوة بين ابناء الوطن .
– تهذيب طباعهم وتعويدهم التسامح واحترام حريات الغير احتراماً مطلقاً» (٢٥) .

(٢٤) تاريخ حزب الكتائب اللبنانية الجزء الأول مصدر مذكور ص ١٩٨ .
(٢٥) القانون الأساسي للكتائب لعام ١٩٣٨ مصدر مذكور .

كون كل أمة لها جذور تاريخية وحضارية ربطت الكتائب الأصل اللبناني بالفينيقيين لتميزهم عن الأصل العربي . لذلك راح الكتائبيون ينكرون كل ربط للبنانيين بالعروبة وإن كانوا يصرّون على تعاون رحب مع الدول العربية دون اعطاء وصفة العروبة إلى القومية اللبنانية ، «ذلك أن التعاون لا يؤلف عنصراً كيانياً ثابتاً ، بل هو عرض سياسي خاضع لمستلزمات السيادة والاستقلال مرتبط بالظروف السياسية وما تنطوي عليه من تقلبات جوهرية أي من حيث هي ، ولا يمكن تعريض الكيان كله لمجرد مزجه بعنصر عارض خاضع لتقلبات الأحداث» (٢٦) . وهم في منشوراتهم يربطون الاسلام بالعروبة دون الأخذ بالاعتبار الاختلاف في المفهومين : الدين والقومية .

ويشير بيار الجميل أيضاً إلى رفض فكرة سوريا الطبيعية ويعتبرها من عمل المستشرقين ولا ترتكز على أساس تاريخي . ويرفض نظرية الأمة العربية التي تضم الشعب اللبناني وإن كان يتكلم اللغة العربية التي يعتبرها اداة تقريب لكنها لا تشكل امة . «ذلك ما يبرهن وضع سويسرا والبلاد الانكلوسكسون في أمريكا الجنوبية» (٢٧) . لم يشر القانون الأساسي للكتائب إلى اظهار طابع طائفي لها ، فهي «مؤسسة وطنية صرف بعيدة عن كل صبغة مذهبية أو عنصرية .

– متجردة كل التجرد وبعيدة كل البعد عن الروح النفعية .
– وهي ترمي إلى الانتشار في كل مناطق لبنان ، وتناشد كل اللبنانيين مقيمين ومغتربين أن ينخرطوا في صفوفها .
– تحقير كل سياسة حزبية نفعية محلية أو شخصية .
– تحارب وتشجب العقائد والتعاليم السياسية المغايرة للوطنية الصحيحة التي تسعى إلى تهديم لبنان أو الاخلال بوضعه الحاضر» (٢٨) .

كذلك رفعت الكتائب مطلب «التشريع المدني العلماني الذي يحترم كل الأديان» . ثم يستطرد «لكن ليس بكاف أن تُستأصل الطائفية من النصوص لأنه من الغباوة أن نحذفها من النصوص إذا لم تهتد بالضبط إلى أن نستبدله بها بشروط وضمانات كافية . . .» (٢٩) . وهذه الفقرة الأخيرة تبقى اللغز إلى اليوم لمعرفة ماهية «الشروط والضمانات المطلوبة» .

(٢٦) جريدة العمل ١٩ تموز ١٩٤٦ بيروت .
(٢٧) Pierre Gemayel : connaissance des Kataebs P. 7 Beyrouth 1948 .
(٢٨) انظر القانون الأساسي للكتائب لعام ١٩٣٨ مصدر بمذكور .
(٢٩) انظر ناجي امين : فلسفة العقيدة الكتائبية بيروت ١٩٦٦ ص ٣١ منشورات الكتائب اللبنانية .

من جهة أخرى يلتقي أكثر من مصدر محلي وأجنبي على وضع الكتائب في خانة المنظمات الطائفية . ففي تقرير للمفوضية البريطانية في بيروت عام ١٩٤٢ يشير إلى أن الكتائب اللبنانية شُكلت على أساس فاشستي حيث الأكثرية الساحقة من اعضائها مسيحيون يقعون تحت تأثير الجزويت (٣٠) .

إضافة إلى ذلك يكثر عدد المنتسبين إلى منظمة الكتائب في المناطق ذات الأكثرية المسيحية ويندر الأعضاء المسلمون .

والكتائب كبقية المنظمات اللبنانية لا تعطي ارقاماً حقيقية عن عدد المنتسبين اليها . ويبقى كل احصاء يُنشر في بعض الأحيان يستند على تصريحات لمسؤوليها التي كثيراً ما تحمل من المبالغة في ظل فقدان سجلات رسمية . لكن ما تجدر الاشارة اليه هو أن عدد المنتسبين «يتبدل بالنسبة للظروف ويتناقض زمن السلم» (٣١) . وبشكل عام فان ازدياد الأعضاء المنتسبين في صفوف الكتائب يعود لسببين :

١ - التصعيد الطائفي وتستفيد منه الكتائب كثيراً بمن ينضوي في صفوفها من مسيحيين .
٢ - تشجيع السلطات اللبنانية انتساب موظفيها إلى صفوف الكتائب .

بنية منظمة الكتائب

ولدت الكتائب كتنظيم شبه عسكري تحت ستار الرياضة حيث كان لبيار الجميل دور كبير في اعدادها وتدريبها كونه «كابتن» فريق رياضي . عام ١٩٣٧ فوضته اللجنة التأسيسية سلطات واسعة أخذت تتعزز عبر تعديلات متلاحقة . لحظت المادة العاشرة من القانون الأساسي لعام ١٩٣٨ ما يلي «يدير الكتائب اللبنانية ويدبرها رئيس أعلى يمثلها في كل مناسبة تستدعي تمثيلها ، ويساعده في أعماله أمين السر العام ورؤساء المصالح الادارية ورؤساء الفرق في المناطق وفقاً للشروط المدرجة في النظام العام (٣٢) .

أما النظام العام الذي وُضع موضع التنفيذ في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٢ فقد جدد للرئيس الأعلى ولايته مع اعطائه حق «تمثيلها لدى السلطات والمحاكم والآخرين» (٣٣) .

---

(٣٠) F.O 226 doct 309 le 27 Novembre 1941 .
(٣١) F.O 226 doct 309 le 27 Novembre 1941
Lucien George et Toufic Makdessi: Les partis libanais en 1959 3ème édition.
(٣٢) انظر القانون الأساسي للكتائب لعام ١٩٣٨ مصدر مذكور .
(٣٣) انظر النظام العام للكتائب ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٢ .

في البداية كان الانتساب للكتائب يجري بطريقة عفوية حتى الأول من أيار ١٩٣٧ عندما صدر النظام الأساسي الذي حدد شروط الانتساب ولحظ فئتين من الأعضاء :

١ - اعضاء عاملون .
٢ - اعضاء شرف .

أما القانون الأساسي لعام ١٩٣٨ فقد لحظ فئة ثالثة وهم الأعضاء المؤيدون للكتائب من اللبنانيين واللبنانيات الذين تعذر عليهم خدمتها ، ولكنهم يشدّون أزرها معنوياً . وقد قُبل كاعضاء فخريين كل الأشخاص الذين خدموا لبنان والكتائب ، وكل الأعضاء القدامى في الكتائب الذين مضى عليهم نيف وعشر سنين في خدمة المنظمة خدمة مخلصة .

وسمح القانون الأساسي بقبول اعضاء عاملين في الكتائب عمرهم أقل من عشر سنوات . وفي عام ١٩٤٢! عُدّلت الشروط مراراً وقُسِّم الأعضاء العاملون إلى ثلاث فئات تبعاً لأعمارهم :

١ - الراشدون ١٨ سنة .
٢ - الشباب من ١٤ إلى ١٨ سنة .
٣ - الفتيان من ١٠ إلى ١٤ سنة .

كل كتائبي قُبل في المنظمة بصفة عضو عامل يعطى البطاقة الحزبية ثم يقسم اليمين : «أقسم بالله وبشرفي أن أبقى أميناً للبنان وللكتائب اللبنانية متقيداً بمبادئها ومطيعاً أوامر رئيسها الأعلى وأن أقوم بواجباتي قياماً حسناً» (٣٤) .

جرى تعديل القسَم بموجب القرار ٢٨١ من حيث مكان أدائه وفي الصيغة . ومنذ تأسيس الكتائب كانت الرياضة المحرك الأساسي للتعبئة وقد استقدم أساتذة اختصاصيون للإشراف على التدريبات الرياضية . وخضع العاملون منها لتدريبات عسكرية منذ النشأة على ملعب السكة الحديدية في فرن الشباك بأمرة ضباط فرنسيين . إتخذ الكتائبيون لباساً خاصاً للمناسبات مؤلفاً من بريه كحلية وقميص كاكي وبنطلون كحلي وطماقات بيضاء . أما شعارهم فكان الله ، الوطن ، العائلة .

مقر الكتائب :

إتخذت الكتائب مقراً لها في فيلا عبدالله المدوّر على طريق الشام حيث أقامت الأشهر

---

(٣٤) انظر النظام الداخلي لفرق الأقاليم قرار رقم ٤ - ٢ تاريخ ١٠ أيار ١٩٤٢ .

الفاصلة بين تأسيسها وحلّها الأول في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٧ . بعد جلاء الجيوش الفرنسية عن لبنان عام ١٩٤٦ اتخذت الكتائب مقر البحرية الفرنسية في منطقة الصيفي مركزاً لها ما زال قائماً لليوم .

منشورات الكتائب

خلال الفترة الفاصلة بين التأسيس وعام ١٩٤٦ صدر عن منظمة الكتائب عدة بيانات في مناسبات مختلفة تتولى نشرها الجرائد الواقعة تحت تأثير الجزويت حتى صدر العدد الأول من جريدة العمل كناطقة باسم الكتائب في ٢١ تشرين الأول ١٩٣٩ ، وكان صدورها اسبوعياً . تعرضت الجريدة كغيرها من الصحف لقلم الرقابة في فترة الانتداب .

في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٦ وبعد أن أكملت جريدة العمل تجهيزاتها وأصبحت لها مطابعها الخاصة صدرت يومية بأربع صفحات .

ج ـ منظمة النجادة

ادت عوامل مختلفة إلى ولادة منظمة النجادة كنقيض لمنظمة الكتائب . من بينها ردود الفعل المتباينة لدى المسيحيين والمسلمين أثر توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية عام ١٩٣٦ . وقد لعبت منظمة الكتائب دوراً بارزاً كاطار جماهيري لتنظيم المسيحيين في رفع شعار انعزال لبنان عن العالم العربي والارتباط بفرنسا . حينذاك أوعز عدد من قيادات بيروت الاسلامية لفريق من شباب الطائفة لانشاء منظمة شبه عسكرية تواجه تحركات منظمة الكتائب . فقام بالمبادرة مجموعة مؤلفة من حسين سجعان ـ منى حيدر ـ عبدالله دموس ـ محي الدين النصولي ـ عماد الصلح ـ جميل مكاوي [٣٥] . وفصلت أعداداً من جوالة الكشاف المسلم الذين تزيد اعمارهم عن ١٨ سنة مع غيرهم من الشباب المسلمين ، وادخلتهم في تنظيم شبه عسكري اطلقت عليه اسم النجادة . واختارت لقيادة هذه المنظمة جميل مكاوي .

جاء تنظيم هؤلاء الشباب على صورة تنظيم حركة الفتوة العراقي الذي اطلع عليه عادل الصلح في اثناء زيارته إلى بغداد [٣٦] . وتلقى افراد النجادة تدريباً عسكرياً بأمرة أحد ضباط الجيش التركي سابقاً مختار الصلح . بينما أشرف عبدالله دموس ومحمد عيتاني على

(٣٥) مقابلة جرت مع عماد الصلح ٢٣ شباط ١٩٧٨ بيروت .
(٣٦) نفس المصدر .

«البرنامج التثقيفي الذي تضمن ندوات حقوقية وجغرافية مع عرض افلام تعالج موضوعات مختلفة [٣٧] .

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٧ شمل مرسوم حل المنظمات شبه العسكرية منظمة النجادة . لكن النجادة ظلت تمارس نشاطاتها كالكتائب دون أن يكون لمرسوم الحل أثر على نشاطها . وجاء هذا ضمن سياق التوازن في السلطة اللبنانية بين البورجوازية المارونية والسنية . فالمنظمتان محسوبتان عليها وما يطاول احدهما يطاول الأخرى .

شهدت النجادة أول حركة انشقاق في صفوفها العام ١٩٤٣ بقيادة الدكتور أنيس الصغير ضد قيادة جميل مكاوي الذي اتهم بعلاقته مع المخابرات الفرنسية كون زوجته الفرنسية الأصل موظفة في قسم المعلومات في المفوضية الفرنسية وعزز موقف متهمي مكاوي استناداً إلى حادثتين جرتا .

١ ـ عام ١٩٤١ إعتقلت سلطات الانتداب الفرنسي قيادة النجادة باستثناء رئيسها جميل مكاوي بتهمة الاخلال بالأمن [٣٨] .

٢ ـ وقف جميل مكاوي إلى جانب حكومة أيوب ثابت في قضية المرسومين ٤٩ و ٥٠ عام ١٩٤٣ والتي حملت أجحافاً تجاه حقوق المسلمين في البرلمان [٣٩] .

واستمرت حركة الانشقاق في صفوف النجادة لحين تعين جميل مكاوي قنصلاً للبنان في لندن عام ١٩٤٤ . بعدها توحدت برئاسة الدكتور أنيس الصغير . في هذه الأثناء كانت حكومة الاستقلال قد تراجعت عن مرسوم حل النجادة والكتائب . وفي سنة ١٩٤٤ منحت حكومة رياض الصلح ميدالية الاستحقاق لكل من علمي المنظمتين ولرئيسهما بيار الجميل والدكتور أنيس الصغير، كتقدير على مشاركتها في معركة الاستقلال دون غيرهما من القوى السياسية الأخرى . توزع المنتسبون لمنظمة النجادة على مختلف المناطق اللبنانية وبخاصة بأعداد كبيرة في المناطق اللبنانية ذات الكثافة السنية . وجرى تنظيم عناصر النجادة في فرق تحمل أسماء لها دلالتها في تاريخ العروبة والاسلام ولبنان ، فمثلاً كانت فرق قيادة بيروت تحمل الأسماء التالية : الوليد ـ الهاشمية ـ يوسف العظمة ـ فخر الدين المعني ـ ميسلون ـ الأنصار ـ فؤاد الأول ـ بدر الكبرى ـ عبدالله بن سرج ـ علي بن أبي طالب ـ اليرموك ـ صلاح

(٣٧) مقابلة جرت مع عدنان الحكيم في ١٨ تموز ١٩٧٧ .
(٣٨) مقابلة جرت مع عضو المكتب السياسي للنجادة محمد دموس في ١٥ آب ١٩٧٧ بيروت .
(٣٩) F.O 226 doct 240 en 1943.

الدين الأيوبي ـ الاندلس ـ الفاروق ـ الأرز ـ غازي الأول ـ لبنان ـ بشامون ـ طارق بن زياد ـ الصاعقة ـ الدفاع ـ الرشيد .

وكان عدنان الحكيم يشغل منصب قائد منطقة بيروت ونائب القائد العام في النجادة .

أما في صيدا فكان يوجد فرقتان ، («خالد بن الوليد» و«طارق») ، بأمرة مفوض الجنوب الدكتور رياض شهاب .

وفي منطقة بعلبك نظمت فرقة واحدة بقيادة مفوض المنظمة عبدالله الرفاعي . أما فرق المناطق الأخرى فحملت الأسماء التالية : فرقة غازي الأول (مجدل ترشيش) ، فوج اليرموك (برجا) فرقة فضل الله الهنيدي (صليما) ، فرقة الاندلس (شحيم) ، فرقة جب جنين والقرى التابعة لها كانت بقيادة الدكتور نعيم صعب [٤٠] .

أما علاقة الشيعة بمنظمة النجادة فكانت تتم عبر العلاقة مع الصحفي كامل مروة وعلي بزي .

لم تتوجه قادة النجادة في تجنيد المؤيدين نحو أهل الفكر بل اقتصرت على أوساط اسلامية مثل : العمال اليدويين . عمال التنظيفات ـ عمال المواني وعدد من الكادرات في الأوساط الطلابية [٤١] .

شكلت هذه الفئات أرضاً خصبة لتقبل دعوة النجادة بحكم شعورهم بالانتماء للعروبة . كانت الصورة أمام أنظارهم في لبنان صراعاً بين المسيحية ممثلة بالكتائب والمسلمين ممثلين بالنجادة .

أهداف النجادة

حسب المادة الرابعة في أول قانون أساسي للنجادة كانت «غايتها جمع كلمة الشباب وتوحيد صفوفهم وايقاظ الوعي القومي فيهم وترويضهم على الطاعة والنظام والتضحية وانماء الروح الرياضية فيهم وتوجيه جميع قواهم لرفع شأن لبنان وربطه باتحاد مع بقية الأقطار العربية الشقيقة» .

وقد جاء في المادة الخامسة : «تعتبر النجادة أن لبنان بلد عربي له ما لبقية الأقطار

(٤٠) جريدة الأنصار ٣٠ أيار ١٩٤٤ عدد خاص عن منظمة النجادة .
(٤١) **لوسيان جورج وتوفيق المقدسي** : الأحزاب اللبنانية ص ٢٢ مصدر مذكور .

العربية من الحقوق وعليه ما عليها من الواجبات» . وبعد نيل لبنان استقلاله تخلت النجادة عن فكرة الاتحاد بطرح بديل ورد فيه «لبنان بلد عربي له ما للبلاد العربية من حقوق وعليه ما عليها من واجبات . وتؤمن بأبعد حقوق التعاون المعقول بينه وبين الأقطار العربية على أساس تأمين مصالحه الحيوية واحترام حرية سكانه في تقرير مصيرهم وسيادتهم» [٤٢] .

حظر القانون الأساسي للنجادة على أفراد النجادة الاشتغال في الحزبيات الشخصية . وفي حال رغب أحدهم أو أحد الأعضاء التابعين للهيئة العامة بالاشتراك في ميدان الانتخابات ، فعليه أن يستقيل فوراً من المنظمة ويعمل على مسؤوليته الخاصة . بذلك وضع الزعماء المسلمون في بيروت منظمة النجادة ضمن إطار من النشاط المحدود في خدمة التجاذب القائم بين البورجوازية المارونية والبورجوازية السنية في السلطة اللبنانية . وبالتالي بقاء الشعب اللبناني أسيراً لمواقف طائفية دون الوطنية الصحيحة . وهذا ما توافق عليه قادة الطوائف آنذاك .

شعار منظمة النجادة .

يتألف شعار المنظمة من الرموز الآتية :

«بلاد العرب للعرب» وهي جملة مقتبسة من قول للشريف حسين عندما أعلن الثورة العربية سنة ١٩١٦ فقال :

«بلاد العرب للعرب ، لا يحكمها إلا واحد منهم» .

والسنبلتان ترمزان إلى «الحياة» اذ أن سنبلة القمح رمز تاريخي يمثل الحياة المستمرة . وأما المثلث فيرمز إلى «القوة» . وهو أيضاً من المصطلحات المتفق عليها منذ عهد اليونانيين على أنها تمثل «البناء» و«القوة» . وفي المثلث كلمة «نجاد» وهي مشتقة من فعل «نجد» . فالنجاد على استعداد دائم لتلبية المغيث وعونه ولإجابة داعي الوطن ونجدته [٤٣] .

القسم [٤٤] .

كل فرد يقبل في صفوف النجادة عليه تأدية القسم الآتي :

أعاهد عهد حر أبي :

(٤٢) القانون الأساسي للنجادة عام ١٩٣٧ .
(٤٣) جريدة الأنصار ٣٠ أيار ١٩٤٤ .
(٤٤) نفس المصدر .

أن أقوم بواجبي نحو الله والوطن .

أن أكون دائم الاستعداد لنجدة كل مستغيث .

أن أطيع أوامر رؤوسائي وشريعة النجادة .

أما صرخة النجاد فهي تتألف من أسئلة يوجهها المدرب العام إلى النجادين ومن اجوبتهم عليها وهي :

س ـ نجاد

ج ـ لبيك

س ـ لبنان

ج ـ لنا

س ـ العروبة

ـ عزنا ـ رمزنا ـ فخرنا .

نشيد النجادة (٤٥)/ :

وضع نشيد النجادة محمد يوسف حمود ولحنه الملازمان فليفل اخوان :

نجادة، يا وجه العلى وخفقة العلم
كن للبلاد الامل والسيف والقلم
في حالكات النوب
لا تهب
واهتف : بلاد العرب للعرب

بلادي ، بلاد الشباب الأبي
اذا انتابك الشر من اجنبي
فنجادك الفارس اليعربي
يشرها ، مدى الشرق والمغرب
فدا وجهك الأقدس الطيب

لنا أرزنا ، بعربيا سما
ومجداً تهادى ، يضاهي السما
أرقنا على أفقيه الدما

(٤٥) نفس المصدر .

فداء للبنان كي سلما
ويسلم جيل اليه انتمى

بلادي ، سنمشي ولسنا نهاب
ونزحف في الحالكات الصعاب
تميد الجبال بناو الرحاب
وعدتنا : سيفنا والكتاب
ونور الشيوخ ، ونار الشباب

اجهزة المنظمة :

تتألف الهيئة العامة من :

أ ـ رئيس واعضاء اللجنة العليا .

ب ـ اعضاء المديريات .

ج ـ مفوض وقائد كل منطقة من المناطق الخمس في لبنان ـ بيروت ـ جبل لبنان ـ البقاع ـ لبنان الشمالي ـ لبنان الجنوبي .

د ـ ١ ـ اعضاء لجان المناطق

٢ ـ اللجنة العليا :

تنتخب الهيئة العامة اعضاء اللجنة العليا المؤلفة من ١٢ عضواً : الرئيس ـ القائد العام ـ أمين السر العام ـ مدير الادارة ـ مدير الدعاية والنشر ـ مدير المال ـ مدير الشؤون الاجتماعية ـ مدير التربية والتعليم ـ مدير الشؤون القضائية ـ مدير الصحة ـ مدير الشؤون الداخلية .

تنتخب اللجنة العليا رئيسها ـ رئيس النجادة .

٣ ـ مجلس القيادة العامة :

يتألف مجلس القيادة العامة من القائد العام ومن أربعة اعضاء هم معاون القائد العام (قائد منطقة بيروت) وأمين سر مجلس القيادة العامة والمفتش العام والمدرب العام . وتلحق بهذا المجلس معتمدية الرياضة وهي مؤلفة من عميد الرياضة يساعده ثلاثة أعضاء .

في العام ١٩٤٣ استحدث في منظمة النجادة مكتب سياسي مهمته المساهمة في وضع الخطوط السياسية الكبرى للمنظمة مستمداً تلك الخطوط من مبادىء المنظمة وللعمل على

تحقيق الانسجام السياسي بين النجادين . ولتحقيق هذه الغاية سعى المكتب السياسي لتشكيل دائرة للوثائق المتعلقة بلبنان خاصة والقضية العربية عامة .

أعلنت منظمة النجادة في أكثر من مناسبة عن معالجة المشاكل الاجتماعية للمواطن بهدف ردم التفاوت الاجتماعي بين المواطنين لابعادهم عن التعصب الطائفي [٤٦] .

في العام ١٩٤٤ أقدم أحد أعضاء مديرية الدعاية والنشر محمد شقير المشروعات والأعمال التي تعدها المديريات وتعمل على تحقيقها وهي :

مكافحة البطالة والأمية ـ الوحدات الصحية ـ البيوت والملاعب للنجادين في المناطق والفروع ـ التوجيه السياسي الصحيح لكل نجاد ـ تعريف النجادين إلى جغرافية لبنان وتاريخه وإلى جغرافية كل قطر عربي وتاريخه . وما يمكن الحكم على هذه المشروعات إلا أنها كانت دعائية لتأمين استمرارية التفاف الأعضاء حول النجادة . لأن هذه المشاريع لم تبصر النور [٤٧] .

منذ نشوء منظمة النجادة لم يكن لها صحيفة ناطقة باسمها . بل كانت جريدة بيروت لصاحبها محي الدين النصولي تعرض وجهة نظر النجادة التي هي وجهة نظر القيادات الاسلامية في بيروت . سنة ١٩٤٢ أصدر رئيس النجادة جميل مكاوي جريدة «الهدف» كناطقة باسم المنظمة . استمرت «الهدف» تعكس وجهة نظر النجادة حتى العام ١٩٤٥ لتخلفها جريدة «الايمان» . أما وسائل النشر الأخرى للنجادة فاقتصرت على منشورات توزع في الأحياء الاسلامية في مناسبات مختلفة . وكذلك رفع مذكرات للمسؤولين في الدولة جاءت بأكثريتها تطالب بانصاف المسلمين على صعيد المؤسسات في الدولة اللبنانية واجراء احصاء يستثني المغتربين اللبنانيين .

ترجمت النجادة شعاراتها العروبية بإقامة علاقات مع بعض القوى السياسية في العالم العربي وبخاصة الآسيوية منها . فقد تأسس في مدينة حيفا فرع للنجادة كلف بمسؤوليته محمد الهواري يعاونه مدرب عسكري انتدبه المركز الرئيسي في بيروت . كان عمر هذا الفرع قصيراً جداً ووقف نشاطه بعدما تبين أن الهواري أحد عملاء المخابرات الانكليزية [٤٨] . من جهة أخرى كان للنجادة علاقة جيدة مع الكتلة الوطنية في سورية ، وفيما بعد مع حزب

---

(٤٦) نفس المصدر .

(٤٧) نفس المصدر .

(٤٨) مقابلة جرت مع عدنان الحكيم في ١٨ تموز ١٩٧٧ .

الاستقلال الذي تزعمه شكري القوتلي . أما على صعيد الصراع القائم بين الحلفاء والمحور ، تعاطفت النجادة مع المانيا وإيطاليا باعتبارهما يصارعان أعداء العرب اللدودين بريطانيا وفرنسا . فالأولى تعتبر بنظر القوميين العرب المسؤولة الوحيدة عن إقامة الصهاينة في فلسطين وفي استعمار اجزاء مختلفة من الوطن العربي . بينما نظرت النجادة لفرنسا كقوة معادية ليس فقط لاستعمارها بلدان المشرق والمغرب بل لسياستها القائمة على تقسيم السكان على أساس طائفي وهي سياسة تشابه سياسة بريطانيا لاستيطان اليهود في فلسطين .

كما هو شأن الكتائب حققت منظمة النجادة نجاحاً لتكون كإطار جماهيري تعبر عن رغبات فئة من الشعب اللبناني (أكثرية اسلامية) . لم يكن سر هذا النجاح لما قامت به من نشاط أو لطروحاتها لحل مشاكل المجتمع اللبناني ، بقدر ما كان يعود لنهج السلطة اللبنانية الطائفي الذي اجبر المواطن اللبناني على الانخراط طوعاً في التجمعات الطائفية لأبناء دينه . بقدر ما دعم القادة المسيحيون منظمة الكتائب في رفع مطالب المسيحيين وبخاصة الموارنة ، دعم الزعماء المسلمون منظمة النجادة في طروحاتها الطائفية .

ففي أكثر من مناسبة كانت احتفالات المنظمتين تجري بحضور كبار الرسميين في الدولة اللبنانية وفي أكثر من مرة توضع اجهزة الدولة في خدمة نشاط المنظمتين . ووصل الأمر في بعض الظروف أن تنازلت السلطة اللبنانية عن مسؤولية الأمن في بيروت للتولاها منظمة الكتائب في المنطقة الشرقية من العاصمة مقابل تسليم النجادة الأمن في المنطقة الغربية .

بينما حرص المسؤولون المسيحيون في لبنان على الحفاظ على منظمة الكتائب برعاية تامة ، كانت منظمة النجادة تتعرض من حين إلى آخر لصدام في المواقف مع بعض توجهات القادة المسلمين وبخاصة رياض الصلح . فيصار لاقفال مكاتبها أو الحد من نشاطها ، واحياناً يصار إلى شل هذا النشاط عبر التلويح لبعض قادتها باحتلال مناصب عليا في الدولة . مثال محي الدين النصولي الذي سمي نائباً بالتعيين عن بيروت بعدما هاجم مقررات مؤتمر صيدا عام ١٩٣٦ لتمسكه بالوحدة مع سوريا . إضافة إلى موقف رئيس النجادة جميل مكاوي عام ١٩٤٣ إزاء قضية المرسومين ٤٩ و ٥٠ .

د ـ منظمة الغساسنة

في سنة ١٩٣٩ طرح ناصيف مجدلاني على وجهاء محلة المزرعة فكرة تنظيم سياسي بشكل منظمة تحمل اسم «الغساسنة» ، لكن لم يجد التجاوب المطلوب للنجاح . ومضى وقت فتحمس للفكرة صاحب جريدة «النهار» جبران تويني ، جورج معماري ، نسيم مجدلاني

والدكتور بهيج سالم . وقد نال هؤلاء المؤسسون إجازة حكومية سنة ١٩٤٣ (٤٩) حمل البيان الأول لمنظمة الغساسنة الذي وجه إلى شباب لبنان الآتي : لقد تقدمنا من الحكومة اللبنانية لسنتين خلتا ، طالبين إجازة باسم «الغساسنة» مرفوقة بالأهداف التي نرمي اليها وهي :

أولاً : جمع شتات الشباب اللبناني وتوثيق صلة التفاهم فيما بينهم وتعويدهم على الاحتفاظ بتقاليدهم القومية وسد النقص الذي تتركه فيهم التربيتان المدرسية والبيتية .

ثانياً : تمرين الشباب على النظام لتكون تصرفاتهم في حياتهم العام منسجمة متناسقة فيعرف الفرد أين تبدأ واجباته ، وأين تنتهي حقوقه ، وهي تعتمد كثيراً على الرياضة والكشفية لتحقيق هذا الغرض .

ثالثاً : يرمي «الغساسنة» إلى الاحتفاظ بكيان لبنان وشخصيته المعنوية والمادية بما يتفق مع ماضيهم العزبي وتقاليدهم الخاصة المستمدة من تطورات التاريخ (٥٠) .

شكلت أول لجنة عليا للغساسنة سنة ١٩٤٤ من المحامي نسيم مجدلاني رئيساً أعلى وعضوية ناصيف مجدلاني - نجيب قربان جورج معماري والدكتور جورج بدر . وكان من الأمور الأساسية التي جرى النقاش طويلاً حولها قبل التأسيس إبعاد الصيغة الطائفية عن منظمتهم . لكن رغم جميع المحاولات عرف أن هذه المنظمة كانت غايتها في البدء جمع شتات شباب الطائفة الارثوذكسية الوحيدة بين الطوائف التي لم يكن لها منظمة سياسية . ويظهر ذلك جلياً في اختيار المناطق التي بدأت فيها هذه المنظمة أعمالها وانتهت مثل : المزرعة - المصيطبة - رأس بيروت . مار نقولا - ظهور الشوير - سوق الغرب - بحمدون والعبادية وكل هذه المناطق تسكنها أكثرية ارثوذكسية .

اتخذ لمنظمة الغساسنة الشعار التالي : عقيدة - تنظيم - عمل . فيما كانت تضم في صفوفها ثلاث فئات من المنتسبين : اعضاء عاملون ، واعضاء فخريون ، واعضاء مؤيدون . وأعطي الحق لكل لبناني بلغ الثالثة عشرة من عمره أن يكون عضواً في المنظمة من الذكور والاناث . لكن حصر حق التصويت لانتخاب قيادة المنظمة لكل من بلغ الثامنة عشرة (٥١) .

---

(٤٩) انظر تقرير من أربع صفحات عن منظمة الغساسنة دون توقيع موجود في أرشيف جريدة النداء .
(٥٠) بيان موقع من قبل المحامي نسيم مجدلاني في ٢٥ شباط ١٩٤٤ (موجود في مكتبة الجامعة الأميركية) .
(٥١) نفس المصدر .

الهيكلية التنظيمية للغساسنة .

المادة الأولى : تدير منظمة الغساسنة جمعية عمومية ولجنة عليا ولجان مناطق وفروع .

أ - تتألف الجمعية العمومية من أعضاء اللجنة العليا ، ومن رؤساء المناطق والفروع وامناء السر ومفوضي الكشفية والرياضة وعمدها .

ب - تتألف اللجنة العليا من اثني عشر عضواً تنتخبهم الجمعية العمومية .

ج - تتألف لجنة كل منطقة من اثني عشر عضواً ينتخبهم رؤساء لجان الفروع وأمناء السر وعمداء الرياضة والكشفية .

د - تتألف لجنة الفرع من تسعة اعضاء ينتخبهم الأعضاء العاملون التابعون لها .

المادة الثانية : تنتخب اللجنة العليا رئيس المنظمة ثم يتفق واعضاءها على تعيين عمل كل منهم ، فيعين مديراً لكل من الأعمال الآتية : الداخلية - المالية الاقتصادية - العدلية - الصحة - التربية والتعليم - الرياضة والكشفية - الدعاية والنشر - أمانة السر العامة .

وقد اعطيت للجنة العليا بشخص رئيسها صلاحيات واسعة حتى أصبح مسيطراً على كل شيء في المنظمة . فقد لحظت المادة الرابعة من القانون الداخلي ما يلي : كل عضو من أعضاء اللجنة العليا مسؤول منفرداً أمام الرئيس ثم أمام اللجنة العليا . أما اللجنة العليا مجتمعة فمسؤولة أمام الجمعية العمومية (٥٢) .

في هذه الهيكلية من التنظيم في «الغساسنة» اعطيت لوظائف هيئاتها عبارة لفظية : فعضو اللجنة العليا يسمى «مديراً» وعضو لجنة المنطقة «مفوضاً» وعضو لجنة الفرع «عميداً» .

على طالب الانتساب للغساسنةأن يقسم اليمين التالي : «اعاهد مقسماً بالله وبشرفي : أن أكون مخلصاً للغساسنة وللوطن ، واتقيد بقوانين المنظمة ونظمها ، واطبق ما فيها قولاً وعملاً ، وان اخضع لمقرراتها خضوعاً تاماً ، وان أطيع رؤسائي طاعة لا حد لها ، وأكتم أسرار المنظمة كتماناً مطلقاً ، وأن أحفظ نفسي قوياً في جسدي ، نيراً في عقلي ، كريماً في خلقي» (٥٣) .

---

(٥٢) انظر القانون الأساسي للغساسنة مطبعة الحياة بيروت ١٩٤٤ .
(٥٣) نفس المصدر .

شارة الغساسنة :

للغساسنة شارة خاصة مكونة من الوان العلم اللبناني مكتوب عليها كلمة «غساني» أو «غسانية» باللون الأسود .

علم الغساسنة .

كان علم الغساسنة هو العلم اللبناني وعليه كلمة «الغساسنة» باللون الأسود (٥٤) .

في بدء التأسيس اتخذ مقرّ «للغساسنة» في مار نقولا . لكن بعدما أصابها التراجع في مطلع العام ١٩٤٥ أصبح مركزها محل عمل رئيسها نسيم مجدلاني . وهكذا فكت آخر عقدة كانت تربط اعضاءها بعضهم ببعض .

كان للغساسنة جريدة تنطق باسمها هي «الحياة» ومن محرريها الياس زخريا ـ ناصيف مجدلاني ـ نجيب قربان وجبور عبد النور . في آخر العام ١٩٤٦ اصبحت جريدة «الغساسنة» هي الناطقة باسم المنظمة . أما الأعمال التي تنسب للغساسنة فكان فتح مستوصف مجاني في مار نقولا ، وإرسال بعثة طبية إلى دمشق يوم ضرب الفرنسيون العاصمة السورية بالطائرات عام ١٩٤٥ .

لم تنجح الغساسنة إلا لمدة قصيرة لأنها أتت بأساليب مرتجلة . فالمؤسسون ربما كانت لهم غاية وطنية غير أن هذه الغاية حدودها مصالحهم إذا ازعجتهم تراجعوا عنها وأهملوها وان خدمتهم اهتموا بتسييرها . أما الشباب الذي توجه اليهم المؤسسون فجلهم من شباب الأرثوذكس وكانوا بأكثريتهم من المتنورين والمنضوين في أحزاب قومية وهي توجهات قديمة عند الطائفة الأرثوذكسية (٥٥) .

---

(٥٤) نفس المصدر .

(٥٥) - Tabbarah, Bahig : les partis politiques au Liban P 105 . thèse droit politique - Grenoble. 1954.

الفصل الثالث

الأحزاب العلمانية

أ ـ الحزب السوري القومي

في مطلع الثلاثينيات نشط أنطون سعادة ، استاذ اللغة الألمانية في الجامعة الأميركية ، بالدعوة لتأسيس حزب سياسي ينطلق في مبادئه من مبادىء حزب والده الدكتور خليل سعادة الذي ظهر في الأرجنتين عام ١٩١٩ . سبق ولادة الحزب السوري القومي انخراط انطون سعادة في الأحزاب والجمعيات السورية القائمة في المهجر لعله يحقق ما يبتغيه من تفكير عقائدي . ولم يكتف بذلك بل انتمى إلى الماسونية ووصل إلى رتبة سكرتير محفل . لكنه ترك الماسونية لأن محافلها الوطنية رفضت العمل القومي بحجة أنها مؤسسة عالمية . لذلك قرر سعادة تأسيس جمعية على أسس قومية في المهجر ، لكن لم يطل العمر بها . فما كاد عدد الأعضاء يصل إلى رقم عال حتى انبرى بعضهم يطالب بوجوب اعلان «حزبهم» والمطالبة بما تعاقدوا عليه . فتركهم سعادة وانهارت الجمعية . رغم هذا الفشل لم يثن سعادة عن نشاطه من أجل جمع كلمة السوريين حول عقيدته ـ فنشر عدة مقالات في مجلة «المجلة» التي انشأها والده تتعلق بأساس الوجود الانساني . ثم أجرى مراسلات بينه وبين الجمعيات في المغترب ولا سيما في الولايات المتحدة لحث اعضائها على تبني عقيدته القومية لكنه وجد رؤساء هذه الجمعيات قد انجرفوا مع سياسة الفرنسيين والبريطانيين الشرق أوسطية وقبلوا بتقسيم بلاد الشام على أسس طائفية (١) .

بعد اخفاق جهود سعادة في المهجر رجع إلى سوريا في محاولة لايضاح العقيدة التي رسا عليها تفكيره وهي «سورية للسوريين والسوريون امة واحدة» ومبادىء تضمنت فصل الدين

---

(١) رسالة جورج عبد المسيح إلى مفوضية فنزويلا المركزية في الحزب السوري القومي الاجتماعي تاريخ شباط ١٩٦٥ رقم ٣٥/٣/٣ ، وذلك رداً على ما كتبه عبدالله القبرصي عن تاريخ الحزب في مجلة «المجلة» التي أصدرها على حسابه في فنزويلا ص ٣ .

عن الدولة وجعل الانتاج أساس توزيع الثروة والعمل وايجاد جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الأمة والوطن .

أوضح انطون سعادة دوافعه لانشاء الحزب السوري القومي أمام وكيله المحامي حميد فرنجية فقال «كنت حدثاً عندما نشبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ ولكن كنت قد بدأت أشعر وادرك . وكان أول ما تبادر إلى ذهني ، وقد شاهدت ، ما شاهدت ، . . . مما يعاني به شعبي هذا السؤال : ما الذي جلب على شعبي هذا الويل . ومنذ وضعت الحرب اوزارها أخذت أبحث عن جواب لهذا السؤال وحل للمعضلة السياسية المزمنة التي تدفع شعبي من ضيق إلى ضيق . . . . وكان أن سافرت إلى أوائل سنة ١٩٢٠ وقد بعثت الأحقاد المذهبية من مراقدها والأمة لم تدفن اشلاءها . ولم تكن الحال في المهجر أحسن إلا قليلاً . فقد فعلت الدعاوات فعلها في المهاجرين فانقسموا شيعاً . وكانوا كلهم سوريين . ولكن فئة كبيرة منهم خضعت للنعرات المذهبية . فنشأت هناك أيضاً الفكرة اللبنانية . التي هي نتيجة بقاء زعامة المؤسسات الدينية وسلطانها ونفوذها . بعد درس أولي منتظم قررت أن فقدان القومية هو السبب الأول في ما حل بأمتي وفي ما يحل بها» (٢) .

في مطلع السنة الدراسية ١٩٣٢ - ١٩٣٣ بدأ انطون سعادة بتأسيس حزبه مع خمسة طلاب من الجامعة الأميركية وهم جورج عبد المسيح ، فؤاد جرجس حداد، جميل صوايا ، زهاء الدين آل حمود (اردني) والخامس من آل تلحوق . تظاهر الآخران بالاقتناع مما اضطر سعادة أن يبعدهما باعلانه لهما أنه قرر حل الحزب . في حين عاود متابعة تأسيس الحزب بالثلاثة الباقين (٣) . واصدر مجلة «المجلة» بتمويل من والد جورج عبد المسيح الذي سلم سعاده ست ليرات أعانته على إصدار ثلاثة اعداد . ولما وجد سعادة أن المجلة تحتاج إلى تمويل لمدة طويلة وان قراءها أخذوها هدايا ولم يدفعوا ، ولم يكن عنده مصدر آخر للتمويل قرر وقف اصدارها (٤) .

مع بداية سنة ١٩٣٤ قرأ سعادة دستور حزبه أمام اثني عشرة عضواً سماهم المؤسسين بما فيهم هو . واتخذ لنفسه لقب رئيس الحزب حتى صيف ذلك العام حين تقرر إبدال لفظة الرئيس بلفظة الزعيم .

أثناء فترة العمل السري (١٩٣٢ - ١٩٣٥) كان نشاط الحزب السوري القومي يحصل

(٢) مجلة المعرض عدد خاص عن الحزب السوري القومي ٢٥ شباط ١٩٣٦ ص ٥ بيروت .
(٣) رسالة جورج عبد المسيح مصدر مذكور ص ٢ .
(٤) نفس المصدر ص ٥ .

باسم الشركة التجارية السورية لصاحبها فؤاد مفرج(٥) الذي كان يعتبر قطباً سياسياً منذ عهد الملك فيصل في دمشق . وزاد عدد المنتسبين الجدد من طلاب الجامعة الأميركية . وقد حمل هؤلاء أفكاراً إلى مناطقهم وانطلقوا يعملون على نشرها وعلى تأسيس فروع وخلايا وتعيين مسؤولين عنها أما عن اكتشاف الحزب من قبل الانتداب الفرنسي ، فتجمع المصادر على أن أحد المندسين في صفوفهم هو الذي أفشى بهم إلى المفوضية الفرنسية . فقد أشار جورج عبد المسيح بهذا الخصوص إلى أن فؤاد مفرج أدخل إلى الحزب عزيز الهاشم رئيس الحزب الجمهوري وجان سرور سكرتير ذلك الحزب ، دون العودة إلى مسؤوليه حسب التخطيط . وكان الفرنسيون قد أحسوا بوجود نشاط سياسي لانطون سعادة لكنهم لم يكونوا على بينة من أمره . وكان عزيز الهاشم عاملاً لحساب الفرنسيين ، فاعطى السلطة وقتذاك ما كانت بحاجة إليه في التعرف إلى حقيقة ما احسوا به . وتريث حتى عرف الوثائق واستوثقت اليه السلطة في إمكان الحصول عليها . وفي ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٥ القي القبض على الزعيم وعلى عدد من الذين كان قد تعرف اليهم عزيز الهاشم من العاملين في الحزب (٦) . أما مجلة Oriente Moderno الايطالية فأشارت إلى أن الأمير أسعد الأيوبي كان مخبراً للبوليس الفرنسي واعتقل من بين الأعضاء السبعة في الحزب (٧) .

أثار اكتشاف الحزب السوري القومي جملة من الاتهامات الصقت به منها العلاقة مع النظامين في روما وبرلين . استند مرجهو التهم إلى أمور ثلاثة .

١ - مباشرة بعد الاعتقال شوهد قنصل عام ايطاليا في السراي الحكومي في بيروت .

٢ - نشرت جريدة «جحا» أنه وجد لدى أحد أعضاء الحزب الموقوفين شك بأربعة آلاف مارك ، وان انطوان سعادة شوهد في عاليه في الصيف الماضي برفقة قنصل عام المانيا في لبنان (٨) .

٣ - وضع المدارس الألمانية في بيروت بتصرف الحزب قبل الحصول على رخصة رسمية (٩) .

أمّا أشد الحملات التي تناولت الحزب السوري القومي بعد اكتشافه فكانت من

(٥) اتخذت الشركة محلاً لها في شارع فوش . وقال المؤسسون أن غايتها تنشيط البضائع الوطنية والاستغناء عن البضائع الأجنبية .
(٦) رسالة عبد المسيح جورج مصدر مذكور ص ٩ .
(٧) Revue Oriente Moderno Decembre 1935 XV N 12 P.11 Italie .
(٨) Revue «Goha» Decembre 1935 N 12 Paris .
(٩) الموصلي، عاصم: الحزب حرب على العروبة ومؤامرة على سوريا بدون تاريخ ص ٢٠ .

الكنيسة المارونية التي تولى باسمها الأسقف لويس خليل وضع كتاب تناول فيه الحزب ومبادئه بعنوان «مؤامرة على الدين والوطن : الحزب السوري القومي» . وقد نشر الكتاب عام ١٩٣٦ بموافقة غبطة البطريرك الماروني. واعتبر الأسقف خليل أن أعضاء الحزب يقعون تحت طائلة الحرم الكنسي لأن هذا الحزب «هو شيعة سرية تسعى لملاشاة الكنيسة المقدسة وكل دين ولخراب لبنان»[١٠].

عند تقديم سعادة للمحاكمة اعترف بانشاء الحزب فحكم عليه بالسجن لستة أشهر، وضع وقتها أشهر مؤلفاته «نشوء الأمم» . لم يخرج اعضاء الحزب من السجن حتى عاودوا العمل على تشكيل قواعده واعلنوا مواقفهم بصراحة فيما يتعلق بشؤون بلاد الشام . وقد حدد مؤسس الحزب الثوابت الأساسية لحزبه في بلاغ من الزعيم إلى الرأي العام بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٣٦ وهي :

- إن البرلمان اللبناني لا يمثل مصالح الشعب بل يرتكز على النفوذ الشخصي لرجال الدين .
- إن المسألة اللبنانية تؤلف جزءاً متمماً للقضية السورية العامة فلا يجوز مطلقاً بحثها بحثاً مستقلاً .
- إن السوريين القوميين يقولون إن قضية سورية المشمولة بالانتداب البريطاني هي قضية السوريين عامة ، وإننا نزعم وزعمنا حق ، أن وعد بلفور وعد سياسي لا حقوقي وانه ليس لليهود حقوق خاصة أو عامة في أية أرض سورية[١١] .

ولقد سهل موقف الزعيم الرافض للكيان اللبناني أمر ملاحقته مجدداً أمام القضاء بعد أن وجهت له تهمة التحريض لضرب أحد الصحافيين اللبنانيين واعلان مرسوم التمرد[١٢] . وقضت المحكمة بالسجن على الزعيم ستة أشهر أخرى . لكن اقتصرت المدة على أربعة أشهر بعدما وضع سعادة وثيقة اعتراف بالكيان اللبناني . في السجن التقى انطون سعادة بقيادة المظاهرة في صيدا عام ١٩٣٦ وهم الشيخ أحمد عارف الزين ، عادل عسيران ، معروف سعد الذين اقتنعوا بالانتساب للحزب . وكلف عادل عسيران بمسؤولية فيدرالية الجنوب .

---

(١٠) الخوري أسقف خليل : مؤامرة على الدين والوطن الحزب السوري القومي ص ٢٠ المطبعة الكاثوليكية بيروت طبعة ثانية ١٩٣٦ .
(١١) كراس تحت عنوان بلاغ من زعيم السوريين القوميين إلى الرأي العام ١٥ حزيران ١٩٣٦ .
(١٢) جريج، جبران: مع انطون سعادة جزء أول ص ٥٠ بيروت ١٩٧١ .

بعد خروج سعادة من السجن أولى اهتماماً خاصاً لمسألة التهديدات التركية بفصل لواء الاسكندرونة عن سوريا . وقد وجه مذكرة احتجاجية إلى عصبة الأمم في جنيف مستنكراً ذلك[١٣] . في أواخر شباط ١٩٣٧ ، حصل صدام بين الدرك وبعض اعضاء الحزب فالقي القبض على الزعيم في ٩ آذار . وتولى التحقيق معه جورج مراد الذي أخلى سبيله بناءً على تفاهم بين الزعيم والحكومة اللبنانية . واعقب ذلك السماح للحزب بالعمل بصورة علنية ففتح مكتب رسمي وعقدت عدة اجتماعات عامة وصدرت جريدة النهضة[١٤] .

لم يكن اعتراف سعادة بالكيان اللبناني كما يتصور أنصار هذا الكيان بل بشكل يحافظ على وحدة سورية الجغرافية . فقد اقترح انشاء حكومة اتحاد سوري في جميع الأراضي السورية الواقعة تحت الانتداب الفرنسي . هذا النظام الجديد يراعي فيه الصعوبات الاجتماعية والسياسية التي تقاسيها الأمة وبذات الوقت تفسح المجال للنشوء والتقدم الطبيعيين نحو الوحدة القومية التامة[١٥] .

حاول سعادة محاباة النظام اللبناني لاكتساب الوقت لحين الظرف المناسب ونضج الأحوال في بلاد الشام بعد أن تكون قد ترسخت أكثر مواقع الحزب في الأرض . ومن منطلق ذلك يمكن تفسير العلاقة التي قامت بين سعادة والأمير عبدالله والتي رتبها القنصل الأردني في دمشق عبد المنعم الرفاعي[١٦] .

بعد أن اطمأن انطون سعادة إلى وضع حزبه ونشاطه قرر الانتقال إلى القارة الأميركية لاطلاع المغتربين الشاميين على أوضاع بلادهم وتأييد طروحاته السياسية . في طريقه إلى القارة الأميركية مر ببرلين وتفقد الفروع الحزبية السورية فيها . وقد سهل له المسؤولون الألمان الاتصال بعدد كبير من رجال الإعلام المعنيين بقضايا الشرق الأوسط . ووضع تحت تصرفه قطاراً خاصاً نقله إلى روما .

كانت البرازيل أول بلد أميركي حط فيه الزعيم والتي خرج منها مبعداً بعدما اعتقلته السلطات هناك بطلب من السفير الفرنسي لاشتغاله ببث الدعاية النازية هناك . بعدها انتقل

---

(١٣) C.P.M.N 1957 le 14 Decembre 1936. Genève .
(١٤) مذكرة الحزب القومي إلى المجلس النيابي اللبناني رداً على مذكرة الحزب الشيوعي ص ٢٦ بيروت ١٠ نيسان ١٩٤٥ .
(١٥) مذكرة الحزب السوري القومي إلى عصبة الامم سنة ١٩٣٧ ص ٢٢ التوقيع نعمة قسطنطين ثابت .
(١٦) المحافظة، علي: العلاقات الانكليزية الأردنية ص ١٢١ بيروت ١٩٧٣ .

إلى الأرجنتين التي استضافته طيلة غيابه عن لبنان [١٧] .

وضع الحزب في اثناء غياب سعادة

تزامن غياب سعادة مع نشوب الحرب العالمية الثانية . ونظراً للتهم عن علاقة الحزب بدول المحور اعتقلت السلطات الفرنسية لأكثر من سنة عدداً من قادة الحزب . ولم يفرج عنهم إلا بعد سعي وفد الشخصيات اللبنانية لدى ممثلي فيشي وهم : ايليا كرم مطران جبل لبنان ، الأمير أمين ارسلان ، كميل شمعون ، الوجيه حسن بحصلي ، خليل معتوق ـ شفيق ناصيف . وتدخل بصورة فردية رئيس الوزراء السوري السابق الداماد احمد نامي وسماحة مفتي الجمهورية اللبنانية . كان التدخل بحجة أن المبادىء الانسانية تقضي بتسريح مسجونين يمكن أن تكون حياتهم معرضة للخطر في حالة الحرب القائمة بين فيشي والحلفاء [١٨] .

لم يكن الافراج عن قادة الحزب مؤشراً لتسهيل نشاطه ما دامت مبادئه تناهض الكيان اللبناني وزعيمهم في الأرجنتين مطلوب القبض عليه من قبل الفرنسيين لاتهامه بالدعاية للمحور . كما أن الحزب كان على عداء مع بريطانيا التي اعتبرها في بيان له بمناسبة انقلاب رشيد الكيلاني في العراق «العدو الذي شكل في الماضي ولا يزال يشكل خطراً على مصالح الأمة العربية ، وبوجه خاص الأمة السورية منها ـ في سياسته العلنية في سوريا الجنوبية ، وسياسته الخفية التي شجعت سلخ لواء الاسكندرونة عن جسم الوطن الام» [١٩] .

في العام ١٩٤٤ نال الحزب الاعتراف بشرعيته رسمياً بعدما حذف من الطلب الذي اعطي على أساسه الترخيص كلمة «سوري» واستبقي العمل تحت اسم «الحزب القومي» [٢٠] . وقد أشارت وثائق الحزب إلى كيفية حصول الترخيص بالقول «إن نعمه ثابت كان قد اتصل بالحكومة وكان كميل شمعون وزيراً للداخلية طالباً منها الترخيص للحزب فاقترحت عليه الوزارة أن يدخل بعض التعديلات على مبادىء الحزب ، وفي جملتها الغاء كلمة «سوري» والابقاء على كلمة «قومي» فقط ، ثم الاعتراف بالكيان اللبناني ، فنزل ثابت على رغبة الحكومة ، فصرحت له اذ ذاك بالعمل في لبنان . ويظهر أن التعديل المذكور

(١٧) Malzac .M: L'emigration Syro-Libanaise en Amerique du Sud. C.H.E.A.M. 409 le 12 Juillet 1939 .

(١٨) مذكرة الحزب القومي إلى المجلس النيابي اللبناني رداً على مذكرة الحزب الشيوعي مصدر مذكور ص ٢٧ .

(١٩) بيان لعمدة الاذاعة في الحزب السوري القومي في ٨ أيار ١٩٤١ .

(٢٠) انظر الملحق رقم ١ .

الذي تفرد به نعمه ثابت أحدث ضجة بين أعضاء الحزب ، فراحوا يتنافسون في الموضوع ، ويتلاسنون ويتهامسون ، ولكن بدون أن يخرجوا عن الحزب بانتظار عودة سعادة» [٢١] .

أدى الاعتراف بشرعية الحزب القومي إلى جملة اعتراضات من فئات سياسية مختلفة لأسباب تختلف عند كل فئة . فالحزب الشيوعي عارض انطلاقاً من أسس ايديولوجية وسياسية . ورأى دوراً كبيراً لبريطانيا في الضغط على الحكومة اللبنانية لاعطاء الترخيص لحزب سعادة . في ٢٨ حزيران ١٩٤٤ كتبت جريدة «الهدف» أن وفوداً من زحلة وصيدا وطرابلس وغيرها من المناطق اللبنانية أمت بيروت للاحتجاج على الاعتراف بشرعية الحزب القومي . فيما نشرت «الحديث» عدة برقيات للنساء الديمقراطي والشباب الديمقراطي الوطني ومن سكان الكرنتينا يحتجون على الترخيص لحزب انطون سعادة . ولنفس الغاية استقبل رئيس الحكومة اللبنانية وفداً للعصبة المناهضة للفاشية مؤلفاً من عمر فاخوري ـ انطون ثابت ـ رئيف خوري وقدري قلعجي ، رفعوا اليه مذكرة باسم العصبة يعترضون فيها على الشرعية الممنوحة للحزب القومي لأنها ضد المصلحة اللبنانية والعربية والحلفاء [٢٢] . لم ينحصر الجدل بين القوميين والشيوعيين على المذكرات والصحافة بل تحول إلى صدامات في مناطق مختلفة أوقعت عدداً من الجرحى وقتيلاً شيوعياً هو رئيس تحرير مجلة الطريق ادوار الشرتوني .

العقيدة السورية :

في الواقع يعتبر انطون سعادة وبخاصة في مؤلفه «نشوء الامم» أول من وضع نظاماً للعقيدة السورية كبرنامج لحزب سياسي .

يرتكز مفهوم الأمة السورية عند سعادة على ركيزتين هما البيولوجيا والجغرافيا . وشدد على أهمية البيئة الطبيعية التي بدونها لا توجد حياة . مع اعتراف الزعيم بأن الانسان يملك قدرة على تكيف الطبيعة أكثر من الكائنات الحية الأخرى لكن تبقى ضمن حدود محصورة . يقول : «الأرض تكيف الانسان وهو بدوره يرد الفعل ويكيفها . وإلى هذه العلاقة المتينة يعود تفوق الانسان على بقية الحيوانات في تنازع البقاء» [٢٣] .

وبعد تأكيد العلاقة الأساسية بين الانسان وبيئة الطبيعة راح سعادة يظهر الدور الهام

(٢١) انطون سعادة من المهد إلى اللحد . كراس طبع على مطابع الاستقلال دون ذكر سنة النشر ص ٩ .

(٢٢) Courrier du Levant le 28 Juin 1944 N 113e année.

(٢٣) سعادة، انطون : نشوء الأمم ص ٤٠ بيروت ١٩٥١ الطبعة الثانية.

لـلأرض في حياة المجتمـع . فهو اثبت أن الأرض مقسمة إلى عدد من الأقـاليم والمنـاخـات والبيئـات ولكل اقليم خصـائص تختلف عن خصائص الآخر . وهـذه الخصـائص هي التي تعين وجهة تقدم الانسان في سد حاجاته مداورة . بعدها يستنتج سعادة ان انتشار البشر على أقاليم ضمن حدود جغرافية طبيعية ومختلفة في خصائصها أدت إلى ظواهر المدينات .

من هنا تبرز نـظرة سعادة إلى الانسانية بتحديد جاء في مقدمة كتابه المحاضرات العشر : «ان الانسانية ليست عالمية انها انسانية المجتمع المعني ، والعالم واقع مجتمعات متمايزة» . أما في المحاضرة التاسعة فيقول «الانسانية بالحقيقة ليست انسانية واحدة ، الانسانيات في العالم عددها عدد القوميات والأمم» (٢٤) .

وبتحديده هذا يميز بين القوميات انطلاقاً من تنوع واختلاف. اصلها السلالي ويضع مفهومه لوحدة الأمة على أساس وحدة هذا الأصل . ثم يصنف القوميات انطلاقاً من نفس النظرة فيقول : «ان الانسانية مقسمة إلى سلالات راقية ممتازة وسلالات منحطة» (٢٥) . ويأخذ مثل العرب لعدم تمكنهم من انشاء أية نهضة في المغرب العربي لاختلاطهم مع البربر . بينما يقول في المحاضرة الرابعة «الكنعانيون (الفينيقيون) استعمروا الشاطىء الافريقي ولكنهم لم يساووا في الحقوق بينهم وبين شعوب شمالي افريقيا الذين اخضعوهم وكانوا من سلالة احط من سلالتهم . فاحتفظ السوريون الكنعانيون بسلامة فطرتهم وبقيت لهم مقدرتهم النفسية المتوارثة الموجودة في طريقة عنصرهم دون أي تعديل واحتفظوا بسيادتهم على الافريقيين وبقوتهم ، ولذلك أمكن أن ينشئوا امبراطورية عظيمة كادت تسحق روميه - ولم تسقط تلك الامبراطورية السورية الغربية - امبراطورية قرطاجة - إلا في حرب مع الرومان الذين هم قوم من سلالة متفوقة نظير السلالة المتفوقة التي ينتمي اليها السوريون الكنعانيون . أما العرب فعلى عكس السوريين فإنهم إختلطوا بأقوام من سلالات الزنوج فدخل في المزيج العربي عرق من سلالات منحطة ، ولولا أن العدنانيين الذين هم من الأرومة الكنعانية ، حافظوا بعامل البداوة ، على مجموع عرقي جيد الفطرة لما أمكن العرب القيام بنهضة الفتح الديني المحمدي ، وقد اجاز العرب بعامل الشرع الديني الامتزاج الدموي الواسع بلا فرق بين سلالات راقية وسلالات منحطة» (٢٦) .

وفي نفس المحاضرة يعطي سعادة لـلأمم الحية القوية الفاعلة أن تتسلط على الأمم

(٢٤) سعادة، **أنطون**: المحاضرات العشر ص ٣ و١٧ الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٦ .
(٢٥) نفس المصدر ص ٥١ .
(٢٦) نفس المصدر ص ٥٢ .

المتخلفة عنها فيقول : «الحق القومي لا يكون حقاً في معترك الأمم إلا بمقدار ما يدعمه من قوة الأمة» (٢٧) .

بعد أن يحدد سعادة المجتمع ككيان طبيعي واثر البيئة الطبيعية في تقرير تكوينه يحدد الأمة بقوله «الأمة جماعة من البشر تحيا حياة موحدة المصالح ، موحدة المصير موحدة العوامل النفسية . المادية في قطر معين يكسبها تفاعلها معه ، في مجرى التطور ، خصائص ومزايا تميزها عن غيرها من الجماعات» (٢٨) .

في هذا التحديد، يعترف سعادة بالمعايير المتعارف عليها للقومية كاللغة والدين والتاريخ المشترك والمصير الواحد . حسب سعادة فان اللغة وسيلة يعبر الفكر من خلالها ، وليس لها دور حاسم في تكوين الأمة .

لم تكن لسعادة نظرية اقتصادية متكاملة بل شروحات في تنظيم الاقتصاد للأمة السورية قائم على تدخل الدولة في تنظيم الاقتصاد القومي وضبطه وادارته وتوجيهه ، دون تغيير علاقات الانتاج تغييراً جذرياً .

رفض سعادة الفلسفة الماركسية القائمة على صراع الطبقات فيقول : «حرب الطبقات بين مادية العمال ومادية الرأسماليين وإقامة سلطة البروليتارية ليست نظاماً صحيحاً لتقدم الانسانية نحو مقاصدها الكبرى» (٢٩) .

في مطلع الدعوة لم يهتم سعادة كثيراً في تحديد سوريا الوطن بل كانت البداية هي الوجود الانساني وما للبيئة ، بيئة الوطن من تأثير في نشوء المجتمع وتطوره الصاعد . بينما اعترف عام ١٩٣٦ «بأن الوطن بالسوري هي البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الأمة السورية وهي ذات حدود.جغرافية تميزها عما سواها تمتد من جبال طوروس في الشمال إلى قناة السويس في الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ومن البحر السوري في الغرب إلى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بدجلة» (٣٠) .

في العام ١٩٤٧ عدل سعادة من حدود سورية الطبيعية لتضم العراق وجزءاً من ايران وجزيرة قبرص .

(٢٧) نفس المصدر ص ٥٨) نفس المصدر ص ٥٨ .
(٢٨) سعادة، **أنطون**: نشوء الأمم مصدر مذكور ص ١٧٨ .
(٢٩) سعادة، **أنطون**: شروح في العقيدة بيروت ١٩٥٨ ص ١٥٩ .
(٣٠) مجلة المعرض مصدر مذكور .

الانتماءات الاجتماعية لأعضاء الحزب وعلاقته بالقوى الخارجية .

توجه انطون سعادة بدعوته إلى كل الفئات الاجتماعية لمواطني بلاد الشام شرط القبول بمبادىء حزبه . وقد نجح أولاً في تنسيب طلاب في الجامعة الأميركية الذين ينتمون إلى فئات عليا في المجتمع من اقتصادية وسياسية وثقافية . كما استطاع الزعيم تجنيد فئات تحتل مكانه مؤثرة في محيطها مثل عزيز الهاشم ـ عادل عسيران ـ معروف سعد ـ جورج حكيم ـ شارل سعد ـ ناظم الخليل والمدرس في جمعية المقاصد الاسلامية زكي النقاش . فضلاً عن ذلك كان يدعم موقف الحزب عدد من المحبذين : الأمير أمين ارسلان ـ حكمت جنبلاط وكميل شمعون . وحسب المصدر البريطاني كان شمعون على علاقة قرابة من جهة زوجته مع زعيم الحزب بالوكالة نعمه ثابت . وهذه العلاقة لعبت دوراً في اعطاء الحزب رخصة رسمية لنشاطه في لبنان [٣١] .

على الصعيد الخارجي منيت بالفشل علاقة سعادة مع بعض الزعماء العرب مثل الأمير عبدالله في شرقي الأردن نظراً للاختلاف في الأهداف . فقد حاول الزعيم أن يقيم علاقات متوازية لخدمة عقيدته السورية بينما راح هؤلاء الزعماء يعملون على تسخير نضالات الحزب لتحقيق مآربهم الخاصة .

على الصعيد الخارجي اعجب الزعيم بالنظامين الفاشي والنازي في كل من روما وبرلين لأنهما في رأيه حققا إزالة البطالة وتقدم شعوبهما كونهما منظمين على أساس عقيدة متفوقة . من هنا اعتبر انطون سعادة معادياً للديمقراطية لأنها كما عبر مرة «اسم تنطوي تحته اشكال عديدة وكل شكل منها له خصائص سياسية وادارية . . . . والديمقراطية التي خبرتها الشعوب المتمرنة حتى اليوم لم تتمكن من حل الأضاليل الاجتماعية ـ الاقتصادية التي نشأت مع تقدم عهد الآلة وارتقاء التخصص في الأعمال وتحديدها» [٣٢] .

رغم انكار الزعيم كل علاقة لحزبه بالسلطتين القائمتين في ايطاليا والمانيا تصر مصادر أخرى دولية على هذه العلاقة . يشير مصدر بريطاني إلى أن الحزب السوري القومي تلقى معونة مالية من ايطاليا [٣٣] ، في حين كشف الدبلوماسي الفرنسي Malzac أن انطون سعادة الذي وصل البرازيل بجواز سفر فرنسي أصدر جريدة اكد فيها على عزمه احداث ثورة في

(٣١) F.O 371 document 45365 le 15 Avril 1945 .

(٣٢) سعادة، أنطون: شروح في العقيدة مصدر مذكور ص ١٢ .

(٣٣) F.O 371 doct 45365 le 25 Avril 1945 .

لبنان وطرد الفرنسيين وذلك بمساندة من روما وبرلين [٣٤] . أما مجلة الأممية الشيوعية فقد أشارت إلى أن إحدى نتائج زيارة انطون سعادة لبرلين حصوله على مبلغ من المال بعد لقائه مع Goebbels [٣٥] . يضاف إلى هذه المصادر الكتاب الذي اصدرته وزارة الانباء اللبنانية عام ١٩٤٩ بعنوان «قضية الحزب القومي» . وقد تضمن العديد من الوثائق عن علاقة الحزب وزعيمه بالفاشيين مع روما والنازيين في برلين [٣٦] .

سلطة الزعيم

منذ التأسيس حرص سعادة على احاطة نفسه بسلطة مطلقة . فاتخذ مثالاً يحتذي به نظام الحكم في مصر القديمة وكذلك في بابل حيث يعتبر احتكار السلطة ذات قيمة مهمة في تنظيم الدولة . ويؤكد الزعيم أن أصل الديمقراطية الحديثة تكمن في السلطة الفردية التي حافظت على السيادة بين أيدي النخبة .

وينتقد سعادة المثال اللاتيني لمشاركة الشعب في تقرير امور السلطة . ففي رأيه من العبث أن يساهم المواطنون الأحرار في جزء من قيادة الدولة .

لحظ دستور الحزب ، الذي وضعه سعادة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٤ وصنفه في كانون الثاني ١٩٣٧ في المقدمة تعاقده واعضاء الحزب على أن يكون زعيماً مدى الحياة ، وعلى أن يؤيدوه تأييداً مطلقاً في تشريعاته وادارته . ويصبح التعاقد رسمياً عبر قسمين : قسم الزعامة وقسم العضوية . والفرق في مضمون القسمين يدل على سلطة الزعيم المطلقة وعجز العضو اللامحدود .

قسم الزعامة :

«انا انطون سعادة اقسم بشرفي وحقيقتي ومعتقدي على أني اقف نفسي على أمتي السورية ووطني سورية ، عاملاً لحياتها ورقيها ، وعلى أن أكون أميناً للمبادىء التي وضعتها وأصبحت تكون قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي ، ولغاية الحزب واهدافه ، وان اتولى زعامة الحزب السوري القومي الاجتماعي واستعمل سلطة الزعامة وقوتها وصلاحيتها في سبيل فلاح الحزب وتحقيق قضيته وأن لا استعمل سلطة الزعامة إلا من أجل القضية

(٣٤) Malzac .M. l'emigration Syro-Libanaise en Amerique du Sud. O.P cité P.7 .

(٣٥) R. Davos: L agitation fasciste dans le proche - orient, cité la revue internationale communiste XVII N 61939 P.116. Paris .

(٣٦) وزارة الأنباء اللبنانية : قضية الحزب القومي بيروت ١٩٤٩ .

القومية الاجتماعية ومصلحة الأمة» .

قسم العضوية :

أنا . . . اقسم بشرفي وحقيقتي ومعتقدي على أنني انتمي إلى الحزب السوري القومي بكل إخلاص وكل عزيمة صادقة وان اتخذ مبادئه القومية ايماناً لي ولعائلتي وشعاراً لبيتي وان احتفظ باسراره فلا أبوح بها لا بالقول ولا بالكتابة ولا بالرسم ولا بالحفر ولا بأية وسيلة أو طريقة أخرى لا تطوعاً ولا تحت أي نوع من أنواع الضغط . وان احفظ قوانينه ونظاماته وأخضع لها وان احترم قراراته واطيعها وأن انفذ جميع ما يعهد به إلي بكل أمانة ودقة وأن أسهر على مصلحته وأؤيد زعيمه وسلطته . وان لا أخون الحزب ولا أي فرع من فروعه ولا افراده ولا واحداً منهم وأن اقدم كل مساعدة اتمكن منها إلى أي فرد عامل من أفراد الحزب متى كان محتاجاً اليها . وان أفعل واجباتي نحو الحزب بالضبط . على كل هذا أقسم» [٣٧] .

كذلك قسم سعادة الصلاحيات في الدستور بما يتناسب وسلطته اللامحدودة . فجعل نفسه في المادة الرابعة قائداً أعلى لقوات الحزب، ومصدراً للسلطتين التشريعية والتنفيذية . وسن لحزبه في المادة الخامسة نظاماً مركزياً تسلسلياً وفقاً للرتب والوظائف التي ينشئها بمراسيم منه، واتخذ لنفسه في المادة السادسة صلاحية انشاء ادارة تنفيذية ومجالس استشارية تشريعية وتنفيذية مع حق ترؤسها والاشراف عليها .

وقرر أن تكون تشريعاته وقراراته خطية ، على أن تنفذ عن طريق التسلسل . واوجد في الحزب مجلساً أعلى لابداء الرأي والمشورة في الشؤون الخطيرة سياسية كانت أم غير سياسية .

وفي القسم الثاني من كتاب الدستور المتعلق بمراسيم الزعيم الدستورية انشأ مؤسسة العمد وأناط بها معاونته في إدارة الحزب وممارسة السلطة التنفيذية . وقد قسمت هذه المؤسسة إلى مصالح متعددة تشكل بدورها هيئة خاصة تدعى مجلس العمد [٣٨] .

في نفس الوقت حاول سعادة أن يكون لدعوته القومية عند محازبيه وقع وتأثير يشابه ما للرسالات السماوية من أثر عند المؤمنين بها . وهو نفسه نبي صاحب رسالة . لهذا عمل

(٣٧) زويا، لبيب: الحزب القومي الاجتماعي ترجمة ومناقشة وتقديم جوزيف شويري دار ابن خلدون ١٩٧٣ بيروت ص ١٧٨ - ١٧٩ .
(٣٨) دستور الحزب السوري القومي الاجتماعي وقوانينه وضع في ٢١ تشرين الأول ١٩٣٤ وصنف في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٧ .

سعادة على أن تتشابه دعوته للقومية السورية في نشأتها ومراحل الانعطاف في تطورها ما حصل في نشأة وتطور المسيحية والاسلام . فكما كان للمسيح إثنا عشر تلميذاً لنشر رسالته ، أعلن سعادة دستور دعوته على أثني عشر عضواً وسماهم المؤسسين [٣٩] . وكما يعتبر بداية التاريخ الهجري هو يوم هجرة النبي محمد من مكة إلى المدينة قررت الادارة المركزية للحزب يوم مغادرة سعادة من قبرص «يوم المهاجر» علاوة على ذلك كانت جميع جلسات الحزب الرسمية واجتماعاته تفتح وتختم بتحية الزعيم . لقد كتبت عنه القصائد التي تمجد صفاته الخارقة ، وتروي القصص بتواصل عن طفولته وعلامات زعامته المبكرة .

أما الزعيم فقد كان مولعاً بتشبيه رسالته برسالات مؤسسي الأديان . ففي المحاضرة السابعة يقول : «أن العالم قد شهد في هذه البلاد أدياناً تهبط إلى الأرض من السماء أما اليوم فيرى ديناً جديداً من الأرض رافعاً النفوس بزوبعة حمراء إلى السماء . نحن في هذا المعنى لنا نظرة دينية يجب أن نفهمها» [٤٠] من ثم يكشف سعادة طبيعة هذا الايمان فيقول :

«آمنتم بي معلماً وهادياً للأمة والناس مخططاً للمجتمع الجديد وقائداً للقوات الجديدة الناهضة الزاحفة بالتعاليم والمثل العليا إلى النصر ، وآمنت بكم أمة مثالية ومعلمة وهادية للأمم ، بناءه للمجتمع الانساني الجديد ، قائداً لقوات التجدد الانساني بروح التعاليم الجديدة التي تحملون قراراتها المحببة وضياءها المنير إلى الأمم جميعاً» . [٤١] .

لم يجد الزعيم تعارضاً بين العقيدة الاجتماعية والايمان الديني الحقيقي ، بمعنى أن الفرد له الحرية أن يعتنق أية رسالة سماوية يريد . مع التشديد لرفض أي دور سياسي لرجل الدين .

واجهت دعوة الزعيم إلى القومية السورية مصاعب منها ما يتعلق بصلب الدعوة ومنها ما يعود لظروف بلاد سوريا .

- في أوروبا ظهرت الفاشية كتعبير عن حاجة سلطة الاحتكارات الكبرى المطلقة لتحقيق الهيمنة في الداخل والتوسع خارج الحدود . بينما تميزت المرحلة التي تمر بها بلاد الشام آنذاك بحالة من التقهقر الاقتصادي والتخلف الاجتماعي ، إضافة إلى تطلعها إلى التحرر وتصفية كل مظاهر الاستعمار .

(٣٩) رسالة جورج عبد المسيح إلى مفوضيته فنزويلا مصدر ـ مذكور ص ٥ .
(٤٠) سعادة، أنطون: المحاضرات العشر مصدر مذكور ص ١٣٥ .
(٤١) زويا، لبيب: الحزب القومي الاجتماعي مصدر مذكور ص ١٨٦ .

● لم تسمح مشاكل بلاد الشام بطرح مسألة العرق المتفوق والتوسع خارج حدودها كالمانيا وايطاليا في حين تخضع لسيطرة استعمارية فرنسية بريطانية بل وأكثر إلى حركة استيطان صهيوني في فلسطين .

● تاريخياً شهدت بلاد الشام زمن معاوية ولادة أول امبراطورية عربية وعاصمتها دمشق واستمرت حتى اليوم معقلاً لدعاة العروبة حتى تلازم الوجود العربي بمدى قوته في هذه المنطقة . لهذا واجهت دعوة سعادة رفضاً من القوميين العرب لاتجاهها العلني المضاد للعرب ، ومن دعاة القومية اللبنانية لأنه نفى وجود أمة لبنانية .

مهما وجه من انتقاد لدعوة الزعيم تبقى أن بعض طروحاته تشكل مادة أساسية لمعالجة مشاكل لبنان وبخاصة في مسألة فصل الدين عن الدولة . وكذلك موقفه المبدئي والرافض لحركة الاستيطان الصهيوني في فلسطين التي جعلها الحلقة المركزية من نضالات الحزب .

ب ـ الحزب الشيوعي اللبناني

ولد الحزب الشيوعي اللبناني في ظروف سياسية واجتماعية مميزة إبان انتقال لبنان من سيطرة اقطاعية وعسكرية عثمانية إلى سيطرة استعمارية فرنسية . أدى ذلك إلى حدوث تغييرات اقتصادية وادارية فيه تتكيف وتطلعات فرنسا في المنطقة العربية كتوسيع مرفأ بيروت واجراء توسيع طرق وخطوط السكك الحديدية ـ كهرباء ـ ترامواي ـ واصلاح النظام الجمركي والضرائبي وغيرها . وكان من جراء هذه التغييرات ان ازداد عدد العاملين وبدأ كيان الطبقة العاملة بالتبلور تدريجياً . كما بدأت التناقضات والصدامات بين العمال وارباب العمل تظهر بصورة واضحة وعلى هذا الأساس بدأ تحرك العمال يأخذ اشكالاً مستقلة من حيث الاضطرابات الخاصة بهم أم من حيث إنشاء نقابات مستقلة خاصة بالعمل . تلازم التحرك مع بداية تعرف اللبنانيين على الفكر الاشتراكي عبر بعض مواطنيهم من المغتربين وصحافة الحزب الشيوعي الفرنسي .

في ٢٨ أيلول ١٩٢٢ صدرت في زحلة جريدة ، ذات ميول اشتراكية ، باسم «الصحافي التائه» لمؤسسها اسكندر رياشي . وقد عرف صاحبها بها في مقال جاء فيه « . . . تعترف للتآخي بين الطبقات أنه الحق الصريح ، وتحارب لأجله ، وتحترم الفقير والتعس أكثر من الغني والسيد . . .

تعترف للتعاليم الدينية بمبادىء تقارب الاشتراكية . لذلك تكون صديقة العامل

والمزارع والضعيف ، وتدافع عن مصالح هؤلاء بكل قواها . وتعترف أن المبادىء الاشتراكية المعتدلة قد جاء بها الكتابان الكريمان لعيسى ومحمد . . .

هذه الجريدة تحارب الشركات الاحتكارية ، وتعلم انها الموت الزؤام للفقير والعامل . . . »[٤٢] .

في نفس الوقت أيدت الجريدة الانتداب الصحيح الذي تعترف بضرورة اشرافه على البلاد[٤٣] . وقد بادر العاملون في «الصحافي التائه» بتنظيم انفسهم في نقابة مع صاحب الجريدة . ان المناخ النقابي الذي دعت له الجريدة وعملت له ساعد على ولادة حركة عمالية في زحلة أخذت تعمل على تنظيم نفسها . اذ دعا رشيد سويد ، المهاجر سابقاً في الولايات المتحدة ، فريقاً من العمال لطلب ترخيص لنقابة لهم باسم «نقابة عمال زحلة» . وقد استجيب لطلبهم من الحكومة اللبنانية بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٢٣ . لفتت طروحات «الصحافي التائه» أنظار بعض المتنورين من اللبنانيين وكان أولهم يوسف يزبك الموظف في دائرة الهجرة في مرفأ بيروت . وقد نشرت له الجريدة عدة مقالات بتوقيع الشبح الباكي .
ويقول يزبك «وعلى الأثر اخذت اقلام والسنة تحوم حول موضوع الاشتراكية ، وليس فينا واحد يعرفها معرفة صحيحة ولا كاملة . وبقينا على تلك الحال من الطوباوية والتبلبل والسطحية حتى وفاة لينين ، فكتبت مقالاً في «الصحافي التائه» بعنوان «مات لينين» . ثم ترجمت على الأثر لجريدة المعرض مقالين عن مجلة «الأولوستراسيون» يتحدث احدهما عن عمل لينين بوصفه إعجوبة تدهش العقول وتخيف بنتائجها القلوب . . . . ويصف المقال الآخر مأتم قائد ثورة أوكتوبر والتفاف الشعب حول لينين الخالد»[٤٤] .

في ظل المحاولات للتعرف بعمق على المفهوم الاشتراكي كانت الحكومة المصرية تقمع اضراباً في معامل التبغ في الاسكندرية وتلاحق المحرضين عليه وكان بينهم عامل لبناني اسمه فؤاد الشمالي قررت ابعاده إلى موطنه الأصلي .

التقى الشمالي على أرض الوطن يوسف يزبك . واعقب هذا اللقاء لقاءات أخرى بهدف بلورة حركة اشتراكية في لبنان . راح فؤاد الشمالي ، الذي وجد عملاً له في مصنع

(٤٢) أيوب ، س: الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ١٩٢٢ ـ ١٩٥٨ ص ١٧ ـ ١٨ منشورات دار الحرية بيروت .
(٤٣) نفس المصدر ص ١٨ .
(٤٤) يزبك ، يوسف ابراهيم : حكاية أول نوار في العالم وفي لبنان ـ دار الفارابي ـ بيروت ١٩٧٤ ص٥٦/ ٥٧ .

التبغ ببكفيا ، يحث زملاءه في العمل على تشكيل نقابة عمالية للدفاع عن حقوقهم وبث الأفكار الاشتراكية بينهم .

في هذا الوقت حضر إلى بيروت مندوباً للبلشفية واتصل بيوسف يزبك بهدف تأسيس حزب شيوعي . وفي ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٤ أمن يزبك لقاء بين برغر وفؤاد الشمالي تقرر في أثره عقد اجتماع موسع ضم عدداً من المؤيدين للفكر الاشتراكي أكثريتهم من العاملين في مصانع التبغ في لبنان ، اتفقوا بنهايته على تأسيس حزب شيوعي باسم متستر «حزب الشعب اللبناني» . وهكذا نشأ الحزب الشيوعي اللبناني من تلاقي المثقفين الوطنيين التقدميين ، والحركة العمالية التي اتخذت اتجاهاً نقابياً . وقد انتخب فؤاد الشمالي أول أمين عام للحزب الذي اتخذ مركزه الرئيسي في بكفيا حسب ما جاء في الترخيص الممنوح من الحكومة اللبنانية . وتحت حماية هذا الترخيص أقام الحزب أول احتفال عام بعيد العمال في أول أيار ١٩٢٥ في بلاد المشرق . وتم تشكيل لجنة منبثقة عن الاحتفال لرفع مطالب عمالية إلى الحكومة وكانت التالية :

١ ـ تحديد أوقات العمل ٨ ساعات في اليوم .

٢ ـ تحديد قيمة ادنى الأجور بشرط أن تكون كافية لحياة العامل .

٣ ـ سن نظام يحمي العمال .

٤ ـ ان تكون تربية الأطفال ومعيشة الشيوخ والعمال المشوهين بسبب اعمالهم على عاتق اصحاب الأعمال والهيئة الاجتماعية .

٥ ـ منع الشغل الليلي .

٦ ـ ان يظل قرار لجنة الأجور سارياً على العمال .

٧ ـ احياء المشاريع الاقتصادية (٤٥) .

ترتب على نجاح احتفال أول أيار أن تفرغ يوسف يزبك للعمل الحزبي فاصدر جريدة الانسانية التي كانت تصدر اسبوعية في بيروت . لكنها توقفت بعد صدور خمسة اعداد منها بقرار من المفوض السامي الفرنسي سراي . وترتب على نجاح احتفال أول أيار أيضاً أن حضر مندوب آخر للبلشفية وهو ايلي تابر الذي امن دمج حركة الشبيبة الأرمنية (سبارتك) ، ومركزها الرقة في سوريا ، مع حزب الشعب اللبناني باسم «الحزب الشيوعي السوري» . لكن احتفظ بالعمل علانية باسم «حزب الشعب اللبناني» .

(٤٥) جريدة الانسانية ١٥ أيار ١٩٢٥ بيروت .

إبان الثورة السورية العام ١٩٢٥ أعلن حزب الشعب اللبناني موقفاً صريحاً بتأييد الثورة . فوزع اعضاؤه منشورات موجه إلى اللبنانيين والسوريين بدعم الثورة وكذلك إلى الجنود الفرنسيين تدعوهم إلى التآخي مع الثائرين وتوجيه بنادقهم إلى قادتهم الجنرالات . ونظراً لهذا النشاط اعتقلت سلطات الانتداب الفرنسي أمين عام الحزب فؤاد الشمالي وعدداً من رفاقه لتضعهم في الاقامة الجبرية في قدموس (٤٦) .

بعد توقيف «الانسانية» سافر يوسف يزبك إلى باريس للاتصال بالحزب الشيوعي الفرنسي وليعود مجدداً إلى بيروت ليكون صلة الوصل بين الأممية الاشتراكية والثورة السورية بهدف امدادها بما تحتاج من سلاح وغيره من مساعدة . وبعد شهر من هذه المهمة وصل إلى بيروت مندوب للحزب الشيوعي الفرنسي ويدعى Dessuclade يحمل جواز سفر فرنسي مزور باسم دافيد دانون وعلى أنه تاجر مختص بالمجوهرات . لكنه في الحقيقة مكلف بمهمة لم يستطع يزبك القيام بها في دعم الثورة السورية (٤٧) .

تعاظم دور حزب الشعب اللبناني عندما تصدى لدعم المستوى المعيشي للمواطن . ففي صيف ١٩٢٦ وفي أثر انخفاض قيمة الفرنك الفرنسي نشط الشيوعيون اللبنانيون وعلى رأسهم نسيم الشمالي، زهران غريب وجورج ازهار بتذكير المسؤوليين بتحقيق المطالب العمالية . وايدوا بقوة اضراب عمال الترامواي مما حدا بسلطات الانتداب إلى اعتقالهم ووضعهم في الاقامة الجبرية في قدموس (٤٨) .

إن حملة الاضطهاد التي وجهت إلى حزب الشعب اللبناني واعتقال عدد من قادته أثرت على النشاط اللاحق للشيوعيين وأدت إلى اضعافه ، فانحصر نشاطه في الميدان التنظيمي السري بين العمال بصورة عامة . إستعاد الحزب نشاطه السياسي والتحريض الواسع بشكل واضح بعد المؤتمر السادس للأممية الشيوعية الذي انعقد في موسكو في منتصف العام ١٩٢٨ . في أثناء المؤتمر قدم أبو زيام باسم الحزب الشيوعي السوري تقريراً أشار فيه إلى المصاعب التي تواجه نشاط الحزب منها :

١ ـ إن نسبة المنضوين تحت لواء الحزب تقدر بـ ٦٠ ٪ من الأرمن مقابل ٤٠ ٪ من العرب وهذا ما يضعف فاعلية الحزب إلى جانب أن نشاط الحزب لا يشمل كل الأراضي

(٤٦) Amine Moustapha: Le developpement des partis politiques en Syrie entre 1936 et 1947 thèse droit Paris 1950 P 74 .

(٤٧) M.A.E.F. série N 212 (Syrie-Liban) 1918 - 1929 P. 127 .

(٤٨) Idem P. 128 .

السورية بل يتمركز ضمن لبنان .

٢ ـ إن نشاط الحزب يتمحور حول تأطير العمال الصناعيين على حساب التوجه نحو العمال الزراعيين الذين يشكلون النواة الأساسية للشعب نظراً لعددهم الكبير ولظروفهم الاقتصادية والاجتماعية الصعبة . ويعزو التقرير هذه النواقص في عمل الحزب إلى النقص الايديولوجي في فهم العقيدة الشيوعية رغم الجهود المبذولة .

وأخيراً يختتم التقرير المقدم في المؤتمر بوثيقة برنامجية متكاملة عن أهداف الحزب الوطنية والطبقية وأساليب نضاله :

أ ـ التحرك السياسي

١ ـ المطالبة بالغاء الانتداب وجلاء الامبريالية الفرنسية عن البلاد وإعلان الاستقلال .

٢ ـ المطالبة بإعادة وحدة الأراضي السورية دون تمييز بين المعالم الجغرافية التي صنعتها المعاهدات الامبريالية .

٣ ـ تحديد الضمانات للحقوق المعترف بها للاقليات الوطنية التي ربطها الامبرياليون بهم عبر منحهم امتيازات بينما ترفضها الأكثرية الساحقة من الشعب مسلمين وعرب .

٤ ـ التمسك بالنظام الجمهوري في البلاد مع الغاء الانتخاب على مرحلتين .

ب ـ على الصعيد الزراعي :

١ ـ المطالبة بمصادرة أراضي الاقطاع وكبار المالكين الماليين والأكليروس لتوزيعها على الفلاحين .

٢ ـ المطالبة بتحويل إدارة أراضي الأوقاف إلى إشراف إدارة عامة أو خاصة تنتخب بواسطة منظمات محلية فلاحية ولصالحهم .

ج ـ التحرك لالغاء الطائفية :

١ ـ المطالبة بالغاء الدعم المالي الحكومي للاديرة والجوامع ولرجال الدين . وكشف القناع عن تحركات الاكليروس مع الاستعمار .

وكحلٍ للصعوبات التي عرضها أبو زيام في تقريره على الصعيد التنظيمي والنضالي إرتأى المؤتمر تكليف الحزب الشيوعي الفرنسي مساعدة الشيوعيين في بلاد المشرق على تنظيم

الكادرات وزيادة الفعالية لحد أن العناصر العربية تشكل الركيزة الأساسية والمسيطرة في الحزب (٤٩) .

وفي تقرير بتاريخ ١٤ آذار ١٩٢٩ لمكتب مراقبة الأجانب في المفوضية الفرنسية ببيروت أن المراسلات بين الشيوعيين اللبنانيين والحزب الشيوعي الفرنسي كانت تحصل بواسطة السفن التجارية المتنقلة بين بيروت ومرسيليا وهي تضم رسائل وجرائد ومنشورات ورزم مرسلة إلى أشخاص على عناوين مختلفة في سوريا ولبنان :

١ ـ يوسف توما	تاجر بكفيا (رسائل)
٢ ـ خليل عبد النور	بكفيا (جرائد)
٣ ـ بشارة كامل	بكفيا (رسائل سرية)
٤ ـ عادل منلا بواسطة مصباح منلا ، طرابلس (جرائد ورسائل)	
٥ ـ جميل عليان	٦٣ شارع سوريا بيروت (رسائل سرية)
٦ ـ فريد الشمالي	٩٤ شارع سوريا بيروت (جرائد ومنشورات)
٧ ـ الياس يوسف كاشا	بكفيا (دراهم)
٨ ـ ظاهر نجيم	محيدثه بكفيا (رسائل وجرائد)
٩ ـ عادل زبيباطي	طرابلس
١٠ ـ فؤاد الشمالي	بكفيا .
١١ ـ مودون	٦٢ بولفار الفرنسيين بيروت
١٢ ـ هاغوب درمنجيان	صندوق بريد ٢٠٢ حلب ضمنه مغلف باسم هايزون (٥٠)

حسب مصدر فرنسي أن المرحلة التي تلت المؤتمر السادس توسع نشاط الشيوعيين بين العمال . وكان من الطبيعي أن ترد سلطات الانتداب الفرنسي بعنف على هذا التحرك الشيوعي النشيط بالتعاون مع سلطات الانتداب الانكليزي في المنطقة العربية .

في العام ١٩٣٠ كانت مرحلة تعريب الحزب . وفي هذه السنة قبل خالد بكداش كعضو في الحزب . وفي ٧ تموز أصبحت كل الخلايا الحزبية في لبنان وسوريا تنشط باسم الحزب الشيوعي السوري بقيادة الأمين العام فؤاد الشمالي . وحسب ما كتبه عضو اللجنة المركزية يوسف خطار الحلو «ولعب دوراً سلبياً في هذا المجال تدخل الشيوعيين القادمين من

(٤٩) Idem N 215 P. 76 - 81 .

(٥٠) Idem p. 135.

فلسطين وكلهم يهود وكانوا مكلفين من قبل الأممية الشيوعية مهمات في فلسطين وسوريا ولبنان . وقد برز عند هؤلاء اتجاه واضح في عدم العمل الجدي لتقديم رفقاء عرب في قيادة الحزب .

لقيت خطة الحزب الجديدة القائمة على «التعريب» مقاومة من العناصر الصهيونية القادمة من فلسطين ولكنها أمام الأمر الواقع سحقت وتوارت . ففي أواخر العام ١٩٣٢ أبعد نخمان ليتغيفسكي وأتى مكلفاً لعندنا من قبل الأمم الشيوعية محمود المغربي عضو قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني المعروف في تاريخ حزبنا بـ أبو داود . . .

لكن ما كاد الحزب ينتهي من معركة التعريب منتصراً على العناصر الغريبة على الماركسية اللينينية تمت خطوة تنظيمية أخرت كثيراً تمثلت باستبدال فؤاد الشمالي بخالد بكداش اميناً عام للحزب وذلك باقتراح من أرتين مادويان . حصل ذلك العام ١٩٣٢ . وما كاد ينتخب خالد بكداش أميناً عاماً للحزب، حتى طرح قضية سفره إلى موسكو للدراسة في «الكونف» مدرسة الأممية الشيوعية . . .

وهكذا حصل وسافر تاركاً قيادة الحزب لسواه في غمرة تحرك وطني اجتماعي» (٥١) .

تميزت سنوات ١٩٣٠ - ١٩٣٤ بحملة اعتقالات واسعة بين الشيوعيين قادة واعضاء بعدما تأكد فعالية نشاطهم وقيادتهم للإضراب الشهير لعمال المطابع سنة ١٩٣٣ وامتد نفوذ الحزب إلى مدينة طرابلس التي غدت أقوى فروع سوريا ولبنان وإلى بيروت وبعض المناطق الريفية .

في أثناء هذه الفترة إنكبَّ الشيوعيون على تنظيم انفسهم في خلايا سرية وعلى التعمق في التثقيف الاشتراكي . فتمت ترجمة العديد من المؤلفات الشيوعية إلى اللغة العربية كالبيان الشيوعي والمسألة الوطنية لستالين .

الاعتراف النصف علني بالحزب الشيوعي :

في منتصف الثلاثينات شكل بناء الجبهات الوطنية الموسعة المناهضة للفاشية والنازية الحلقة المركزية لنضال الشيوعيين في العالم وذلك تطبيقاً لمقررات المؤتمر السابع للأممية الاشتراكية الذي انعقد سنة ١٩٣٥ . في هذا المؤتمر تمت الموافقة على تقرير قدمه جورج

(٥١) الحلو، خطار يوسف: صفحات من مراحل التأسيس في تاريخ الحزب الشيوعي اللبناني . جريدة النداء ٥ كانونَ الأول ١٩٨٧ .

ديمتروف عن أهمية انشاء الجبهات الوطنية لأسباب منها «التعديلات التي طرأت على أحوال العلائق الخارجية بين الدول ، وعلى الأحوال الداخلية في كل دولة ، تأخذ قضية الجبهة الموحدة ضد الاستعمار أهمية استثنائية في كل البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة .

وعند تأليف جبهة نضالية موحدة واسعة ضد الاستعمار في تلك البلاد ، يكون من الضروري الانتباه قبل كل شيء إلى :

أولاً : تنوع الشروط التي يجري بموجبها النضال الجماهيري ضد الاستعمار .

ثانياً : درجة نضج الحركة التحريرية الوطنية .

ثالثاً : الدور الذي تلعبه الطبقة العاملة فيها ، وتأثير الحزب الشيوعي على الجماهير الفقيرة عموماً» (٥٢) .

وقد قام الحزب بنشاط واسع ضد بروز خطر الفاشية المتمثلة ببعض المنظمات السياسية في لبنان وسوريا ، وفي هذا الاتجاه عمل لانشاء عصبة مكافحة للفاشية والنازية . ومما ساعد الشيوعيين على أن يكون نشاطهم فعالاً انتصار الجبهة الشعبية في فرنسا بقيادة ليون بلوم فاستطاع الحزب أن يستفيد من الوضع السياسي الايجابي الجديد في فرنسا للجم ممثلي الانتداب الفرنسي في بيروت .

كما تميزت هذه الفترة بازدياد دور الحزب باعتراف المفوضية الفرنسية في تقرير رفعته إلى عصبة الأمم في جنيف عام ١٩٣٦ وورد فيه : «كثف الحزب الشيوعي نشاطه وغير من نمط عمله . فلم يكتف بالمطبوعات والبيانات التي كانت توزع سراً بل انطلق يجند اعضاء جدداً في صفوفه من بين الأوساط العمالية والنقابية ضد الأزمة الاقتصادية .

توج النشاط العلني للحزب الشيوعي اللبناني بفتح مكتبين له أحدهما في بيروت والآخر في طرابلس (٥٣) . وفي ١٥ أيار ١٩٣٧ أصدر نقولا الشاوي العدد الأول من جريدة الحزب «صوت الشعب» .

وعلى أساس الخط الجديد بطرح شعار «الجبهة الوطنية» أقام الحزب تحالفات واسعة مع قادة الحركة الوطنية وخاض الانتخابات النيابية عام ١٩٣٧ بقائمة مشتركة ضمت رياض الصلح - نقولا الشاوي - سعد الدين مومنة ومحمد عمر بيهم .

(٥٢) ديمتروف، جورج: الفاشستية عدوة الشعوب أو وحدة الطبقة العاملة في النضال ضد الفاشية نقله إلى العربية نقولا الشاوي وضع المقدمة خالد بكداش ص ٨٦ دمشق ١٩٣٧ .

(٥٣) M.A.E.F. Rapport à la S.D.N 1936 P. 50 Genève.

أعقب فترة النشاط العلني للحزب سلسلة من المطالب العمالية التي رفعها إلى المسؤولين لتحسين الوضع المعيشي للطبقة الفقيرة مثل المطالبة بوضع تشريعات اجتماعية وزيادة على الراتب في كل مرة يحصل تعويم للفرنك الفرنسي . ومن ثم مذكرة اللجنة المركزية للحزب إلى الحكومة اللبنانية بشأن مشروع تنظيم العمل وتضمنت : «ان العمال اللبنانيين لا يطلبون اليوم تشريعاً يضمن لهم ما يضمن تشريع العمل للعامل في فرنسا أو في غيرها من البلاد الديمقراطية المتقدمة ولكن ذلك لا يعني أنهم يجب أن يظلوا في هذه الحالة من الفوضى والتعرض بدون حماية قانونية للاستبداد والتحكم والكثير من الويلات والكوارث»[٥٤] .

أما على الصعيد الوطني طرح الحزب وجهة نظره في القضايا المصيرية التي تواجه المنطقة العربية . فدعم وحدة البلاد السورية من الأطماع التركية في لواء الاسكندرونة . وقام بحملة تأييد شاملة لصالح الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٦ . كما دعت صحيفته كل الديمقراطيين في العالم للتضامن مع هذه الانتفاضة . في نفس الوقت استمر الحزب في حملته لانتزاع تأييد البرلمان الفرنسي للمعاهدتين مع لبنان وسوريا . فاوفد لهذه الغاية رفيق رضا إلى باريس فقضى أكثر من سنة يفند حملات أحزاب اليمين الفرنسي ضد المعاهدتين . فيما قام فؤاد قازان بزيارة مماثلة إلى العاصمة الفرنسية لنفس المهمة .

احتلت مسألة الأقليات القومية (الأكراد ـ الأرمن ـ اليهود) في الوطن العربي حيزاً من اهتمامات الشيوعيين لما لهذه المسألة من أهمية باعتبارها مادة استغلال للاستعمار للولوج إلى هذه المنطقة والسيطرة عليها ، فشكلت حالة الشرذمة الرئيسية في العالم العربي . وقد تمثلت وجهة نظر الحزب لحل المسألة بالتالي «لا تستطيع الحركة العربية متابعة سيرها بنجاح نحو أهدافها إذا لم تتبع سياسة ديمقراطية رشيدة ، قائمة على الأسس العلمية تجاه الجماعات القومية المختلفة في الأقطار العربية .

ومن البديهي أن هذه السياسة العربية الصحيحة لا يمكن أن تكون متشابهة متماثلة تجاه كل الأقليات القوميات . بل تختلف حسب اختلاف وضع هذه القوميات وأهدافها ومواقفها فالسياسة العربية الصحيحة نحو يهود فلسطين مثلاً تقضي بالنضال في سبيل وقف الهجرة الصهيونية ومنع بيع اليهود الأراضي وإقامة نظام ديمقراطي دستوري يعيد السلام

(٥٤) مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني إلى الحكومة اللبنانية بشأن تنظيم العمل في ٣١ أيار ١٩٣٩ .

والطمأنينة إلى فلسطين ويسمح بتسوية العلاقات بين العرب واليهود تسوية عادلة ، تحفظ حقوق العرب القومية في وطنهم وأراضي آبائهم واجدادهم من جهة وتمنح اليهود كذلك حقوقهم كأقلية في البلاد .... »[٥٥] .

وادرك الحزب أن ما يجري في لبنان من انقسام بين ابنائه على أساس طائفي لا يخدم الا مصلحة الأجنبي . ووجد بالتالي أن إصلاح الوضع هو بالعمل على استقلال لبنان وحريته ، وان يتحد اللبنانيون على أختلاف معتقداتهم بدون تفريق في الدين من اجل الدفاع عن حرية وطنهم وخبزهم . كما ميز الحزب بين الممارسة الدينية كحق مقدس للبنانيين وبين استقلال الدين كستار الاستغلال والقهر .

العودة للعمل السري

أدى اندلاع الحرب العالمية الثانية في ٢٨ أيلول ١٩٣٩ وسيطرة الفيشيين في لبنان إلى دخول الحزب مرحلة العمل السري من جديد بعد أن اعتقل عدد من قادته : منهم فرج الله الحلو ونقولا الشاوي وحكم عليهم بالسجن خمس سنوات . استمر العمل بالسرية لحين دخول جيوش الحلفاء إلى بلاد المشرق وطرد القوات الفيشية عام ١٩٤١ .

استعاد الحزب نشاطه العلني وخرج قادته من السجن وعادت جريدة «صوت الشعب» للصدور في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٣ . خلال هذا العام دخل الحزب معترك النضال الوطني في سبيل الاستقلال وأسهم في حملات الاحتجاجات الشعبية الواسعة ضد اعتقال المسؤولين اللبنانيين في راشيا . ففي ١٥ تشرين الثاني رفع فرج الله الحلو مذكرة إلى البعثات الأجنبية المعتمدة في لبنان تطالب بـ :

١ ـ اطلاق سراح جميع المعتقلين .
٢ ـ اعادة الحياة الدستورية .
٣ ـ الغاء التدابير والقرارات الاستثنائية التي اتخذت بعد تعطيل الدستور وابعاد العناصر الرجعية «الفيشية» من لبنان[٥٦] .

(٥٥) تقرير خالد بكداش أمام اللجنة المركزية تحت عنوان «الشيوعيون العرب والحركة القومية العربية (كراس) مكتب المطبوعات الشعبية ص ٤٣ دمشق .
(٥٦) مذكرة الحزب الشيوعي اللبناني بشأن الأحداث الأخيرة في ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٣ بدون ترقيم .

المؤتمر الوطني الأول للحزب (٥٧)

خلال أيام ٣١ كانون الأول ١٩٤٣ و ١ و ٢ كانون الثاني ١٩٤٤ عقد الحزب الشيوعي في لبنان وسوريا مؤتمراً وطنياً في مدرسة المصيطبة وبصورة علنية بحضور نائب رئيس الحكومة اللبنانية حبيب أبي شهلا . شارك في المؤتمر ١٩٠ مندوباً ينتمون لخمسين منظمة من منظمات الحزب ويمثلون ٧ آلاف شيوعي منظم .

في نهاية المؤتمر تقرر ما يلي :

- الحزب الشيوعي في سوريا يسمى الحزب الشيوعي السوري .
- والحزب الشيوعي في لبنان يسمى الحزب الشيوعي اللبناني واللجنة المركزية للحزب الشيوعي مدعوة إلى وضع السياسة العامة للحزبين كل فيما يتعلق به في النطاق السوري والنطاق اللبناني .
- علم الحزب الشيوعي اللبناني هو العلم اللبناني وعلم الحزب الشيوعي السوري هو العلم السوري .
- سكرتير الحزب الشيوعي السوري يدعى رئيس الحزب الشيوعي السوري وسكرتير الحزب الشيوعي اللبناني يدعى رئيس الحزب الشيوعي اللبناني .
- الموافقة على التقارير المقدمة للمؤتمر وهي السياسية والمالية والتثقيفية . وقد تم بالاجماع انتخاب الأعضاء التالية اسماؤهم اعضاء ومرشحين للجنة المركزية :

اعضاء : خالد بكداش ، فرج الله الحلو - نقولا الشاوي - رشاد عيسى - يوسف خطار الحلو - مصطفى العريس - عبد القادر اسماعيل (عراقي) - منير مسعد - فوزي الشلق - طنوس دياب - عبد الجليل سيبريس وغيرهم .

مرشحين : فريد فرح - حسن قريطم - سلام الراسي - مرشد صليبا وغيرهم . وبعد انتهاء المؤتمر عقدت اللجنة المركزية اجتماعاً انتخب فيه خالد بكداش رئيساً للحزب الشيوعي السوري وفرج الله الحلو رئيساً للحزب الشيوعي اللبناني . كما انتخب اعضاء المكتب السياسي من الأعضاء : خالد بكداش - فرج الله الحلو - نقولا الشاوي - رشاد عيسى - يوسف خطار الحلو - مصطفى العريس - عبد القادر اسماعيل .

(٥٧) جريدة صوت الشعب ٧ كانون الثاني ١٩٤٤ .

استقلال الحزبين .

في اعقاب استقلال لبنان وسوريا لعام ١٩٤٣ اتخذت كل دولة توجهاً سياسياً واقتصادياً وثقافياً مختلفاً عن الآخر. إن هذا الاختلاف وغيره استدعى ضرورة استقلال الحزبين الشيوعيين في البلدين لأنها تطلب من كل منهما توجهاً نضالياً يتماشى وخصائص كل بلد وتلائم الظروف المحلية المحيطة به .

انطلاقاً من هذا الظرف الجديد اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان في ٢٣ تموز ١٩٤٤ بحضور ممثلي المنظمات الرئيسية في الدولتين وناقشوا تقريراً اعده نقولا الشاوي عن الأسباب الموجبة لاستقلال الحزبين وقد جاء فيه :

« . . . فمن الواضح أن الظروف الماضية التي نشأ فيها حزبنا الشيوعي خلال العشرين سنة الأخيرة ، قضت بأن يكون هذا الحزب جسماً واحداً ، سياسياً وتنظيمياً ومالياً ، في كلا البلدين . فقد كان علينا في تلك السنوات غرس الفكرة الشيوعية في البلاد . . . وقد نجح حزبنا في تحقيق هذه المهمة . . . فوجود حزب واحد لسوريا ولبنان كان اذن ، في تلك المرحلة ، أمراً ضرورياً واجباً . وقد ساعده ، بصورة أساسية ، في تكوين حركتنا ، ونشر فكرتها بين الجماهير الفقيرة ، وفي المحافظة على سلامة الحزب في كثير من الأدوار . . . . . ولكن جميع تلك الأهداف ، أو معظمها ، قد تحققت الآن ، ولم يبق مقياساً صحيحاً بالنسبة للظروف والأوضاع الجديدة التي برزت أمام الحزب وفي البلاد خلال المرحلة الراهنة .

فإقرار الاستقلال اذن ليس سوى تقرير لأمر واقع وهو في نفس الوقت خطوة جريئة مفيدة لتطور الحزبين وازدياد نفوذهما واتساع نشاطهما . فهو من الوجهة السياسية ضرورة ملحة تقتضيها تطورات الأحوال العامة في كل من سوريا ولبنان ، والفروق الأساسية التي تبرز يوماً بعد يوم في احوال القطرين العامة . فالأوضاع الاجتماعية والاتجاهات السياسية ، وطبيعة العلاقات بين مختلف القوى المؤثرة في الحياة العامة ، ودرجة نمو الحركة الوطنية والوعي القومي في سوريا تختلف في كثير من النقاط الجوهرية عما هي عليه في لبنان . . . » (٥٨) .

وقد تمت الموافقة باجماع الأصوات على استقلال الحزبين في ٢٣ تموز ١٩٤٤ وصدر قرار بذلك أفسح في المجال لكل من الحزبين على تأليف لجنة مركزية مستقلة وجهاز قيادة

(٥٨) كراس تحت عنوان استقلال الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني تقرير نقولا الشاوي في اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في ٢٣ تموز ١٩٤٤.

خاصاً به . وسوي الأمر بأن تشكلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري من الأعضاء السوريين في اللجنة المركزية التي انتخبها المؤتمر الوطني وكذلك الأمر بالنسبة للجنة المركزية اللبنانية . فيما اعطي الاشراف على جريدة الحزب للجنة مشتركة من الحزبين تنتهي فترة انتدابها لحين أن يصبح للحزب الشيوعي السوري جريدة خاصة به . وتقرر أيضاً أن تعرض هذه القرارات لتصديقها على أول مؤتمرين يعقدهما الحزبان .

وبعد هذه الفترة أخذ الحزبان يصدران ، في المناسبات المهمة بيانات مشتركة بينهما ، غالباً ما تكون متعلقة بالشأن القومي .

النشاط الشيوعي بعد مرحلة الاستقلال

إن اعلان استقلال لبنان عام ١٩٤٣ لم ينه مرحلة النضال الوطني . لأن القوات الأجنبية الفرنسية والانكليزية لا تزال على الأرض اللبنانية ، وكانت ثمة مخاطر جدية لبقاء القوات الانكليزية حتى في حال جلاء الفرنسيين . لذلك ركزت شعارات الحزب على ضرورة الجلاء التام لاعطاء الاستقلال محتوى فعلياً .

إن تحقيق الجلاء سنة ١٩٤٦ لم يبطل السياسة الاستعمارية البريطانية لربط لبنان بشبكة القواعد العسكرية في المنطقة (العراق - مصر - ايران - الاردن) وكذلك بمشاريع الاحلاف التي تعمل على إقامتها في الشرق وعلى حدود الاتحاد السوفياتي (كمشروع سوريا الكبرى - الهلال الخصيب - الكتلة الشرقية) . فاتخذ الحزب موقفاً معادياً لهذه المخططات خاصة عندما ظهر في سياسة لبنان الخارجية ميل للسير في محور عمان - انقره - بغداد وتأييد مشروع «الكتلة الشرقية» . وحسب مصدر الأرشيف البريطاني لجأت السفارة الانكليزية ، وأكثر من مرة ، للضغط على الحكومة اللبنانية لايقاف صدور «صوت الشعب» وللحد من النشاط الشيوعي في لبنان . فيما راحت تشجع تنظيمات سياسية مناهضة للشيوعية لفتح صدامات مع الحزب الشيوعي لتبرير إصدار مرسوم بعدم شرعيته (٥٩) .

---

(٥٩) F.O 371 doct 52492 le 16 Juillet 1946 .

القسم الثالث

الحياة السياسية في لبنان ١٩٣٦ - ١٩٣٩

اصداء المباحثات السورية الفرنسية في الوضع اللبناني

في مطلع العام ١٩٣٦ بدأت في دمشق حركة شعبية للمطالبة بتخفيض سعر التيار الكهربائي . فشكلت في كل حي لجنة لتشرف على مقاطعة الشركة سواء في ركوب قاطراتها أو في استهلاك النور. ثم تطور الأمر إلى مظاهرات شعبية وإصطدم أثناءها المحتجون بالجيش الفرنسي فسقط عدد من الجرحى. واعتقلت السلطة عدداً كبيراً من قياديي المظاهرات ثم نفتهم إلى الحسكة . غير أن المقاطعة استمرت وكذلك المظاهرات والمصادمات الدموية التي أثارت ردة فعل في لبنان . فاغلقت المتاجر في بيروت وسارت المظاهرات في أكثر من منطقة فيه . كما أرسلت برقيات الاستنكار ضد القمع الفرنسي إلى عصبة الأمم في جنيف . لم يتوقف مسلسل العنف هذا إلا بعد دعوة المفوض السامي دي مارتيل لرئيس الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي إلى بيروت واتفاقهما على سفر وفد سوري إلى باريس لعقد معاهدة تنهي الانتداب .

استقبل الاتفاق الموقع في أول آذار حماساً شعبياً . كما سمح بعودة الحياة الطبيعية إلى مناطق الاضطرابات . في لبنان ، انشدَّت أنظار أنصار الوحدة السورية إلى المحادثات في باريس لعلها تحقق وحدة البلاد السورية وسيادتها . أما انصار الكيان اللبناني ، فقد ساورهم الخوف من أن تعترف فرنسا بوحدة سوريا . حينئذٍ نشطوا على كل صعيد للحؤول دون تحقيق ذلك فقد وضعت البطريركية المارونية ثقلها السياسي لدى الانتداب الفرنسي لعقد معاهدة مع لبنان تكون على غرار المعاهدة مع سوريا .

أما غلاة التعصب المسيحي في لبنان الذين تزعمهم جاك ثابت وخليل معتوق فقد رفضوا الدعوة إلى عقد معاهدة لبنانية فرنسية بل طالبوا بالحماية الفرنسية المباشرة لأن المعاهدة ستضع وجهاً لوجه دولتين غير متكافئتين من حيث القوة . لذا ربطت هذه الفئة نشاطها بمخططات مكتب المعلومات الفرنسي في بيروت . هذا الأخير أشاع بأن نزاعاً

سينشب إثر جلاء القوات الفرنسية من المشرق . وبالتالي سيشجع الأتراك المطالبين بسنجق الاسكندرونة بتحقيق اطماعهم التاريخية في سوريا ولبنان [١] .

كانت نشاط مكتب المعلومات الفرنسي يرمي إلى هدفين :

١ ـ ممارسة ضغط على الوفد السوري المسافر إلى باريس ليقبل بالطروحات الفرنسية .

٢ ـ إعادة اللحمة بين القيادات المسيحية في لبنان بعد انقسامها في الرأي حول مسألة العلاقة مع فرنسا . فقد صُور لهم أن خطراً حقيقياً سيلحق بمصالح المسيحيين في حال الابتعاد عن سياسة باريس .

خلال هذه الفترة تلقت اللجنة الدائمة للانتداب في جنيف أكثر من برقية ومذكرة بين مؤيد للكيان اللبناني ومعارض له . في ٨ آذار تلقت المفوضية الفرنسية في بيروت عريضة من سكان قضاء راشيا جاء فيها « . . . ان الحاقنا بلبنان الصغير يضر بمصالح منطقتنا وما نطالب به ارتباطنا مجدداً بسوريا لأنه يشكل واحداً من حقوقنا العادلة . نرجوكم رفع نداءنا هذا إلى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم حتى ننال حقوقنا . وإذا كان فخامتكم غير مقتنع بما ورد نرجوكم اجراء استفتاء شعبي بخصوص هذا الموضوع» [٢] .

توجت حملة الرفض للكيان اللبناني بانعقاد مؤتمر الساحل الثاني في ١٠ آذار ١٩٣٦ في منزل سليم علي سلام وقد شارك فيه وفود عن المناطق التي ضمت إلى لبنان الصغير إلى جانب وفد برئاسة صلاح لبكي . اظهرت مداخلات المؤتمرين عن اتجاهين . الأول متمسك بمطلب الوحدة السورية والثاني قبل باستقلال لبنان منفصلاً عن سوريا شرط جلاء الأجنبي عنه . تمثل الاتجاه الأول بالمداخلات التي قدمها وفد جبل عامل ووفد زحلة وصلاح لبكي باسم جبل لبنان تضمنت مداخلة ممثل زحلة المحامي فوزي بروديل ما يلي «كان بعض الغلاة يطلبون في الماضي أن يكون لبنان منفصلاً عن سوريا ، أي أن يعيش وحده ، وأما الشباب اللبناني المثقف فهو يرى اليوم أن مصلحة لبنان هي في الوحدة السورية (تصفيق) ثم في الوحدة العربية وقد برهن الشباب الزحلي الحر على عقيدته الوطنية هذه في موقفين : أحدهما في مظاهرة الجامع في المعلقة التي مشى فيها اربعمائة شاب وخطب خطباؤهم في التضامن القومي والتآلف المسيحي المسلم . والموقف الثاني هو ارسال وفد إلى دمشق منذ أيام ومقابلة

(١) وهبة، توفيق: لبنان في حبائل السياسة دون تاريخ للنشر ص ١٢ و١٣ .

(٢) C.P.M. N 1776 le 8 Mars 1936 Genève.

التوقيع : علي بيطار ـ الفرد عازار إلى جانب ٦٠ توقيعاً من سكان القضاء .

رجال الكتلة الوطنية تأييداً لطلبنا الاستقلال والوحدة السورية . وقد سمعنا في هذين اليومين أن الكتلة قبلت المفاوضة دون أن تبحث في لبنان خوفاً من الاصطدام والعرقلة» [٣] .

تمثل الاتجاه الثاني بمداخلة يوسف يزبك وبامتناع بعض الحضور عن التصويت على مقررات المؤتمر المؤيدة للوحدة السورية .

جاء في مداخلة يزبك ما يلي : «تخصيص هذا المؤتمر ببحث الوحدة السورية في هذه الظروف يبلبل الأفكار ولا بد له من أن يجعل الكثيرين بل جميع اللبنانيين الذين يماشوننا في طلب السيادة القومية والاستقلال الصحيح والذين ما يزالون لسوء الحظ غير مقتنعين بفوائد الوحدة الشاملة . ارجو قبل كل شيء أن نبحث في تعزيز استقلالنا وحريتنا التامين دون الالحاح على الوحدة لئلا يجفل كما قلت اخواننا اللبنانيين الذين يريدون مثلنا هذه السيادة الحقيقية ، أي الذين يماشوننا في عقيدتنا وامنيتنا» [٤] . باستثناء مداخلة يزبك اجمعت كل الكلمات على طلب الوحدة السورية . بعد انقضاء ثلاثة أيام على انفضاض المؤتمر نشرت بعض الصحف حديثاً جرى بين البطريرك الماروني ووفد الكتلة الوطنية السورية ، فخري البارودي ، مخائيل لبان ومظهر ارسلان ، وجاء فيه أن «الكتلة الوطنية تشجب عمل المؤتمر ولا توافق عليه» .

ما نشر أحدث ارتباكاً في صفوف مؤيدي الوحدة السورية مما حدا برئيس المؤتمر سليم علي سلام ان يرسل كتاباً إلى رئيس الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي يستوضحه الأمر . جاء الجواب بأن الكتلة الوطنية لا تسأل إلا عن البيانات الصادرة بتوقيع رئيسها [٥] .

موقف الاعتدال من مسألة الكيان اللبناني والذي ظهر في المؤتمر ولأول مرة اخذ يعبر عن هذا التوجه من خلال الصحافة اللبنانية وفي اللقاءات مع الطرف القومي اللبناني : فقد عرض كاظم الصلح في الصحف لحقيقة الموقف الذي اتخذه بالامتناع عن التصويت على مقررات المؤتمر إلى جانب عادل عسيران وشفيق لطفي . ورد ذلك في مقال تحت عنوان «مشكلة الانفصال والاتصال» اعتبر فيه أن ولادة لبنان الكبير على شكله الحالي جاء متطابقاً والتصميمات الاستعمارية الفرنسية . وإن كل قرار يذهب لفصل الأقضية والأراضي الملحقة بلبنان وضمها إلى سوريا سيؤدي جبراً لارتماء جبل لبنان في أحضان فرنسا «فيجعل مصيره

(٣) محضر جلسات مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة في ١٠ آذار ١٩٣٦ مطبعة الاتحاد بيروت ص ٩ و ١٠ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٥ .

(٥) نفس المصدر ص ٤٦ .

مرتبطاً بوجودها في أرضه» ثم يستطرد «نحن لا نريد أن نبني وطناً نصف سكانه اعداء له . وبكلمة أخرى نحن لا نريد أن يرغم ارغاماً فريق كبير من سكان الساحل على الانضمام إلى سوريا وطن الوحدة .

. . . لست أرى من الكوارث الكبرى أن يظل لبنان على شكله الحالي إلى الأجل الذي يريد (على فرض متحرر من السيطرة الأجنبية) شريطة أن يعتنق منذ اليوم الفكرة والقومية العربيتين .

فان انفصاله عن سوريا الكبرى هو عندي كانفصال سوريا العربية عن العراق العربي . أي أنني لا اجد في هذا الانفصال بأساً ما دامت تلك القومية تترعرع وتصان في كل قطر إلى أن تثبت هذه الأقطار مصلحتها في الاتحاد فتتحد ، وان تزيد في الاتحاد بنسبة ما تجد لها مصلحة وفي هذه الحالة نرى أننا لم نكن مخطئين إذ تساهلنا في قبول التقسيم السياسي لقاء شمول الفكرة العربية وتغذيتها وصيانتها ولم نكن مخطئين اذ بتنا في الأرض العربية جمعاء بما فيها لبنان ، مادة تعاوننا في يوم من الأيام المقبلة على حركة التوحيد الكبرى»[٦] .

لم تكن طروحات كاظم الصلح منعزلة عن موقف الكتلة الوطنية في دمشق . فالكتلة بتركيبتها الطبقية من تحالف الأقطاع والبورجوازية كانت عاجزة عن حسم الصراع مع الفرنسيين لصالح الوحدة والمضي مع المطالب الجماهيرية في تحقيق السيادة والاستقلال والقطع النهائي مع الانتداب .

في ٤ نيسان موعد افتتاح المحادثات بين فرنسا وسوريا تقدم وفد الأخيرة بعدد من المطالب بينها طلب سلخ صيدا وطرابلس عن لبنان والحاقها بسوريا . كانت حجة السوريين تنطلق من الضرورة الملحة لاقتصادهم وهو ايجاد منفذ على البحر .

لم تكن الحكومة اليمينية في باريس في وارد تقديم تنازلات تمس جوهر انتدابها على بلدان المشرق . هنا توقفت المباحثات لفترة من الوقت بسبب انشغال الحكومة الفرنسية بالأعداد لانتخابات برلمانية والتي حملت فيما بعد إلى السلطة الجبهة الشعبية القائمة على تحالف الاشتراكيين والشيوعيين . لهذا تشجع المفاوض السوري على التمسك بمطالبه في جولة المفاوضات الأولى . ويمكن اعتبار الأمر طبيعياً نظراً لتعاطف الحزبين الفرنسيين مع وحدة بلاد سوريا في مناسبات مختلفة . كذلك سجل نشاط كبير لانصار الوحدة السورية في

(٦) الصلح ، كاظم: مشكلة الانفصال والاتصال في لبنان عام ١٩٣٦ (كراس) .

باريس . إضافة إلى زيارة رياض الصلح وأمين عام الحزب الشيوعي السوري خالد بكداش إلى العاصمة الفرنسية عقد ممثلو الاتحادات الطلابية السورية واللبنانية في المدن الأوروبية التالية : تولوز ـ نانسي ـ لندن ـ جنيف ـ روما ـ غرينوبل ، باريس ، مؤتمراً لهم حيث قرروا رفع عريضة إلى لجنة الانتداب في جنيف بتوقيع نسيم مجدلاني وتضمنت التالي :

١ ـ يثق المؤتمر بالوفد السوري الذي وصل باريس لتوقيع معاهدة انطلاقاً من ميثاق وطني وضعت اسسه ، في ١٠ كانون الثاني ١٩٣٥ ، أثناء الاحتفال باحياء ذكرى ابراهيم هانونو .

٢ ـ إن الممثلين الحاضرين ، وهم ينتمون لمعظم المناطق السورية المجزأة إلى دويلات بواسطة الانتداب، يستنكرون تحركات بعض الموظفين الفرنسيين التي غذت الانقسام والتي لا تخدم مصلحة فرنسا ولا سوريا بل تعرقل الجهود المبذولة حالياً بهدف إعادة توحيد بلاد سوريا[٧] .

كان لانتقال السلطة في باريس من اليمين إلى اليسار وقع سيء على أنصار الكيان اللبناني . مما دفع البطريرك الماروني لارسال مبعوثين إلى العاصمة الفرنسية هما المطران مبارك ورئيس حزب الوحدة اللبنانية توفيق عواد . أنيطت بالمبعوثين مهمة الاطلاع عن كثب على آراء الحكام الجدد من مصير لبنان . وقد سهل الفرد الخوري الطبيب الخاص لرئيس الوزراء الاشتراكي ليون بلوم لقاءاً للمطران مبارك معه حيث أوضح له أن كل تعديل يطال الحدود اللبنانية يعرض الكيان للإنهيار . وفي البيت الماروني في باريس أعرب المطران خلال لقاء صحفي عن سروره لهذه المباحثات . وأشار إلى أن ليون بلوم قد وعده بدعوة لبنان في المستقبل القريب لاجراء مباحثات مع فرنسا ، وان مسألة حماية الأقليات ستستأثر بدراسة دقيقة . وتعليقاً على مقررات المؤتمر الطلابي السوري اللبناني اجاب المطران : «إني أفهم حماسهم ورغبتهم لتحقيق الوحدة السورية، لكن الأكثرية الساحقة في سوريا ولبنان لم تبلغ مرحلة النضج . هذا سيناط بهم لدى عودتهم ليقوموا بتوعية الناس واقناعهم بعدم وجود خطر ينجم عن هذه الوحدة»

فيما يختص المطالبة السورية بميناء طلابلس قال المطران لا اعتقد بامكان لبنان التخلي عنه لكن اعتقد ، وهذا أكثر احتمالاً بامكان التخلي عن منطقة الجنوب لأن صيدا كانت تشكل ميناءً لسوريا»[٨]

(٧) C.P.M. 6A - 4892 - (1469) le 17 Avril 1936 Genève.

(٨) Le journal «L'orient» Beyrouth le 9 Juin 1936 .

وعن نشاط مبارك كتبت مجلة «لبنان والشرق الأوسط» : «عرض المطران المسألة اللبنانية ونجح في مهمته لدى ليون بلوم وفينو رجل الدولة الحقيقي الذي استقبله بدون تحفظ على مطالبنا» [٩] .

خلال فترة المباحثات السورية الفرنسية نجح رياض الصلح وخالد بكداش في كسب دعم الحزب الشيوعي الفرنسي وبعض نواب الحزب الاشتراكي لمواقف الوفد السوري . وتولت صحف الحزبين نشر عدد من المقالات المؤيدة للوحدة السورية . فقد نشرت جريدة L'humanité مقالاً للنائب Peri تناول فيه المحادثات الدائرة في باريس . فوجد أن مطالب الوفد السوري ممكنة التحقيق وبالتالي لا يتوجب على حكومة الجبهة الشعبية الالتزام بقرار الحكومة اليمينية السابقة خاصة في هذا الظرف من الهيجان الشعبي الذي يلف العالم العربي [١٠] . أما النائب الاشتراكي Longuet فقد حثّ حكومة ليون بلوم على الاعتراف بحقوق هذا «الشعب الشجاع الذي يضع فيهم كامل ثقته وفي الوقت نفسه يعمل بجد من اجل فرنسا والسلام» [١١] . واثناء الاحتفال بذكرى سقوط الباستيل في ١٤ تموز رفع في التظاهرة الشعبية يافطة دون عليها «اعطوا الاستقلال لسوريا» [١٢] .

لم يكن تأثير المجموعات الفرنسية المؤيدة للوحدة السورية على درجة من القوة تستطيع بها فرض موقفها . بل أن اليمين الفرنسي اضافة إلى اليمين الاشتراكي بقيادة ليون بلوم كانا المهيمنين على سلطة القرار آنذاك . فقد وضع سكرتير الدولة الفرنسي للشؤون الخارجية فينو الخطوط الرئيسية لسياسة فرنسا تجاه بلدان المشرق . تتلخص سياسة فينو تجاه لبنان بما يلي : «نحن الفرنسيين نعمل على دعم استقلال لبنان في وجه المطامح الوحدوية السورية» [١٣] . ثم بعث إلى المطران مبارك برسالة يبدد فيها المخاوف المسيحية التي ظهرت في لبنان . وقد أكد له على مضمون الكتاب الذي أرسله إلى رئيس الجمهورية اللبنانية في ٢٠ تموز حيث تعهد فيه بمعاملة لبنان على قدم المساواة مع سوريا [١٤] .

في هذا السياق لا يستبعد دور الحركة الصهيونية في التأثير على اتخاذ القرار في بلدان المشرق لأن اطماعها في السيطرة على فلسطين كان يتطلب إقامة علاقات مع أكبر عدد من

(٩) La revue du Liban et de l'orient Méditerranée Juillet 1936. Paris .

(١٠) Le journal l'orient le 9 Juin 1936 .

(١١) Idem .

(١٢) Revue du liban et «l'orient» arabe le 20 Juillet 1936 P. 12 Paris .

(١٣) Vienot. P. et Haye. H: [illegible] relations de la France et de la Syrie P.20 Paris 1939 .

(١٤) La revue du Liban et l'or[illegible]t Méditerranée Juillet 1936 .

القوى السياسية في المنطقة لتسهيل هجرة اليهود اليها . وخلال الأعوام ١٩٣٤ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ زار رئيس الحركة الصهيونية بيروت والتقى بعض القادة اللبنانيين والبطريرك الماروني . اعقب هذه الزيارات تصريح للمفوض السامي دي مارتيل يعلن فيه عن موافقته على هجرة يهودية إلى سوريا ولبنان لاستثمار رؤوس الأموال فيها [١٥] . وقد لاقى التصريح تأييداً من البطريرك عريضة [١٦] .

أثارت موافقة رئيس الكنيسة المارونية ردود فعل إحتجاجية عديدة بينها توزيع كراس من ١٤ صفحة تحت عنوان «كفانا رياء» ، وقد طبع في جونيه في الأول من تشرين الأول ١٩٣٦ وجاء فيه «ماذا ترجون من بكركي طالما غبطة البطريرك عريضة يستحسن دخول الصهيونيين إلى لبنان معتقداً أن رؤوس اموالهم تنعش حالة البلاد الاقتصادية وما درى أن كل درهم يبذله الصهيوني في أرضنا هو حجر ثقيل يربطه في اعناقنا . . .

إن الصهيونية خطر على لبنانكم أكثر من سوريا إذ أن استملاكهم يتمم استملاك شواطىء فلسطين ، وبعدئذ يمتد هذا الاستعمار الخطر إلى سائر البلاد العربية ، فتبقون ساكتين ؟ . . . » [١٧] .

ولما فشلت جولة المباحثات الثانية بين المفاوض السوري والفرنسي في تحقيق نتائج ايجابية دعيت لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الفرنسي إلى جلسة عقدت في ٨ تموز ١٩٣٦ . تقدم حينئذ سكرتير الدولة الفرنسي فينو بتقرير اعترف فيه بالصعوبات التي تواجه الانتداب في المشرق في ظل نهوض قومي عربي . وشدد على رغبة حكومته الاشتراكية للتوصل بأسرع وقت إلى حلٍ يضمن التواجد الفرنسي في سوريا ولبنان وحماية الأقليات الدينية الحليفة . ثم استطرد «يجب علينا الاعتراف بالقوة التي لا يمكن انكارها للحركة نحو الاستقلال التي تتأجج في هذه المناطق والتي هي في النهاية حركة وطنية تأخذ منحىً استقلالياً تاماً» .

وفي معرض النقاش للتقرير طرح النائب الاشتراكي Maurice thiollaz سؤالاً «فضلاً عن قضية الأقليات يوجد الوضع الخاص لطرابلس الآسيوية كونها مهمة للأقلية الاسلامية من ناحية اقتصادية لأن الدولة السورية لا تملك منفذاً على البحر» .

(١٥) Revue internationale du travail Mai 1936 Genève.

(١٦) Rabbath. E. :Unité Syrienne et devenir arabe P 359 Paris 1937 .

(١٧) كراس تحت عنوان (كفانا ريا) بدون توقيع طبع في جونية تشرين الأول ١٩٣٦ ص ١٠ (موجود في مكتبة الجامعة الأميركية) .

اجاب فينو «يوجد تعارض بين فكرة منفذ إلى البحر وفكرة نظام اقتصادي تستطيع الدولتان ، سوريا ولبنان ، أن تشكلا منطقة لنفس الوحدة الاقتصادية النقدية . . . نحن أمام تنظيم وطني على غرار الفلسطيني (إشارة إلى الانتفاضة المسلحة الفلسطينية عام ١٩٣٦) والتنظيم الهتلري يعمل على التخريب . هذا التنظيم المشار اليه يحتم اتخاذ الحيطة حتى لا نفسح في المجال لولادة هكذا تنظيمات . . . ما يجري في سوريا بالتأكيد له أصداء في أفريقيا الشمالية وخاصة في تونس. إذا انجزنا معاهدة تعطي لسوريا الاستقلال سيقول المسلمون تحت الحماية الفرنسية : انظروا المسلمين تحت السيطرة الفرنسية وقد نالوا استقلالهم ، بهذا سنشجع بعض النشاطات المعادية لنا»(١٨) .

ترافق التصلب الفرنسي بسلسلة اجراءات إحترازية للحكومة اللبنانية استعداداً لمفاوضات مقبلة مع الفرنسيين . فقد مُنعت المظاهرات المؤيدة للوحدة السورية وفرضت رقابة على الصحافة التي تتناول هذا الموضوع . وبناء على طلب الخارجية الفرنسية . أجرى رئيس الجمهورية اللبنانية إميل اده مشاورات مع أهم الشخصيات المؤثرة على الساحة السياسية في لبنان : البطريرك الماروني، اعضاء البرلمان، ممثلي غرفة التجارة وغيرهم. تناولت المشاورات معرفة آراء هذه الشخصيات من مسألتين : توقيع معاهدة بين لبنان وفرنسا ـ الدستور اللبناني .

خلال هذه المرحلة حاولت الكتلة الدستورية الظهور بأنها تشكل قوة مؤثرة في لبنان ومؤيدة للمعاهدة مع فرنسا . فيما لجأت بعض القيادات المسيحية إلى الفاتيكان حتى تمارس ضغطاً على الحكومة الفرنسية للأخذ بمواقف أنصار الكيان اللبناني . ولعب الكاردينال تبوني دوراً مؤثراً لدى الكرسي الرسولي لهذه الجهة .

أما لأنصار الوحدة السورية فقد تبادلوا الاتهامات فيما بينهم . وشهدت هذه الفترة انعقاد أكثر من لقاء ومقاطعة فريق لدعوات الفريق الآخر لبحث مسألة تحديد موقف من الوحدة مع سوريا . في مطلع تموز عقد اجتماع في دار الفتوى لمبايعة المفتي بالزعامة الدينية والمدنية . وفي ٥ تموز دعا أصحاب الرأي في صيدا إلى اجتماع اسلامي عام في مدينتهم للتأكيد على وحدة الموقف من مسألة الوحدة . رفض يومها زعماء بيروت المسلمين حضور الاجتماع . بل اتهمت صحيفة «بيروت» لصاحبها محي الدين النصولي المجتمعين بشق وحدة

(١٨) Assembleé Nationale française commission des affaires étrangères séance du 8 Juillet 1936 rapport de M. vienot. P. 8 .

الموقف الاسلامي(١٩) .

في الواقع أن فتور حماس البورجوازية الاسلامية في بيروت للعمل الوحدوي جاء بعد أن شاعت اخبار من باريس عن قرب توقيع معاهدة سورية فرنسية لا تمس حدود لبنان . لهذا راح بعض الزعماء المسلمين ، المستفيدين اقتصادياً من ولادة لبنان الكبير ، يعملون على تجميع صفوفهم لتشكل قوة مؤثرة تسمح لهم باحتلال موقع مهم في السلطة خاصة وان الدولة اللبنانية كانت مقبلة على متغيرات ستنشأ عن معاهدة لبنانية فرنسية مرتقبة. في ٧ تموز رفع النواب السنة في البرلمان اللبناني مذكرة إلى رئيس الجمهورية جاء فيها : «لما كانت البلاد قادمة على تغير أساسي في النظام السياسي فان نواب الطائفة الاسلامية في الجمهورية مع إعلان شكرهم لفرنسا النبيلة على الاستعدادات التي اظهرتها نحو البلاد في تأييدها مبادىء الاستقلال والدستور ، يكررون اليوم المطالبة بأن يعامل المسلمون كغيرهم بلا خرق وتمييز ، وان تتناسب الواجبات المفروضة عليهم والحقوق المعترف بها ، ويرحبون رفع كتابهم هذا للمفوض السامي مع أملهم الوطيد بمساعدة فخامتكم لتحقيق هذه المطالب المشروعة»(٢٠) .

في ١٥ تموز تأسس المجلس القومي الاسلامي وانتخب سليم علي سلام رئيساً له وذلك بخلاف الاجماع الاسلامي على المفتي في مطلع تموز . أما في المناطق الأخرى التي انسلخت عن سوريا فقد بقيت تستغل كل مناسبة للتعبير عن تمسكها بمطلب الوحدة السورية . ويتضح أن استمرار هذه المناطق في معارضتها للكيان اللبناني نابع من تجربة الـ ١٦ سنة التي قضوها في كنف الدولة اللبنانية ، والتي لم يلقوا من المسؤولين فيها أي اهتمام في مناطقهم على كل الأصعدة . بل واجهتهم بالقمع لمواقفهم دون محاولة للوقوف على دوافع معارضتهم. في ظل اجواء الانقسام بين القيادات الاسلامية حاول المفتي اظهار وحدة الموقف الاسلامي . فقد دعا هذه القيادات إلى اجتماع تقرر فيه ما يلي :

١ ـ السيادة الوطنية .
٢ ـ الاستقلال التام .
٣ ـ تحقيق الوحدة السورية عن طريق الاستفتاء العام(٢١) .

في الحقيقة كان أنصار الكيان اللبناني يدركون جيداً حالة التفكك في الجبهة الاسلامية

(١٩) مجلة العرفان مجلد ٣٢ جزء ٥ نيسان ١٩٤٦ ص ٤٤ .
(٢٠) جريدة النهار في ١١ تموز ١٩٣٦ .
(٢١) جريدة بيروت ١٤ آب ١٩٣٦ .

المؤيدة للوحدة السورية ، وكذلك للتصلب الفرنسي في رفض مطلب الوفد السوري المفاوض في تعديل حدود لبنان الكبير . فضلاً عن عزم باريس على الاحتفاظ بوضع الأقليات تحت حمايتها . لذلك مدوا الجسور مع بعضهم مراهنين على عامل الزمن الذي هو لصالح مخططاتهم .

لم يكن توقيع المعاهدة الفرنسية السورية في ٩ أيلول ١٩٣٦ مخيبةً لآمال أنصار الكيان اللبناني . فبموجب هذه المعاهدة تنازل السوريون ضمناً عن الساحل والأقضية الأربعة التي يعتبرونها جزء من سوريا وقد نزعتهم عنها السلطات المنتدبة وضمنتهم إلى لبنان عام ١٩٢٠ . كما تركت المعاهدة لفرنسا ولحلفائها اللبنانيين معالجة مسألة الوجود الفرنسي . مقابل ذلك نصت المعاهدة على بطلان الانتداب الفرنسي بعد مرور ثلاث سنوات على ابرامها ، فيما احتفظت فرنسا ، وفق شروط معينة ، بقواتها المسلحة وقواعدها الحربية وكذلك بهيمنتها الاقتصادية في سوريا .

ظروف توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية

كان لتوقيع المعاهدة السورية الفرنسية أثر بالغ على مجرى الأحداث في لبنان . فقد ساهمت إلى حد كبير في التقريب بين وجهات النظر عند فريقي النزاع في لبنان . وكانت البورجوازية الاسلامية وبخاصة في بيروت آخذة بالاقتناع بأهمية الكيان اللبناني . فقد وجدت أن الفترة التي قضتها في كنف هذا الكيان عادت عليها بمردود اقتصادي كبير نظراً لاختيار فرنسا للعاصمة بيروت كمرتكز لنشاطاتها الاقتصادية على صعيد الشرق . كما اعتبرت إقامة النظام الطائفي في لبنان ضمانة لموقعها الاجتماعي المتقدم بين مواطنيها . فتولت يومها جريدة بيروت فتح الحوار الاسلامي المسيحي عبر سلسلة مقالات للدكتور رئيف أبي اللمع ولمحمد جميل بيهم .

أبرز أبي اللمع الخطورة على المنطقة العربية في حال تصغير لبنان . فكتب تحت عنوان «هل يريدون خلق وطن للمسيحيين» . ثم أشار «إلى أن الغاية الأولى من تصغير لبنان كانت لانشاء وطن أكثريته الساحقة من المسيحيين . وبعبارة لا تنميق فيها ولا تدجيل كانت الغاية ايجاد وطن قومي للمسيحيين في هذه البقعة من الشرق . فهل يريد اخواننا المسلمون الآن العودة إلى تلك الفكرة القديمة ؟ .

هل يريدون أيضاً خلق وطن قومي في لبنان للمسيحيين ؟ .

أما كفانا الوطن القومي اليهودي في فلسطين . . . ان الذي ضم هذه الأقضية للبنان ليس اللبناني بل جيوش الدولة المنتدبة وهي متمسكة بهذه الحدود لأسباب سياسية وجغرافية تمسكاً لا يسمح ببحث أو جدل جعل الوفد السوري في باريس - ومن منا لا ينكر حكمته واخلاصه - يلين امامها ويصرف النظر عن ذلك» [١] .

---

(١) جريدة بيروت ٢١ و٢٢ آب ١٩٣٦ .

وبتاريخ ٢٣ و ٢٤ آب سنة ١٩٣٦ كتب الدكتور رئيف ابي اللمع مقالاً آخر في جريدة بيروت تحت عنوان «سوريا ولبنان قطران شقيقان . الانفصال التام انتحار سياسي وافلاس اقتصادي» (٢) .

توج أبي اللمع سلسلة مقالاته باقتراح صيغة لميثاق مشترك يسعى الجميع اليه ويجاهدون في سبيله .

أولاً : سوريا ولبنان قطران شقيقان تجمعهما بالأقطار العربية المجاورة روابط الاخاء القومي والمصالح الاقتصادية والاجتماعية .

ثانياً : يسعى كل من سوريا ولبنان للحصول على استقلاله وعقد محالفة متشابهة مع فرنسا .

ثالثاً : تلغى القاعدة الطائفية قولاً وفعلاً فيتمتع المسلمون والمسيحيون في سوريا ولبنان بذات الحقوق ويخضعون لذات الواجبات .

رابعاً : مع احتفاظ كل من سوريا ولبنان بكيانه الذاتي واستقلاله التام يتحد القطران في إدارة السياسة العامة والدفاع الوطني والتمثيل الخارجي والتشريع والتعليم والنقد والبرق والبريد والكمارك والمواصلات وجميع المصالح المشتركة بواسطة مجلس أعلى يتساوى فيه عدد ممثلي القطرين وتكون قراراته خاضعة لموافقة السلطة التشريعية في البلدين» (٣) .

اعقب هذا الطرح عدة لقاءات اسلامية مسيحية شارك فيها سليم علي سلام ، يوسف السودا ، عمر بيهم ، رئيف أبي اللمع ، عبد الحميد كرامة ، حبيب أبي شهلا وغيرهم . في حين وضع محمد جميل بيهم صيغة لميثاق وطني . بين الدولتين تناول فيها قيام الاتحاد السوري اللبناني على الأسس التالية :

أ ـ اسم الجمهورية السورية اللبنانية .
ب ـ جمهورية دستورية مستقلة على نظام الوحدة اللامركزية fédération .
٣ ـ للجمهورية سلطتان التشريعية والتنفيذية .
د ـ تقسم السلطة التشريعة إلى مجلسين :
١ ـ المجلس النيابي وينتخب انتخاباً مباشراً على طريقة النسبية .

---

(٢) نفس المصدر ٢٣ و ٢٤ آب ١٩٣٦ .
(٣) نفس المصدر ٢٥ آب ١٩٣٦ .

٢ ـ مجلس الشيوخ يعين تعيناً ويكون نصف اعضائه من سوريا والنصف الآخر من لبنان .

هـ ـ السلطة العليا المؤلفة من رئيس الجمهورية منها السلطتان التنفيذية والتشريعية تتولى التمثيل الخارجي والمصالح المشتركة والجندية وتشرف على برامج التعليم الموحد وانظمة الصحة العامة والنافعة .

و ـ تختص الحكومة المحلية المؤلفة من سلطتين تشريعية وتنفيذية أيضاً ، بالشؤون المالية والأمن والنافعة والصحة والتعليم وتستقل بذلك استقلالاً ادارياً داخلياً (٤) .

على المستوى الشعبي أثار الحديث عن بدء مفاوضات بين لبنان وباريس موجة من الاضطرابات غالباً ما كانت دموية في المناطق التي الحقت عام ١٩٢٠ إلى لبنان في ١٣ أيلول وأثناء زيارة الرئيس إميل اده لمدينة طرابلس استقبل بشعارات الوحدة مع سوريا مما أدى لصدامات مع الدرك ولاغلاق سوق المدينة لفترة طويلة . حسب وثائق عصبة الامم في جنيف أن اعمال العنف التي تزامنت والأعداد للمفاوضات الفرنسية اللبنانية اسفرت عن ٧ قتلى في طرابلس ، قتيلين في بيروت ، واحد في صيدا ومئات الجرحى . كذلك أقفلت الأسواق في هذه المدن لفترات طويلة فكان ٤١ يوماً في طرابلس ، ٧ أيام في بيروت و ٢٠ يوماً في صيدا (٥) .

أثار استعمال العنف ضد الفئات المنادية بالوحدة السورية توجيه مزيد من البرقيات إلى القوى الديمقراطية الفرنسية وإلى عصبة الأمم في جنيف تناشدها التدخل لوقف النزيف الدموي في طرابلس . جاء في برقية المجلس الاسلامي «منذ عشرة أيام وطرابلس (سوريا) في اضراب ، بوليس وجندارم يطلقون الرصاص على المتظاهرين وقد احصي أعداد من الضحايا ، جريمتهم الوحيدة إعلانهم الارتباط بسوريا . نحتج بشدة على هذه الأعمال المشينة . نطلب تدخل حكومة الجبهة الشعبية لوضع حد لتلك المجزرة . ويعلن الشعب الطرابلسي أن المعاهدة التي تعد للابرام مع لبنان ستزيد من إراقة الدماء» (٦) .

في ٦ تشرين الأول بعثت قيادات صيدا برقية مماثلة إلى المفوضية الفرنسية احتجاجاً على ممارسات السلطة في عاصمة الشمال (٧) .

---

(٤) نفس المصدر ١٨ أيلول ١٩٣٦ .
(٥) Annexe a l'exposé des motifs de l'affaire Tripolitaine, communiqué aux M.A.E.F le 8 Juillet 1937 a la S.D.N.
(٦) Le journal «Populaire» 4 Novembre 1936 Paris .
(٧) C.P.M. 1955 le 6 Novembre 1936 Genève (S.P.N) .

في باريس تناولت صحيفة الحزب الاشتراكي الفرنسي Populaire أحداث لبنان بالتعليق . فاعتبرت أن مصدر الاضطرابات التي نشبت منذ أسابيع وبخاصة في طرابلس ، ذات الميناء المهم للساحل السوري الجنوبي ، هو الالحاق المصطنع إلى لبنان المسيحي بواسطة الجنرال غورو عام ١٩٢٠ . ان ٩٠ ٪ من الفئة المسلمة تظهر كثيراً من القلق ازاء ما ستتضمنه المعاهدة الفرنسية اللبنانية التي هي في طريق الأعداد في بيروت . فيما يختص بطرابلس والضمانة التي أعطيت بواسطة فينو بان استقلالها سيكون مضموناً في إطار الدولة اللبنانية كان فقط لتهدئة النفوس. للأسف أن تصرفات الوزير فينو تشير إلى قلة ادراكه للواقع وإلى سوء إدارة بعض ممثليه . أن تسارع الأحداث في طرابلس يدل على مدى تعلق هذه المدينة بالوحدة السورية ، وإلى أهمية العامل الاقتصادي لهذا الارتباط بالوحدة، أما النائب الاشتراكي Longuet فقد اتهم اجهزة المفوضية بتضليل حكومتهم عبر التقليل من أهمية الأحداث واكتفوا بالاشارة اليها على أنها «شغب» مما اضطر «القوات لتثبيت النظام» . ويستند Longuet في ذلك على ما بعث به مراسلون موثوق بنزاهتهم في نقل الوقائع . من جهة أخرى اعتبر النائب الاشتراكي بأن المعاهدة الفرنسية اللبنانية التي ستوقع قريباً ستعرض للشك كل الانجازات المهمة للمعاهدة الفرنسية السورية (٨).

كانت عصبة الأمم عاجزة عن التدخل لوقف سياسة التعسف الفرنسية لأن تركيبة مجلسها كان من دول قائمة سياستها على استغلال البلدان في افريقيا وآسيا حيث كانت كل دولة تتغاضى عن اعمال الأخرى في المستعمرات . ذلك ما يشير إليه بوضوح سير اعمال مجلس العصبة . ففي خضم المواجهة بين الوطنيين السوريين واللبنانيين من جهة وحكومة الانتداب الفرنسي من جهة أخرى لم تجد لجنة الانتداب الدائمة ، خلال مناقشتها للمسألة ، موجباً للاعتراض على السياسة الفرنسية لأن «سكان بلدان المشرق لم يعطوا الدليل القاطع من النضج السياسي والتسامح حتى تغير باريس من سياستها والتي من أسسها حماية الأقليات في تلك المنطقة» (٩) .

في ظل غياب الدور الفعال للقوى الديمقراطية العالمية وتعاظم هيمنة قوى الاستعمار طمس الانتداب الفرنسي تحرك مؤيدي الوحدة السورية وافسح في المجال لمؤيديه وخاصة في الأوساط الدينية لتجييش القواعد الشعبية تأييداً للمعاهدة الفرنسية اللبنانية . وقد تولى

(٨) Le journal «Populaire» 4 Novembre 1936 Paris .

(٩) Journal officiel de la S.D.N Novembre 1936 P 1179 Genève.

(١٠) جريدة بيروت في ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٦.

المطران عبد حملة في المناطق المسيحية لحث الأهالي على ارسال البرقيات والعرائض إلى عصبة الامم ووزارة الخارجية الفرنسية انتصاراً للكيان اللبناني والمعاهدة (١٠) .

أما أنصار الوحدة السورية فقد كانوا عشية المفاوضات اللبنانية الفرنسية منقسمين على أنفسهم من مسألة الوحدة : اتجاه متشدد يتمثل بمواقف بعض قيادات طرابلس وجبل عامل والبقاع . فقد شبه كميل خلاط ، أحد وجهاء المسيحيين في طرابلس ، رسالة فينو سكرتير الدولة الفرنسي إلى إميل اده في ٢٠ تموز ١٩٣٦ والمتعلقة بمصير لبنان بتصريح بلفور بشأن فلسطين عام ١٩١٧ (١١) .

أما الاتجاه الثاني فكان توفيقي يبحث عن مخرج للتعايش المشترك بين الطوائف الدينية اللبنانية . تمثل هذه الاتجاه بالبورجوازية الاسلامية في بيروت التي أخذت المبادرة بالدعوة إلى مؤتمر اسلامي في منزل عمر بيهم في ٢٣ تشرين الأول لاتخاذ مقررات تقدم إلى المفوض السامي الفرنسي .

نجح المؤتمر إلى حد ما من حيث الحضور الذي بلغ حوالي ٤٠٠ شخص وكذلك في وضع مقررات معتدلة لم تلحظ في مؤتمرات سابقة . تركزت الشكوى على التحيز الفرنسي لصالح فئة من الشعب اللبناني على حساب الأخرى . «وما يطالب به المسلمون علاجاً لذلك عبر ادراج فصل صريح في المعاهدة اللبنانية الفرنسية يعترف باللامركزية الإدارية بين المحافظات في لبنان ويضمن المساواة بين مختلف الطوائف في ممارسة حقوقهم وواجباتهم» (١٢) .

تلازم هذا الطرح الجديد لانصار الوحدة السورية مع افتتاح المفاوضات اللبنانية الفرنسية في بيروت . وقد ضم الوفد اللبناني المفاوض فريقاً من الحكومة والنواب من مختلف الطوائف برئاسة اميل اده . أما الوفد الفرنسي فكان برئاسة المفوض السامي دي مارتيل . في البداية سيطرت على اجواء المفاوضات افكار تعتبر بمثابة مسلمات للمعاهدة المتوقعة وقد لخصها سكرتير الدولة الفرنسي فينو على الشكل التالي : «ان قاعدة النفوذ الفرنسي ومركز القوة البحرية في الشرق الأوسط هو لبنان حيث مصالح فرنسا هناك . كيف تحفظ حمايته

(١١) La revue de la Nation Arabe No Septembre, Octobre, Novembre 1936 P.P 676 - 677 Genève.

(١٢) C.P.M 1955 le 28 Octobre 1936 P.24 (S.D.N) .
التوقيع سليم علي سلام .

لانتدابنا ؟ ذلك الهم الأساسي الذي حكم مفاوضات الشرق»[١٣] .

لم تستغرق المفاوضات مدة طويلة نظراً للغياب الكامل لأية مصاعب كما حصل بين المفاوض السوري والفرنسي . كان هاجس الوفد اللبناني ، وهم من مؤيدي السياسة الفرنسية ، تكريس وضمان فصل لبنان عن سوريا وما عدا ذلك لاخلاف عليه . الدليل على هذا المنحى هو ما اقترحه الرئيس إميل اده خلال المفاوضات . فقد طلب بأن تكون مدة المعاهدة إلى أجل غير مسمى[١٤] . لم يلاق ذلك تجاوباً من المفوض السامي الفرنسي لأنه كان يحسب ردة الفعل الشعبية وخاصة من أنصار الوحدة السورية الذين لا يوافقون على معاهدة مع لبنان لا تستوحي على الأقل بنوداً من المعاهدة السورية والا تفقد مبرر وجودها . وما سهل سير المفاوضات الفرنسية اللبنانية كان توقيع المعاهدة السورية الفرنسية التي كانت بمثابة اعتراف ضمني بلبنان مستقل عن سوريا . أن المعاهدة اللبنانية الفرنسية التي استغرق الأعداد لها من ٢٢ تشرين الأول إلى ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٦ كانت متوافقة وطموحات فرنسا في لبنان . وتضمنت بنوداً بخلاف المعاهدة السورية الفرنسية أبقت على التواجد العسكري الفرنسي لمدة ٢٥ سنة قابلة للتجديد ودون تحديد عدد القواعد العسكرية ولا امكنة تمركزها على المناطق اللبنانية .

قبل توقيع المعاهدة بين رئيس الوفد اللبناني إميل اده والمفوض السامي دي مارتيل التقى الأخير وبناء على طلبه وفداً من اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي وسلمها رسالة رداً على مذكرتهم والتي كانت تتضمن مقررات مؤتمر ٢٣ تشرين الأول . أشار دي مارتيل في رسالته : «. . . في الوقت الذي تبذل فرنسا فيه جهودها لمحو كل اثر للمنازعات الدينية لا يسعني إلا أن آسف لرؤيتي طابعاً دينياً يوضع في وثيقة ذات صيغة سياسية . غير أنني بالرغم من ذلك رغبت أن الفت أنظاركم بدوري إلى الوجه الجوهري للقضايا السياسية الحاضرة . . .

تمكن المفاوضون اللبنانيون والفرنسيون من الاتفاق على بنود تحمل لجميع الطوائف ولكل المناطق في لبنان الضمانات الصريحة .

إن الحكومة اللبنانية تتعهد لفرنسا ، في رسائل متبادلة ما بينهما ، بضمان المساواة في

(١٣) Vienot. P. Haye. H: Les relations de la France et de la Syrie P. 4 OP. cité.

(١٤) Hobieka .P. Emile Eddé OP. cité P.4 .

انظر بشارة الخوري : حقائق لبنانية الجزء الاول ص ٢٠٣ مصدر مذكور .

الحقوق الدينية والسياسية لجميع رعاياها وتمثيلاً عادلاً لمختلف عناصر البلاد في مجموع وظائف الدولة ، ونسبة عادلة بين مختلف المناطق في توزيع المصاريف التي تنفق للمنفعة العامة . وفي رسائل أخرى متبادلة بين الحكومتين تتعهد الحكومة اللبنانية بتوحيد نظام الضرائب وبتطبيق برنامج اصلاحات إدارية مناسبة يشمل كل مناطق لبنان . بفضل هذه التعهدات ستتحقق رغائب كل رعايا الدولة اللبنانية من أية طائفة كانوا»[١٥] .

في ١٤ تشرين الثاني نشرت الصحف اللبنانية دفاعاً لرياض الصلح عن التهمة الموجهة للمسلمين بالعمل من منطلق طائفي ومما قاله : «إننا لم نتقدم بمطالبنا باسم الشعار الطائفي إلا لأن انفصال لبنان نفسه يستمد وجوده من الشعار الطائفي . لولا الطائفية ما كان لبنان منفصلاً عن سوريا ، ونحن مع ذلك مددنا يدنا للاتفاق مع اخواننا ، وهذه يدنا لا تزال ممدودة ، ونرجو بعد الآن أن لا تبقى حاجة لعقد المؤتمرات منا ومنهم»[١٦] .

لاقت رسالة دي مارتيل ارتياحاً من اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي بينما بقيت الجماهير الاسلامية والوطنية على تمسكها بالوحدة مع سوريا . فقد رفعت فعاليات طرابلس مذكرة إلى المفوض السامي الفرنسي احتجاجاً على المعاهدة وجاء فيها : «وقعت فرنسا بالأمس معاهدة مع حكومة بكركي وعملائها في بيروت حيث أن البعض سمي من قبل حكومتكم والبعض الآخر انتخب بفضل تدخل فخامتكم والمستشارين الفرنسيين في الأقضية . هؤلاء وأولئك يملكون صلاحيات محددة . في ظل هذا الوضع يبدو أن حكومتكم وقعت المعاهدة مع نفسها . . .»[١٧] .

عملياً لم تعد الدعوة للوحدة السورية القضية المركزية عند القيادات الاسلامية وان بقيت كمادة للمعارضة من قبل البعض في وجه الحكم اللبناني بغية تحقيق مكاسب شخصية وخاصة في موسم الانتخابات .

بدورها سارعت الحكومة اللبنانية باتمام ما هو مطلوب منها لوضع المعاهدة موضع التنفيذ . فقد أصدر رئيس الجمهورية اللبنانية اميل اده مرسوماً رقم ١٣٢ / E 6 بدعوة البرلمان لعقد دورة استثنائية بين ١٤ و ١٩ تشرين الثاني للتصديق على المعاهدة . افتتحت

(١٥) Le journal «le Jour» le 14 Novembre 1936 Beyrouth .

(١٦) جريدة بيروت ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٦ .

(١٧) C.P.M.M 1955 le 13 Novembre 1936 (S.D.N) Genève.

التوقيع : عصام الأسطى ـ المحامي سعيد عبد القادر بارودي ـ رشيد الشهال ـ محمد علي مخلوف ويلي ٣٩ توقيعاً .

الجلسة الأولى بغياب نواب طرابلس وقدم فيها بشارة الخوري باسم اللجنة البرلمانية المفاوضة بتقريراً قال فيه «... وعليه قد تم الاتفاق على معاهدة صداقة وتحالف لتحديد العلائق التي ستظل قائمة بعد زوال الانتداب ، بين الدولتين ، على أسس الحرية والسيادة والاستقلال .

هذه المعاهدة التي وقع عليها ، والتي تطلب اللجنة إلى حضرتكم ابرامها .

هذه وثيقة سيادتكم واستقلالكم .

هذا هو صك الحرية التي طالما نشد دانيكم وقاصيكم .

هذا هو ميثاق التحالف والصداقة مع دولة كريمة الأعراف والانساب .

هذا هو اكليل ماضيكم وضمان مستقبلكم .

ختم عهداً وفتح عهداً» (١٨) .

من خلال استعراض محضر جلسات المجلس النيابي في تلك الفترة يتبين انه لم يتعرض أحد من النواب لانتقاد نصوص المعاهدة بل انصبت المداخلات على الاشادة بفرنسا كما أشار النائب خباز «... لقد أنشىء لبنان مع فرنسا وبها ومعها يحيا ويدوم» (١٩) . في ختام المناقشات صدقت المعاهدة باجماع نواب البرلمان باستثناء النائب خير الدين الأحدب الذي احتج على الكيان اللبناني . ومع ذلك كلف الأحدب بتشكيل أول حكومة تعقب توقيع المعاهدة . ومن بعده أصبح منصب رئاسة الحكومة وقفاً على الطائفة السنية . بدون شك، يعتبر توقيع المعاهدة بداية تحول داخلي في لبنان . وتصدر العمل للتعايش بين اللبنانيين أولى الاهتمامات للقيادات السياسية فيه لأن فريقاً كبيراً من المسلمين لم يكن مقتنعاً بتحول ذي أهمية في بنية النظام اللبناني القائم على استفراد طائفة بالسلطة من هنا كانت الريبة تسود العلاقات ما بين الطرفين المسيحي والمسلم . لذلك كانت ردات الفعل التي اعقبت توقيع المعاهدة هي نتيجة هذه الريبة .

(١٨) **الخوري، بشارة**: حقائق لبنانية مصدر مذكور ص ٣٠٤ .

(١٩) محضر جلسات المجلس النيابي ـ جلسة ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٦ صفحة ٣٧ .

الفصل الثالث

المعاهدة اللبنانية الفرنسية بين مؤيديها ومعارضيها في لبنان

بعد مضي يومين على توقيع المعاهدة في السراي الكبير انطلقت مظاهرة في بيروت الغربية تعلن استنكارها لمضمون المعاهدة وتمسكها بالوحدة السورية . في اليوم نفسه ترامت أخبار هذه المظاهرة إلى المنطقة الشرقية من بيروت فتجمع عدد غفير من شبابها ومشوا في مسيرة مرددين شعارات مؤيده للبنان وللمعاهدة مع فرنسا . في ساحة الشهداء التقت التظاهرتان مما أدى إلى حصول صدامات بين الفريقين وتحطيم عدد من واجهات المحلات التجارية ، وسجل وقوع عدد من الاصابات بين قتيل وجريح رغم نجاح قوات الانتداب في فرض الأمن في العاصمة واندلعت مظاهرات أخرى لمعارضي الانتداب في مناطق متعددة من لبنان حيث سجل صدامات بين المتظاهرين والبوليس . حسب المصادر الرسمية.سجل في بيروت وقوع ٦ قتلى و ١٠ جرحى . أما في الأنباء التي مصدرها القاهرة فقد ذكرت أن الصدامات أوقعت أكثر من ٦٠ قتيلاً و ٤٠٠ جريح في مدينة بيروت وحدها (١) .

ما جرى من صدامات فاقم من حدة التوتر الطائفي وانجرار الشباب اللبناني للطروحات الطائفية ولتنظيماتها . اعقب تلك الحوادث ولادة حزب الوحدة اللبنانية ومنظمة الكتائب في الوسط الماروني وكإطار جماهيري للطائفة للدفاع عن مصالحها والكيان اللبناني . بالمقابل ولدت في الأوساط الاسلامية منظمة النجادة كتنظيم شبه عسكري ومنبثق عن الكشاف المسلم .

أظهر سير الأحداث أن هناك خطر تجدد الحوادث في كل لحظة ما دامت الأسباب ماثلة على أرض الواقع وتكاد الأمور تفلت من أيدي المخططين لها . تداركاً للأمر سهلت المفوضية اجتماع لجان تمثيل المسلمين والمسيحيين . بعد إظهار مشاعر الأخوة والصداقة الخادعة أصدرت بياناً نفت فيه أن تكون الاضطرابات التي حصلت ذات طابع طائفي . وقد ساعد

(١) Le journal «L'humanité» le 15 Novembre 1936 Paris .

على تنقية الأجواء المشحونة قدوم وفد الكتلة الوطنية ، جميل مردم ، وسعدالله الجابري ، إلى بيروت لاقناع قادة المسلمين بالمعاهدة اللبنانية الفرنسية . كذلك استدعى المفوض السامي اثنين من وجهاء بيروت المسلمين وعرض عليهم برقية من سكرتير الدولة الفرنسي فينو والتي يعرب فيها عن أسفه لحدوث اضطرابات طائفية في أعقاب توقيع المعاهدة وانذرهما بأن فرنسا ستعتبر كل معارضة من المسلمين للمعاهدة بعد الآن كمجرد مناورة دينية سترد عليها بما يناسبه . عندها رفض الوجيهان تهمة التحريض الموجهة إلى زعماء المسلمين والقوا تبعة الاضطرابات على فتيان عديمي المسؤولية ولا يعكسون بأي شكل آراء المسلمين [2] .

كان لكل التدخلات مجتمعة فعل تهدئة في بيروت حيث أصدر وجهاؤها منشوراً موقعاً عليه من سليم سلام ورياض الصلح وعمر الداعوق وبشارة الخوري وهنري فرعون وحبيب أبو شهلا وسواهم في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٦ وطلبوا فيه من اللبنانيين وقف الحوادث الطائفية التي جرت بمناسبة توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية [3] .

أما طرابلس التي مضى عليها شهرٌ وهي مقفلة احتجاجاً على ضمها إلى لبنان ، فقد وصلتها أخبار الصدامات في بيروت محرفة بشكل «مذبحة المسلمين على يد المسيحيين» فكان لها وقعٌ في نفوس الأكثرية الطرابلسية . في ١٨ تشرين الثاني قامت مظاهرة كبيرة رفعت الأعلام السورية على المساجد لكن بدون تعكير للنظام العام . في اليوم التالي دعا المفوض السامي الفرنسي ثلاثة من قيادات طرابلس المسلمين وتلا عليهم برقية فينو التي تنذر بعواقب وخيمة على المخلين بالنظام . رغم ذلك وبعد صلاة الظهر خرجت مظاهرة مندّدة بالاحتلال الفرنسي . لكن الشرطة ردت بعنف على المتظاهرين فأوقعت ثلاثة قتلى وجرحت كثيرين . ثم لجأت سلطات الانتداب إلى اعتقال القيادات الطرابلسية الثلاثة وسجنتهم في العاصمة . اثار الاعتقال فوضى شرسة في تلك الليلة دامت ثلاث ساعات أسفرت عن ثلاث قتلى آخرين وتم عزل البلدة [4] .

ما حدث في لبنان وخاصة في طرابلس أثار حملة استنكار من قبل المنظمات السياسية في سوريا دعماً لأنصار الوحدة . في ٢٣ تشرين الثاني أبرقت عصبة العمل القومي في حلب إلى المندوب الفرنسي في بيروت : «توقيع المعاهدة وسط بركان من النار وعلى برك دم الشهداء لا

(٢) F.O 371 doct 20066 le 24 Novembre 1936 P. 46 .

(٣) حلاق، حسان: مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨ ص ٣١٣ الدار الجامعية بيروت ١٩٨١ .

(٤) F.O 371 doct 20066 le 24 Novembre 1936 P.46 .

يحقق الاستقرار . تستهجن بأن فكرة الوحدة تحارب بالحديد والنار . طرابلس هي الأم لسوريا ، نرجو رفع احتجاجنا إلى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم» [5] .

وفي التاريخ نفسه وجه الشباب الوطني في اللاذقية البرقية التالية :

«الموت والنفي والرعب لا يمنع الساحل السوري من الوحدة . تحتج اللاذقية على اعتقال زعماء طرابلس وشبابها . نرجوكم رفع احتجاجنا إلى وزراء الخارجية وعصبة الامم» التوقيع ماجد صافية [6] .

أسفرت الاضطرابات عن اجراءات اتخذها المفوض السامي الفرنسي ورئيس الجمهورية اللبنانية لتبديد مخاوف الطرابلسيين مما يخشونه من التفسير الذي سيعطى للمعاهدة . ففي ٢٤ تشرين الثاني دعي المجلس النيابي اللبناني للاجتماع بغية درس السبل لتطبيق بنود المعاهدة في محاولة لارضاء المسلمين عبر تنفيذ ما يلي :

- الغاء العشر .
- توحيد نظام الضريبة [7] .

من ناحية أخرى شكلت الحكومة اللبنانية لجنة للنظر في مسألة الاصلاح الاداري للعمل بمضمون الرسائل ٦ و ٦ مكررة الملحقة بالمعاهدة . وطلب من اللجنة أن تعطي أولوية لمعالجة شؤون طرابلس .

بقيت الأحزاب العلمانية ، الشيوعيون والقوميون السوريون ، على تبنيها للوحدة بين سوريا ولبنان وان كانت مواقف كل منها عرضة لتغييرات تبعاً للخط السياسي ولتكتيكه . لم تكن للحزب القومي مواقف متشددة في معارضة المعاهدة اللبنانية الفرنسية . ويحتمل أن هذا الموقف املاه مضمون المحادثات السرية بين رئيس الجمهورية إميل اده ورئيس الحزب انطون سعادة مقابل الافراج عن معتقلي الحزب . فبشأن الأحداث التي أعقبت توقيع المعاهدة دعا الحزب إلى السكينة دون التلميح للمعاهدة باعتبارها مصدراً لهذه الاضطرابات وذلك في بلاغ إلى الشعب جاء فيه :

(٥) C.P.M No1955 le 23 Novembre 1936 (S.D.N) Genève.
التوقيع حميد ابراهيم باشا

(٦) التوقيع ماجد صافيه Idem.

(٧) M.A.E.F. rapport a la S.D.N en 1936 P. 13

« . . . إن الأسباب التي أفضت ليلة البارحة إلى الاضطرابات هي نفسها ما برحت تتخذ حجة على تقهقر البلاد الاجتماعي والقومي وتجعل منا جميعاً مطية هينة للفاتحين الاستعماريين منذ أقدم العصور . ثم أن هذه المناورات الاستقلالية الدامية لا تفيد . أن الذين أثاروها أمس ليسوا ابناء امة واحدة ولو كرهوا ولن يكرهوا . . .

أيها الشعب الكريم .

عد إلى السكينة وانبذ الأحقاد فلا عيش ولا حرمة إلا بذلك» (٨) .

أما موقف الحزب الشيوعي فكان مع استبدال الانتداب بمعاهدة على أسس تأخذ بالاعتبار شد أواصر الصداقة بين الشعبين السوري والفرنسي . ذلك ما أشار اليه أحد بيانات الحزب «يطلب الشعب السوري معاهدة صداقة ومساواة مع الشعب الفرنسي ، معاهدة تحفظ الاستقلال وتصون وحدة الشعب السوري وتضع حداً لنظام الانتداب» (٩) .

لكن في تقرير رفعته المفوضية الفرنسية في بيروت إلى لجنة الانتداب الدائمة في جنيف أشارت إلى أن الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان علل الخلايا الحزبية موافقته على مضمون المعاهدة السورية ومعارضته للمعاهدة اللبنانية الفرنسية (١٠) .

نجحت سياسة الترغيب والترهيب التي لجأت اليها المفوضية العليا مع القيادات الاسلامية في تليين مواقفها من مسألة الكيان اللبناني والانخراط في النظام الطائفي فيه . لكن قادة طرابلس استمروا على موقفهم بالانضمام إلى سوريا . وتعزز هذا الموقف بعد قرار عصبة الأمم بمنح لواء الاسكندرونة ، ذات المنفذ المهم للتجارة السورية ، استقلالاً ذاتياً تمهيداً لالحاقه بتركية . فشكل ذلك حافزاً لسوريا للمطالبة مجدداً بضم طرابلس كمنفذ لها على البحر لأنه لم يبق لها سوى ميناء اللاذقية الرملي والذي لم يكن مؤهلاً بشكل كاف للملاحة البحرية . وقد سافر لنفس الغاية وفد طرابلسي إلى باريس لتجديد التحاقهم بسوريا (١١) . أثناء إقامة الوفد سرت شائعات عن نتائج ايجابية للمباحثات مع المسؤولين الفرنسيين. وأخذت الشائعات على محمل الجد في أوساط المؤيدين للكيان اللبناني . فأعلنت

(٨) ملحق العدد ٤ من جريدة آخر الأخبار الطرابلسية ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٦ الامضاء : مصطفى المقدم - صلاح لبكي - عبد الحكيم مراد الحسيني - جورج حداد ومأمون أياس.

(٩) Amine Moustapha: Le developpement des partis politiques en Syrie entre 1936 - 1947 thèse droit P. 177 . Paris 1950.

(١٠) M.A.E.F. Rapport à la S.D.N. en 1936 P. 50 .

(١١) Revue Asie Française Juin 1937 P. 143 .

منظمة الكتائب و حزب الوحدة اللبنانية عن رفضها لاقتطاع اجزاء من لبنان في حين لا يدافع عن الاسكندرونة ، وهددا بالقيام بتظاهرات احتجاجاً . لم تهدأ الضجة إلا بعد تكذيب الحكومة لتلك الشائعات واعتبرتها في بيان لها عارية عن الصحة لأن وحدة الأراضي اللبنانية مضمونة بعقد رسمي مع الحكومة الفرنسية .

أخيراً بقيت طرابلس جزءاً لا يتجزأ من لبنان . ذلك لم يكن فقط رغبة الحكومة اللبنانية بقدر ما كانت تتطلبه مستلزمات الاستراتيجية الفرنسية في الشرق الأوسط . فقد أشار الجنرال ويغان في مقال له إلى أهمية طرابلس للقوة البحرية الفرنسية في الشرق وجاء فيه «كونها مركزاً ساحلياً مستقيماً تشكل حماية لخطنا الجوي في الشرق الأقصى . . . وهي نقطة انتهاء الخط الفرنسي لأنابيب النفط الآتية من الموصل . مرساها مصان من رياح الجنوب والشرق .

إن سلسلة الجزر التي تبدأ من رأس الميناء امتداداً إلى الشمال صالحة لإقامة حاجز بسيط ولانشاء رصيف عامودي على الشاطىء يضم حوضاً يتراوح عمقه بين ٥ أو ٦ أمتار ، فيصبح جاهزاً لأعداد ميناء بحري وكذلك جوي . ان شكل الشاطىء وموقع الجزر يساعد على انشاء حوض بحري مسلح فضلاً عن أن المنطقة المحيطة بالمدينة صالحة لتجهيز منشآت دفاعية من ناحية البر .

رغم الصعوبات الناجمة عن انفصالها تبقى طرابلس لبنان تتمتع بميزة من الشروط الملائمة لانشاء قاعدة فرنسية جوية وبحرية في منطقة التوسط .

ترافق الاهتمام بتطوير مرفأ بيروت وانشاء قاعدة بحرية وجوية فرنسية في طرابلس مع انشاء سوق للتجارة الحرة في لبنان . هذا يعطي لسوريا منفذاً بحرياً طالما طالبت به» (١٢) .

مع ذلك يبقى السؤال التالي : لماذا سلخت طرابلس عن سوريا لتلحق بلبنان مع أن كلا الدولتين واقعتان تحت الانتداب الفرنسي ؟ .

لا يمكن الإجابة على ذلك إلا انطلاقاً من الاستراتيجية الفرنسية الشرق أوسطية التي تعتبر لبنان بخلاف سوريا ضمانة أساسية لصون مصالحها في الشرق حيث أن الأكثرية المسيحية لا ترى تعارضاً بين مصالحها والوجود الفرنسي في بلادها . بالمقابل لم ينفك السوريون يحاربون الاستعمار الفرنسي على اراضيهم في كل مناسبة تسمح بذلك .

(١٢) Revue des deux mondes Avril 1937 P.P.534-535 Paris .

في الواقع أن الاعتراض على توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية لم يقتصر على جماهير الشارع الاسلامي بل أن القيادات فيه ، وان رفضت الاسلوب الذي اتبع في التعبير عن المعارضة ، كانت من حين إلى آخر ترفع الصوت للمطالبة بإزالة العنف في بعض المناطق ورفض للهيمنة الطائفية .

ففي إحدى المناسبات صرح متحدث باسم المجلس القومي الاسلامي بما يلي : «العدالة التي يأملها المسلمون لا تنحصر فقط بتوزيع الوظائف . يأملون عدالة أكثر شمولية وذات دلالة . يطلبون المساواة مع الآخرين ، فيما يختص بالضرائب ، الاتفاق ، مشاريع ذات منفعة عامة . لا يريدون أن يكون عليهم الواجبات ، في حين أن غيرهم له كل المنافع» [١٣] .

أعقب ذلك رفع مذكرة من المجلس إلى المفوضية الفرنسية في بيروت حيث عرضت لحالة الحرمان في بعض المناطق الاسلامية . واتهمت الحكومة اللبنانية بتكريس مبالغ طائلة من الأموال للري وتحسين الحالة الاقتصادية لفئة من السكان ، على حساب بعض القرى وآلاف من سكان جبل عامل والبقاع وعكار المحرومة من مياه الشرب . هذا الواقع من تغليب المصلحة الطائفية على المصلحة الوطنية أوقعت اللبنانيين في خضم الشائعات والممارسات الطائفية . من هنا يفسر سبب انخراط العديد من المواطنين في صفوف المنظمات الطائفية التي أخذت تقيم الاستعراضات شبه العسكرية وبمشاركة السلطة اللبنانية حتى أصبحت عيناً على النظام اللبناني ومسيرته ومصدراً للفتن والفوضى . بالطبع كان الانتداب الفرنسي المستفيد الوحيد من حالة الانقسام بين اللبنانيين وكان المشجع على إثارة الفتن الطائفية عبر ادواته المحلية وأجهزته .

(١٣) Revue Asie Française Mai 1937 P.160 Paris .

الفصل الرابع

النتائج السياسية لتوقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية

بعد إبرام المعاهدة في البرلمان اللبناني أعاد المندوب السامي العمل كلياً بدستور ١٩٢٦ مع تعديلاته . ثم حذر في تصريح له المعارضة من شل عمل الحكومة وأشار إلى أن ممارسة الرقابة البرلمانية يجب أن لا تسيىء إلى الاستقرار الوزاري وأن مصالح الشعب تفرض على المشرع صونها في القضايا المالية لأن المزايدات الديماغوجية تفرض مصاريف إضافية فضلاً عن أنها تحدث خللاً في الميزانية العامة . مع بداية هذه المرحلة الجديدة دلت الاتجاهات على مكافأة القيادات الاسلامية المتعاطفة والمشاركة في توقيع المعاهدة . بخلاف موقف رئيس الجمهورية اللبنانية إميل اده الذي كان يرغب في استئثار مسيحي لادارات الدولة ، فعارض إسناد رئاسة السلطة التشريعية إلى خالد شهاب . ويشير بشارة الخوري في مذكراته بأنه تدخل لدى المفوض السامي الفرنسي لصالح خالد شهاب لأنه «مثل الجهة السنية في المفاوضة لعقد معاهدة وتحمل مسؤولية تجاه طائفته ، فلا يجوز أن يضحى به ، ناهيك بأن اقصاءه عن رئاسة المجلس يفسره المفوضون بأن السلطة تجازيه على موقفه بنكران الجميل» [١] .

نجح الخوري في مسعاه وانتخب خالد شهاب رئيساً للمجلس النيابي ونجيب عسيران نائباً له وذلك في الجلسة المنعقدة في تشرين الثاني ١٩٣٦ .

في ٥ كانون الأول شكلت حكومة برئاسة خير الدين الأحدب وعضوية ابراهيم حيدر والأمير خليل أبي اللمع وحبيب أبي شهلا . اعتبرت الحكومة في بيانها الوزاري ان المعاهدة اللبنانية الفرنسية وإعادة العمل بالدستور رسخا أسساً جديدة وإلى الأبد بين الدولتين [٢] .

وعلى أساس ذلك نالت الحكومة الثقة في البرلمان بأكثرية صوت واحد مما جعلها عرضة للسقوط عند كل أشكال سياسي . من جهة أخرى تحفظ البطريرك الماروني على التوزيع

(١) الخوري، بشارة: حقائق لبنانية مصدر مذكور جزء أول ص ٢٠٥ .

(٢) Revue correspondance d'orient Janvier 1937 P. 89 .

الطائفي للرئاسات الثلاث لأنه اعطى مركزين رئيسيين للمسلمين . لكن لم تؤخذ هذه التحفظات على محمل الجد لأن الهم الأساسي للمفوضية الفرنسية كان ينصب على اضعاف التيار المناوىء للكيان اللبناني والوجود الفرنسي في الأوساط الاسلامية . على صعيد الممارسة كانت أولى المهام التي اضطلعت بها حكومة الأحدب هي خلق مناخ للتعايش الطائفي في لبنان فشجعت من وقت إلى آخر على لقاء وفد من الشباب المسلم ووفد من منظمة الكتائب باعتبارهما إطارين جماهيريين للطائفتين الاسلامية والمسيحية . كان الهدف هو السيطرة على الشارع عند الفريقين وضبطه عند الضرورة . توصلت هذه اللقاءات إلى وضع أسس لنشاط مشترك :

١ ـ تأسيس لجنة وطنية تسود نشاط الشباب حول مفهوم وطني صحيح بعيداً عن كل سياسة .

٢ ـ تنظيم اجتماعات ، رحلات ، احتفالات ، بما يسمح للشباب بالالتقاء والاختلاط [٣] .

رغم التوصل إلى الهدنة في الشارعين الاسلامي والمسيحي بقي الوضع الحكومي في لبنان يشهد حالة من عدم الاستقرار . ان الثقة بالحكومة وبصوت واحد في البرلمان جعلها عرضة للسقوط في آذار ١٩٣٧ بعد أن انتقل النائب رفعت قزعون إلى صفوف المعارضة واعقبها القاء متفجرات واطلاق نار على منزل رئيس المعارضة بشارة الخوري الذي وجه أصابع الاتهام إلى حكومة الأحدب . كان ذلك فرصة سانحة للمفوضية العليا لتزيد من تدخلاتها في شؤون الحكم وفرض توجهها على جميع الأحزاب باعتقادها أن الحرب الثانية واقعة . عدا عن أن الاستعمار يرغب أن يلتف حوله المناصرون إذا كان الثمن رخيصاً .

انتهت محصلة ما حدث بإقالة حكومة الأحدب ليطلب منه مجدداً إعادة تشكيل حكومة «اتحاد وطني» تضم وزيرين لكتلة إميل اده واثنين لكتلة بشارة الخوري . في ١٧ آذار منحت الحكومة الثقة باجماع النواب بعد أن أخذت على عاتقها مهمة إعادة اللحمة بين اللبنانيين واحداث اصلاحات اقتصادية كمشاريع الري في المناطق التي الحقت بلبنان عام ١٩٢٠ . وقد فشلت الحكومة في معالجة الشأن الاقتصادي وفي مقدمته قضية تجديد احتكار التبغ التي تهم فئات كبيرة من الشعب اللبناني .

في ٢٢ أيار ١٩٣٧ رفع رؤساء الطوائف الدينية المسيحية والاسلامية في الجنوب ببرقية إلى عصبة الأمم في جنيف ورد فيها : «إن احتكار التبغ المفروض على لبنان من قبل

(٣) Homet, Marcel: L'histoire secrète du traité Franco - Syrien Paris 1938 P. 220.

رأسماليين فرنسيين ومنتفعين محليين من الانتداب سلب من الشعب اخر مصدر معيشي له مما دفع بالمزارعين لانتفاضة بائسة . باسم رعيتنا وكبار المزارعين وأهلنا نطالب بالغائه» [٤] .

في ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٧ نشرت جريدة النهضة في لبنان نقلاً عن تقرير رسمي للحكومة اللبنانية أن حركة الأسواق التجارية كانت خلال الأسبوع الأخير في بيروت بطيئة بصورة عامة ولم يطرأ عليها تحسين يستحق الذكر . وما زالت الأندية التجارية متأثرة بهبوط قيمة الفرنك مما نشأ عنه تأخر في التجارة والصناعة ووقوف دولاب العمل . وجاء في تقرير رسمي من طرابلس أن الذعر دب في النفوس في الأسبوعين الأخيرين عندما عاد الفرنك إلى الهبوط فاجتاحت الأسواق التجارية موجة من القلق وخيبة الأمل . هذا ولا تزال أسعار جميع الحاجيات في صعود مستمر ويتلاعب التجار على هواهم في الأسعار [٥] .

أدى التدهور الاقتصادي إلى اعلان الاضراب في أكثر من قطاع احتجاجاً . وكان أبرزها واطولها اضراب نقابة السواقين رداً على القرار الذي اتخذته الشركات البترولية بزيادة أسعار البترول . كان لهذا الإضراب وقع سيىء على الحركة التجارية الخارجية والداخلية لأن التجارة مع سوريا وفلسطين كانت وقفاً على النقل البري . مع ذلك لم تكن المعالجات لحالة التدهور الاقتصادي بالمستوى المطلوب لأن لبنان كان يمر بمرحلة من عدم الاستقرار السياسي . فالحياة السياسية فيه أسيرة لرغبات سلطات الانتداب ومصالحها وكمحصلة طبيعية للصراعات بين القيادات السياسية المحلية للفوز بمنصب وزاري أو نيابي . وجاء الاعلان عن قرب اجراء انتخابات عام ١٩٣٧ ليصرف اهتمامات هذه القيادات نحو تأمين التحالفات وكسب رضى المفوضية العليا . فقد فضل بعضهم التوجه إلى العاصمة الفرنسية للوقوف على رأيها أو تأمين حيادها ما دام الصراع يقتصر على مؤيديها . في هذا الوقت اختار البطريرك الماروني عريضة السفر إلى الخارج في جولة تشمل الفاتيكان وباريس للوقوف على رأيها من الأحداث يرافقه عدد من المرشحين [٦] .

أثناء غياب رئيس السلطة التنفيذية إميل اده فتحت أزمة وزارية بوفاة النائب ميشال زكور حيث أعيد تشكيل حكومة بدون مشاركة الكتلة الدستورية . لذلك تجدد الصراع بين الكتلتين . اشتركت صحافة المعارضة في الحملة على حكومة الأحدب وطالبت باجراء

(٤) C.P.M. No1959 le 15 Mai 1937. Genève.

(٥) جريدة النهضة في ٢٣ تشرين الاول ١٩٣٧ .

(٦) F.O. 371 doct 20849 le 16 Avril 1937

انتخابات جديدة وتشكيل حكومة حيادية لتأمين سلامة الانتخابات. من جهته رأى اميل اده عند عودته إلى بيروت أن الضروره تقضي بتأمين أكثرية برلمانية إلى جانبه فأصدر مرسوماً في ٢٤ تموز ١٩٣٧ بحل البرلمان والدعوة إلى انتخابات عامة بعدما رفع عدد أعضاء المجلس من ٢٥ إلى ٦٠ نائباً (٧). علقت الحكومة قرار الحل بسبب تعرضها للسقوط بفضل صوت واحد. مع فتح المعركة الانتخابية راحت الشائعات من هنا وهناك تفعل فعلها حول موقف المفوضية الفرنسية. وضاقت باريس ذرعاً بتباين مواقف مؤيديها من اللبنانيين وبوفرة المشكلات التي يثيرونها فأوعزت إلى مستشاريها في بيروت للتوفيق بين القيادات اللبنانية. كما أوعزت إلى استخباراتها بأن تلوح بالنظام الملكي على سوريا وبأحد امراء المملكة السعودية ملكاً على الشام على أن يتولى الحكم أمير اجنبي في لبنان واوردت الصحف اسم أمير من أمراء المغرب هو ابن عياد، واضطر الرئيس إميل اده إلى محاربة أجنبية الحاكم (٨).

اغتنم رئيس الكتلة الدستورية بشارة الخوري وجود المفوض السامي الفرنسي في باريس فقصدها لتأمين حياده في الانتخابات خاصة وانه لم يكن يوماً من معارضي سياساتهم بشكل عام. ولتجنب الصراع بين انصارها اللبنانيين فرضت المفوضية العليا الفرنسية ائتلافاً بين لائحتي بشارة الخوري وإميل اده. فقد خصص للأول ٢٦ مقعداً نيابياً بينما حصل الثاني على ٣٤ مقعداً. لكن تبين في نهاية استعراض الأسماء أن هناك ثلاث شخصيات من أنصار الكتلتين لم يتوفر لهم مقاعد شاغرة في العدد المقرر وهو ٦٠ مقعداً. لذلك أمر المفوض السامي بزيادة عدد اعضاء المجلس إلى ٦٣ مقعداً (٩).

إن الائتلاف الذي فرضته المفوضية العليا لم يمنع من تقدم عدد من المرشحين سواء في لوائح أو إفرادياً. كان أبرز هذه اللوائح لائحة رياض الصلح والشيوعيين التي سميت باللائحة الديمقراطية (١٠).

أظهر سير العملية الانتخابية كم هي خادعة الضمانات التي قدمها المفوض الفرنسي بهدف اجراء انتخابات ديمقراطية. إضافة إلى فرض الائتلاف لجأت المفوضية العليا إلى الضغوطات والتزوير فضلاً عن تدجين الصحافة اللبنانية وذلك عندما فرضت على لائحة الائتلاف كثرة من المرشحين من عالم الصحافة. فقد فاز منهم ثمانية بينهم نائب سابق

(٧) M.A.E.F. Rapport à la S.D.N. 1937 P. 7 .

(٨) **وهبة، توفيق**: لبنان في حبائل السياسة مصدر مذكور ص ٣٠ .

(٩) F.O 226 doct 240 année 1937.

(١٠) Couland Jaques: le mouvement syndical au Liban 1919 - 1946 Paris 1970 p. 209.

وهم: غبريال خباز (الأوريان) شارل عمون (الجورنال) خليل كسيب (صوت الأحرار) جبران التويني (النهار) الكسندر بستاني (الاتحاد اللبناني). أما محمد الباقر صاحب جريدة البلاغ فقد سمي لمركز تفتيش. هذا وضم المجلس عدداً من الصحافيين: خير الدين الأحدب، حميد فرنجية، نادانجيان وخليل أبو جودة. ما تبقى من الصحف فكانت عرضة للتوقف بأمر من المفوض الفرنسي ولمدد مختلفة (١١).

تفاصيل تزوير الانتخابات وكيفية ممارستها وردت في مذكرة رفعتها اللائحة الشعبية إلى دي مارتيل وجاء فيها «يوم الانتخابات عزل بمكالمة هاتفية بهيج مزهر، مهندس الأشغال العامة وابن عم علي مزهر المرشح الدرزي في المتن. كذلك عزل فايز صقر من منصبه في التفتيش المركزي. جاء عزل الاثنين بناءاً لرغبة المفوضية لأنهما رفضا سحب ترشيحهما. كذلك أمرت المفوضية العليا رؤساء الأقلام بالتزوير لصالح مرشحيها. في بسكنتا يبلغ تعداد الناخبين ٥٤٢ صوتاً نالت لائحة الائتلاف ٨٣٧ صوتاً. خلال الحملة الانتخابية برز للقبضايات دور مهم في الأحياء وبايعاز من السلطة مع وعدهم بتغطية ممارساتهم المخالفة للقوانين. فقد قتل أحمد جلول، من أزلام رئيس الحكومة خير الدين الأحدب، المواطن رشيد اللوزي دون أن يتعرض للاعتقال لأن الرئيس الأحدب استصدر له مرسوماً كمفتش للقوات الجوالة بتاريخ سابق لوقوع الحادث. عندها اعتبر فعل جلول اثناء تأديته للخدمة وذلك ما برر عدم ملاحقته قانونياً» (١٢).

لم يؤد النجاح الذي حققه مرشحي لائحة الائتلاف في الانتخابات النيابية إلى استقرار حكومي بل استمر الصراع بين الكتلتين للفوز بنصيب كبير من مغانم السلطة. واستمر كذلك ارتفاع صوت القيادات الاسلامية مطالبة برفع الغبن اللاحق بالمسلمين ومناطقهم. فقد احتج وفد اسلامي برئاسة سليم علي سلام وعضوية الشيخ احمد عارف الزين لدى المفوض الفرنسي لناحية الاخلال بالالتزام بتطبيق المساواة بين الطوائف الدينية. من جهة أخرى طالب يوسف الزين من على منصة البرلمان بحقوق الشيعة برئاسة المجلس النيابي والتي كان يعتبرها أنصار اميل اده من حق الأرثوذكس (١٣).

طغى على الصراع بين اميل اده وبشارة الخوري سباق للفوز بتأييد رجال الدين

(١١) F.O 226 doct 240 en 1937 .

(١٢) انظر محضر جلسات المجلس النيابي جلسة ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٧ Idem.

(١٣) مجلة العرفان تشرين الثاني ١٩٣٨ الجزء السادس ص ٦٦١ .

الموارنة . فقد تفوق الخوري على خصمه نظراً للخلاف المستحكم بين الكنيسة المارونية ودي مارتيل الداعم لاميل اده . عام ١٩٣٨ وجه المطران مبارك انتقاداً لاذعاً لحكم اميل اده بسبب فرضه ضرائب جديدة وهدد بالعصيان المدني اذا لم تلغ (١٤) في الواقع لم تكن معارضة الكنيسة المارونية للمندوب السامي الفرنسي موجهة إلى سياسة فرنسا الشرق أوسطية بقدر ما هو موقف خاص ضد شخص دي مارتيل لأنه تجاهل في بعض الأحيان موقف البطريرك عريضة عندما اتخذ بعض القرارات المتعلقة بالشؤون اللبنانية . هذا الموقف كانت تدركه الحكومة الفرنسية ولهذا لم تأخذ المعارضة المارونية على محمل الجد بل على العكس كانت تحرص على تعزيز صداقتها مع الموارنة . فقد أوعزت المفوضية الفرنسية إلى مجلس النواب اللبناني في ٣٠ أيار ١٩٣٨ على تقديم فذلكة مشروع مرسوم يرصد ٥٠ ألف فرنك للبيت اللبناني الفرنسي . تم تأسيس هذا البيت باتفاق جرى بين وزارة الخارجية الفرنسية والممثل المعترف به في الحكومة اللبنانية لغبطة البطريرك الماروني في باريس . اتفاق يجيز تأجير عقار من عقارات الدولة الفرنسية شارع U.L.M وبإيجار قدره فرنك واحد في السنة ولمدة ٩٩ سنة وذلك لكي يوضع تحت تصرف الجمعية المدعوة المنزل الفرنسي اللبناني . وقد قضى القانون الفرنسي الصادر في ٤ حزيران ١٩٣٧ بتصديق الاتفاق .

إن جمعية المنزل الفرنسي اللبناني هي مؤسسة غايتها المحافظة على روابط الصداقة والثقافة المشتركة التي تربط لبنان بفرنسا وتوثيقها . ومن جملة مراميها ايجاد منزل يأوي اليه الفتيان اللبنانيون الذين يذهبون إلى فرنسا لتلقي العلم ويأوي إليه الفتيان الفرنساويون الذين لهم روابط تربطهم بلبنان . بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٨ . أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوماً اعتبرت فيه الجمعية المذكورة من المؤسسات ذات النفع العام . ويشرف على إدارة البيت لجنة مؤلفة من :

- الممثل المعترف به من الحكومة الفرنسية لغبطة البطريرك الماروني .
- ممثلين لوزارة الخارجية الفرنسية (احدهما من قسم افريقيا الشرق والثاني من قسم المدارس والمؤسسات العلمية الفرنسية) .
- ثمانية اعضاء ينتخبهم الأعضاء السابقون من الشخصيات المعروفة بتخصصها في المسائل الشرقية وبمؤهلاتها المالية واخلاصها للصداقة الفرنسية اللبنانية) (١٥) .

(١٤) Revue Asie Française Decembre 1938 P. 93 Paris .

(١٥) محضر جلسات المجلس النيابي .

في مطلع العام ١٩٣٩ قررت الحكومة الفرنسية استبدال مفوضها دي مارتيل بمفوض آخر هو غبريال بيو . أعلن هذا الأخير في أول تصريح له أن فرنسا مصممة على البقاء في لبنان لتظهر مرة أخرى عربون صداقتها له ولحفظ الأمن للمستقبل (١٦) . استقبل المفوض الفرنسي المعين باجماع مجلس النواب اللبناني باقتراح تقدم به بشارة الخوري يؤكد ارتباط لبنان الدائم مع فرنسا وثقته بجيشها حامي البلاد . علل الخوري اقتراحه بقوله «ان دواعي ثقة واعتزاز لبنان هو ارتباط مصيره في الماضي والحاضر والمستقبل بدولة عظمى ، بأمة نبيلة ، التي دائماً تقدم كل العناية بالضعفاء وتؤمن للذين يضعون الثقة فيها السلام والسعادة . أولى واجباتنا التعاون بكل قوتنا الاخلاقية والمادية بدون تخلف أو تحفظ مع فرنسا في إتمام العمل الشاق الذي يحتم عليها وعلى حلفائها» (١٧) .

تزامن وصول المندوب السامي الفرنسي بيو إلى المشرق مع استعدادات فرنسية عسكرية لاحتمال نشوب حرب عالمية ثانية في أوروبا ومع احتمال امتدادها للشرق . إذن كان على بيو اتخاذ اجراءات في لبنان تتماشى والمستجدات خاصة وأن باريس كانت قد أوعزت لأصدقائها من اللبنانيين القاطنين في باريس : خيرالله خيرالله وجورج سمنة صاحب مجلة مراسلات الشرق أن يعيدا فتح مكتب الجمعية العربية ، التي كانت تعمل ضد العثمانيين وتحرير الشعوب العربية ، للعمل على استرجاع ما خسرته فرنسا من نفوذ أدبي في البلدان العربية . لذلك عزمت المفوضية الفرنسية على أن يكون لها الاشراف المباشر على السلطة في المشرق بعيداً عن المشاحنات السياسية بين مختلف الكتل والأحزاب . اوعزت إلى مناصريها وخاصة في الصحافة لشن حملة على سوء الادارة اللبنانية والمطالبة باصلاحات . وتجاوباً مع رغبة المفوضية تلقى المندوب السامي بيو رسالة باسم ٢٢ ألف كتائبي تقول «تجربة أكثر من عشرين سنة اثبتت بصورة جازمة عدم امكانية كل تعاون في إطار النظام الحالي ومع الشخص الذي يمثل هذا النظام . اظهرت المطالب التي اجمعت عليها الأمة اليوم ضرورة اصلاح راديكالي للمؤسسات أو تغيير شامل للشخصيات السياسية التي ترتبط به» (١٨) .

يوم نشوب الحرب العالمية الثانية في ٢٣ أيلول ١٩٣٩ شاءها المندوب السامي الفرنسي فرصة لوقف العمل بالحياة الدستورية بحل المجلس النيابي وباسناد السلطة التنفيذية إلى مستشار فرنسي يساعده مديرون .

(١٦) Revue correspondance d'orient Janvier 1939 P. 30 Paris .

(١٧) Idem Avril 1939 P. 164 .

(١٨) Gemayel, Pierre: Connaissance des Kataebs.Op. cité P. 89 .

الفصل الخامس

المعاهدة اللبنانية الفرنسية
بين مؤيديها ومعارضيها في فرنسا

تشترط المعاهدة بين لبنان وفرنسا موافقة برلماني البلدين لتصبح نافذة المفعول . في حين صادق البرلمان اللبناني عليها بعد توقيعها باسبوعين لم تخرج المداولات بشأنها عن نطاق لجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية . بل في أكثر من مناسبة اظهرت وسائل الاعلام المرتبطة باليمين الفرنسي عن تمسكها بصيغة الانتداب على بلدان المشرق كما أقر في عصبة الأمم باعتبار أن كل مطلب يحققه الوطنيون هو نكسة للمصالح الفرنسية في هذه المنطقة بعد توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية أبدت جريدة Le Temps عن قلقها تجاه تراجع النفوذ الفرنسي في بيروت لأن «أكثر من مائة محامي لبناني رفضوا توقيع عريضة تدعم استعمال اللغة الفرنسية في المحاكم . هذا الموقف يشير إلى حالة التراجع للثقافة الفرنسية في الشرق وانتقاص واضح لنفوذ وهيبة فرنسا . مع ذلك نحن لا نشكك باخلاص دي مارتيل الذي حافظ على مصالحنا الثقافية والمعنوية في الشرق إلى جانب دفاع رئيس الجمهورية اللبنانية إميل اده الشجاع عن مصالحنا ولغتنا ومواقفنا» (١) .

كذلك خطّأ رينه سيفي مراسل جريدة «كانديد» الباريسية ليون بلوم في السياسة التي اتبعها بعقد معاهدتي الصداقة مع سوريا ولبنان لأن البلدين لا يستتب الوضع فيهما إلا اذا كان على رأسها قائد عسكري كالجنرال ويغان المعروف بميوله الاستعمارية (٢) .

من استعراض المصادر المختلفة الفرنسية يلاحظ أن انتقادات اليمين الفرنسي انصبت بشكل أساسي على المعاهدة مع سوريا فيما سجل موافقة كاملة على المعاهدة مع لبنان . فسكرتير لجنة العلاقات الخاصة في البرلمان الفرنسي ونائب الأرديش طالب بضرورة وجود معاهدة لكن معاهدة فدرالية بدل معاهدة توحيدية أي معاهدة مع الأمة الدمشقية ، الأمة

---

(١) Le journal «Le Temps» le 18 Decembre 1936 .

(٢) جريدة صوت الشعب ١٥ ايار ١٩٣٧ بيروت .

الحلبية ، الأمة العلوية ، الأمة الدرزية وامة الجزيرة[٣] . أما النائب لوسيان هربرت فقد أشار في مداخلته أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الفرنسي أن المعاهدتين مختلفتين من حيث خدمة المصالح الفرنسية . «ان المعاهدة السورية حدّت من نشاطنا في بلد لم يعد انتدابنا مقبولاً فيه . بينما تدعم المعاهدة مع لبنان مؤسساتنا في بلد لنا فيه مصالح معنوية وعسكرية مهمة»[٤] .

جاءت حملة اليمين الفرنسي على المعاهدتين متزامنة ومتوافقة مع إعلان مواقف وتحركات لقوى سياسية لبنانية . في النادي الكاثوليكي في حلب أنكر المطران مبارك في خطاب له أن تكون الجبهة الشعبية تمثل كل فرنسا . وأثناء زيارته لباريس أبدى اميل اده ، وفي أكثر من مناسبة ، تمسك لبنان بالتحالف مع فرنسا . ومما قاله «نحن اللبنانيين نعرف أن استقلالنا الوطني غير قابل للحياة الا في إطار التحالف مع فرنسا . بالنسبة لكم انتم الفرنسيون يشكل موقع لبنان الجغرافي المميز مركزكم الأساسي للاشعاع وقاعدة لكل توسع ثقافي وسياسي واقتصادي في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى»[٥] .

حينئذ تولت الصحف اللبنانية المرتبطة بالمفوضية العليا الفرنسية الحملة على المعاهدة اللبنانية الفرنسية . فقد نشرت جريدة «لاسيري» العناوين التالية لمقالات النائب جاك ثابت .

- نحو مغامرة خطرة ولّدت المعاهدة اللبنانية الفرنسية اخطاراً .
- اذا اقتضى الواجب أن تكون مصدقة ومطبقة ؟ بلا ريب السباق إلى الهلاك[٦] .

على صعيد آخر قامت لجنة برئاسة الدكتور انطوان شلفون بحملة في الشارع المسيحي تأييداً لبقاء لبنان تحت الانتداب الفرنسي . بعثت اللجنة بعدة عرائض إلى عصبة الأمم في جنيف تعترض فيها على توقيع المعاهدة بين لبنان وفرنسا . وقد جاء في العريضة المؤرخة في ٢٧ كانون الأول ١٩٣٧ وباسم ٦٠ ألف لبناني «ان لبنان لم يبلغ بعد درجة الرشد السياسي وهو بحاجة أكثر من أي وقت مضى للبقاء تحت سلطة الانتداب . بدون تواجد الكونت دي مارتيل الفرنسي ومستشاريه ستتحول الاصطدامات إلى مذابح»[٧] .

(٣) Revue de la nation arabe No 21 Septembre, Octobre, Decembre 1938 P. 1178 Genève.
(٤) Vienot. P. Haye H: Les relations de la France et de la Syrie O.P. cité P. 16.
(٥) Le journal «Le Temps» le 26 Juin 1937 .
(٦) Tabet, Jacques: Pour sauver l'entente Franco - Libanaise Paris 1937 .
(٧) C.P.M. No 2041 le 8 Juin 1938 (S.D.N) Genève.

أعقب هذه الحملة ضد المعاهدة اكتشاف مؤامرة على رأسها الدكتور شلفون ، حزيران ١٩٣٨ ، وهي مجهزة بالسلاح وقصدها قلب الحكومة اللبنانية والمناداة بحاكم فرنسي . قبض على أكثر المشتركين فيها واودعوا في السجن رهن التحقيق .

لم تستبعد المصادر المتعددة أن تكون الأجهزة الفرنسية وراء حركة الشلفون رغم أن مصادر أخرى تشير إلى فريق آخر مرتبط بهذه الأجهزة إشارة إلى الحزب السوري القومي لأنه ورد اسم أحد اعضائه شريف الانصاري من صيدا مشتركاً في حركة الشلفون[٨] .

وحسب مصادر الحزب السوري القومي فان انطون سعادة كان على علم بالمحاولة قبل وقوعها وقد كتم السر ولم يخبر به أحداً .

لم تكن حملة اليمين الفرنسي على المعاهدة مع سوريا ولبنان احياناً تنبع بشكل أساسي من تعاظم دور الوطنيين في البلدين بل في جانب كبير منه خوفاً على تقلص النفوذ الفرنسي في الشرق لصالح نفوذ بريطانيا فيه . وكانت اجهزة الأخيرة قد سربت معلومات عن مشروع جديد يعد لوحدة بلاد سوريا . وما كان ينتظره البريطانيون رصد ردة الفعل الفرنسية على ذلك . ما تسرب من المعلومات عن هذا المشروع هو ايجاد حل لمشكلة الأقليات في الشرق . وقد أخذت هذه معلومات على محمل الجد حتى راح أكثر من قلم يحذر من خطورتها . خلال شهر كانون الثاني ١٩٣٨ نشر رئيس عصبة العمل القومي علي ناصر الدين عدة مقالات تحمل العناوين التالية :

- مؤامرة رهيبة يجب أن يعرفها كل عربي .
- لعبة مجرمة وراء الستار .
- تعديل المؤامرة أخطر من المؤامرة ذاتها[٩] .

كشف علي ناصر الدين في هذه المقالات عن وجود مخطط لخلق دويلات طائفية في الشرق الأوسط وان لندن وباريس هما وراء هذا المخطط بالتآمر مع بعض القيادات اللبنانية . وتتلخص المؤامرة بثلاث مراحل :

١ - نقل المسلمين اللبنانيين إلى داخل سوريا .
٢ - احلال الأقليات المسيحية في سوريا مكان المسلمين اللبنانيين .
٣ - دخول مشروط للصهاينة إلى لبنان .

(٨) جريج ، جبران : مع انطون سعادة جزء ثاني ١٩٧١ بيروت ص ٩٦
(٩) ناصر الدين ، علي : هكذا كنا نكتب ص ١٥١ - ١٥٩ بيروت ١٩٥٢ .

وتولت بعض الصحف الفرنسية نشر مضمون هذه المخططات ففي آذار ١٩٣٨ اعلنت مجلة (آسيا الفرنسية) أن «مخططاً لفدرالية عربية بعث من جديد في هذه الأيام» . جاء ذلك نقلاً عن بعض الصحف البريطانية Daily Mail و Times كتبت الأولى «تتردد فرنسا في قبول المخطط ولكن نعتقد بأنها لا تتردد إلى وقت طويل . وولادة دولة عربية تضم سوريا وفلسطين والأردن توافق فرنسا وكذلك بريطانيا . إنها فرصة مناسبة لأن هذه الولادة ستقود إلى توحيد السياسة الشرقية للامتين الكبيرتين في أوروبا» . أما Times فاعتبرت «ان ولادة دولة من خمسة ملايين مواطن ستثير ارتياحاً لدى العرب وستنشأ علاقة وثيقة للتعاون بين بريطانيا العظمى وفرنسا لافشال المخططات الألمانية في الشرق الأوسط» (١٠) .

في شهر حزيران كشفت جريدة L'ordre الباريسية عن اخبار مصدرها المانية تشير إلى مخطط بريطاني لتقسيم سوريا بحيث تعطى الاسكندرونة إلى تركيا وتخضع منطقة الجزيرة لسيادة ثلاثية بريطانية فرنسية ايطالية . ما تبقى من سوريا يضم إلى فلسطين وشرقي الأردن لتشكل دولة عربية خارج الانتداب الانكليزي . وتضيف الجريدة أن وزير خارجية فرنسا عارض هذا المشروع عندما التقى السفير البريطاني في باريس .

في القدس وجد المطلعون السياسيون أن هذا المشروع مقبول من وجهة نظر السياسة البريطانية . وبالتالي يخدم الوفاق بين الدول الاستعمارية في هذه المنطقة . لكن تبقى موافقة فرنسا على مسائل ثلاث حتى يأخذ المشروع طريقه إلى التنفيذ :

١ ـ اعطاء سنجق الاسكندرونة للأتراك حتى يبتعدوا عن المانيا الهتلرية .

٢ ـ اشتراك بريطانيا باستغلال آبار النفط في منطقة الجزيرة بسوريا .

٣ ـ تمركز فرنسا في لبنان وهذا لن يتعارض مع المصالح البريطانية (١١) .

في الواقع لم تكن هذه المخططات المشار اليها بعيدة عن كواليس السياسة البريطانية تجاه بلدان المشرق وذلك بالتنسيق التام مع الهاشميين في عمان وبغداد . ولم تدخر لندن فرصة سانحة لها في ذلك الوقت وبعده إلا وحاولت استغلالها لتحقيق هدفها للسيطرة على المنطقة بأكملها واستبعاد فرنسا منها . لكن وجود معضلتين أساسيتين حال دون خروج أي مخطط إلى النور :

---

(١٠) Revue Asie française Mars 1938 P. 336 Paris .

(١١) le Journal «L'ordre» 17 Juin 1938 Paris.

١ ـ تمسك فرنسا بوجودها في سوريا ولبنان باعتبارهما المجال الحيوي لمصالحها في الشرق . وقد دعا الجنرال ويغان إلى تثبيت الوجود الفرنسي في لبنان لأنه يشكل منطلقاً لها تجاه بلدان الشرق الأوسط «فاذا ما حصل فراغ وشغل من قبل الغير ، عندها يتلقى النفوذ الفرنسي في المتوسط ضربة لا تعوض» (١٢) .

٢ ـ رفض المسيحيون في بلدان المشرق وخاصة الموارنة ابدال السيطرة الفرنسية بالسيطرة الانكليزية وهذا موقف تاريخي فرضته ظروف جمعت بين الفريقين عندما كانت فرنسا حامية الكثلكة في العالم .

في ظل الهجوم الذي شنه اليمين الفرنسي على المعاهدتين عجزت حكومة ليون بلوم الاشتراكية من اقرارهما في الجمعية الوطنية لأن الوقت القصير الذي أمضته في الحكم واجهت فيه مصاعب كثيرة على الصعيد المحلي وبالتالي لم يسمح لها بمعالجة مسألة المعاهدتين . وبفشل الجبهة الشعبية في الانتخابات وعودة اليمين المتطرف إلى الحكم استردت الروح الاستعمارية زخمها السابق وباتت السياسة الفرنسية في بلدان المشرق أسيرة للطروحات السابقة «كالحق التاريخي» لفرنسا في هذه المنطقة .

في أثر هذه المتغيرات السياسية أوفدت الحكومة السورية رئيسها جميل مردم ووزير الخارجية إلى باريس بقصد السعي لتقديم المعاهدة مع سوريا إلى البرلمان الفرنسي ، فبقيا مدة دون أن يحصلا على وعد قاطع . في أواخر العام ١٩٣٨ ظهرت النوايا الفرنسية من خلال احداث جرت في بلاد المشرق بما يبرر عدم تصديق المعاهدتين . فقد أوعزت المفوضية الفرنسية للموالين لها من الآشوريين بالعصيان في محافظة الجزيرة . فقامت تلك العشائر بأعمال استفزازية ضد الحكومة حتى كادت ذات مرة أن تلقي القبض على المحافظ حيدر مردم . كذلك كان الأمر ، وانما على سوية ادنى في محافظتي اللاذقية وجبل الدروز . فقد طرد المحافظان احسان الجابري ونسيب البكري واضطرا للعودة لدمشق» . وساءت الأحوال في جميع الانحاء . وفي الفترة نفسها قامت مظاهرات في محافظة الاسكندرونة مطالبة بالالتحاق بتركيا . وافق الفرنسيون مع الحكومة التركية على اجراء استفتاء في تلك المحافظة . وحمي الوطيس بين المنتمين للأتراك من جهة ، والفريق الذي يطالب بابقائها مرتبطة بسوريا ، وهو مؤلف من العناصر العربية المسلمة والمسيحية ومن الأرمن الذين ابعدوا إلى اللواء خلال الحرب العالمية الأولى .

---

(١٢) Revue «des deux mondes» Avril 1937 P 521 .

ويشير رئيس وزراء سوريا الأسبق خالد العظم إلى أنه «بذلت الجهود سخية ، غير أن المندوب الفرنسي هناك كان يعمل لصالح الأتراك وانتهت عمليات الاستفتاء ، فحاز الأتراك على أربعين بالمئة من الأصوات وتقاسم الأصوات الباقية السوريون والأرمن . ومع أن المنطق كان يقضي باعتبار الأكثرية تريد بقاء الحال ، فان الأتراك ادعوا بانهم حصلوا على أصوات تفوق عددياً أصوات كل فريق من العرب والأرمن» [١٣] .

ما جرى في سوريا كان له وقع على لبنان . ففي أعقاب احداث الجزيرة الطائفية طلب الكاردينال تبوني بفصل الجزيرة عن سوريا «لأن ١٥٠ ألف مسيحي في هذه المنطقة لا يريدونها بل يطالبون بحماية فرنسا» [١٤] تبع ذلك الدعوة إلى مؤتمر مسيحي عام حيث رفع المجتمعون مذكرة إلى المفوض الفرنسي في بيروت وجاء فيها «من وجهة نظر دينية ومن وجهة نظر امنية يبقى التواجد العسكري الفرنسي هو المؤهل الوحيد لايقاف إراقة الدماء عند وقوع انتفاضة أو عدوان . . . هذا الوجود ضروري أيضاً لحماية مؤخرة الجيش الفرنسي المتمركز في لبنان ولحماية استثمار البترول الذي يصل طرابلس» [١٥] . انطلاقاً من هذه السياسة (فرق تسد) شجعت المفوضية العليا الفرنسية الآباء اليسوعيين على تأسيس جمعية باسم «رابطة الكتاب» مقدمين لأفراد هذه الجمعية التسهيلات المادية والمعنوية بغية تمكينها من النجاح في مهمتها . ولم يكتفوا بذلك بل لجأوا إلى تأسيس نادي العمال المسيحيين باشراف الآباء اليسوعيين بغية جذب عمال مختلف المهن إلى هذا النادي .

استغل اليمين الفرنسي صدامات الجزيرة وغيرها من الأحداث في بلدان المشرق فشن حملة عنيفة على سياسة حكومة ليون بلوم السابقة لانتهاجها سياسة تساهلية تجاه سكان المستعمرات لأنهم لم يظهروا اهليتهم لحكم أنفسهم .

بالمقابل دخلت احزاب الجبهة الشعبية الفرنسية في جدال مع احزاب اليمين ومن على صفحات جرائدهم دفاعاً عن المعاهدتين اللبنانية والسورية . لم تكن وجهات نظر هذه الأحزاب متفقة في العمق وان اتفقت في التوجه العام وذلك تبعاً للخط السياسي لكل منها :

اتسمت مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي بتبني وجهة نظر الوطنيين في سوريا ولبنان فقد غطت صحيفتهم «L'humanité» بكثير من التوسع الأخبار المتعلقة بأحداث البلدين،

(١٣) العظم، خالد: مذكرات، ثلاثة أجزاء الدار المتحدة للنشر ١٩٧٣ بيروت ص ١٨١ - ١٨٢ .
(١٤) Revue de la nation arabe Mai - Juin - Juillet - Aout 1983 N 18 - 19. P 1041 Genève.
(١٥) Revue de la Tribune des nations le 3 Novembre 1938 N 209 Paris .

فبعد ثلاثة أيام على توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية أثارت الجريدة الشكوك حول النشاط المريب لممثلي الانتداب في المشرق وجاء فيه «الذي قاد المحادثات باسم الجمهورية الفرنسية لا يريد أن يأخذ بالاعتبار رغبات الشعب المسلم . لقد بعث حالة من التوتر وأثار المظاهرات وأمر باطلاق الرصاص على التجمعات ونظم اعنف عقاب باسم العدالة لهم . . . ذلك لا يدهشنا لأن المفوض السامي ، مسؤول عن حالة التدهور ، ويسمى دي مارتيل هو ذاته وصفته جريدة Populaire ، ليس بمدة طويلة ، بأنه رجل الكارثة الذي دمر نهائياً النفوذ الفرنسي في الشرق» [١٦] .

في أيار ١٩٣٨ وصل النائبان الشيوعيان ، جاك غريزا وفرجيل باريل ، إلى بلدان المشرق للتحقق ميدانياً من الوضعية العامة في لبنان وسوريا . في ختام زيارتهما أعلنا عن انطباعهما في مقابلة اجرتها معهما جريدة «صوت الشعب» وجاء فيها «كانت جولتنا قصيرة ودراستنا وابحاثنا سريعة . لكننا تحدثنا إلى عدد كبير من الناس من مختلف الطبقات والجماعات ولذا ترانا واثقين من الاطلاع التام على حالة الشعب الفكرية . وفي استطاعتنا القول أن الأصوات المطالبة بالتصديق على المعاهدتين الفرنسية السورية والفرنسية اللبنانية تتصاعد من كل جانب» .

حول فتنة الجزيرة اجاب النائبان «لا ريب أن أمام حكومة دمشق مهمة صعبة لكنها تستطيع التغلب على الصعوبات بشيء من المرونة من قبل ممثليها . ولكن لأجل ذلك يجب أن تصرح المفوضية علناً بضرورة استتباب النظام والهدوء وبأن المعاهدة أمر لا بد منه ، وان تؤكد بأنها تضع أمام ضباط المصالح الخاصة مهمة العمل في هذا الاتجاه ، وعدم تحبيذ الحركات الانفصالية» [١٧] .

أما موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي وقعت في أيام حكمه المعاهدتان فلم يخرج في سياسته تجاه سوريا ولبنان عن توجهات اليمين الفرنسي وان اختلفت في طرق معالجتها . فقد حرص سكرتير الدولة الفرنسي للشؤون الخارجية فينو على تأمين ما يدعوه حقوق الأقليات المسيحية في الشرق عبر تمسكه بفصل لبنان عن سوريا في كل الميادين حتى يضم اكثرية مسيحية . كشف فينو عن ذلك عبر سلسلة مقالات نشرتها جريدة Populaire خلال شهر كانون الثاني ١٩٣٩ وجاء في احداها : «كان من الضروري بالنسبة لنا السهر بجدية

(١٦) Le Journal «L'humanité» 15 Novembre 1936 Paris .
(١٧) جريدة صوت الشعب ٤ حزيران ١٩٣٨ بيروت .

لتنظيم قوي لاستقلال لبنان حيث الأهمية لنا أساسية . فالمحادثات التي اجريناها حول هذا الموضوع كانت بالغة الصعوبة حتى استطعنا الحصول على فصل كامل للدولتين وعارضنا بشدة كل محاولة سورية لوضع اليد سياسياً واقتصادياً على لبنان» . وأضاف «فيما يتعلق بالأقليات المسيحية حلت المسألة بشقها الأكبر ، بالشكل الذي اتبع لإزالة الانتداب . يعني ذلك فصل لبنان عن سوريا لربطه بمعاهدة خاصة مع فرنسا . فمن أصل ٦٢٠ ألف مسيحي يسكنون دول المشرق يوجد ٤٣٠ الف (٢/٣) منهم داخل حدود لبنان»[١٨] .

مما تقدم يلاحظ أن معارضة اليمين الفرنسي تجاه المعاهدتين كانت تنصب بشكل أساسي على المعاهدة السورية الفرنسية . ولكن يبقى السؤال التالي : لماذا لم يوافق البرلمان الفرنسي على المعاهدة مع لبنان ويترك أمر معالجة المعاهدة مع سوريا إلى وقت لاحق ؟ المرجح أنه كان سهلاً على الانتداب الفرنسي فصل لبنان عن سوريا . لكن كان من الصعب فصل المصير المشترك للبلدين . فجذور هذا المصير مغروسة في أعماق التاريخ ذلك ما اعترف به الوزير الاشتراكي فينو صراحة بقوله : «لبنان وسوريا لا يشكلان الواحد للآخر دولتين اجنبيتين . لبنان هو نافذة سوريا على البحر وأكبر سوق للتجارة اللبنانية . مصير البلدين تلازم زمن السيطرة التركية وتحت الانتداب الفرنسي» . وفي مكان آخر كتب فينو «المعاهدة مع سوريا كانت شرطاً للمعاهدة مع لبنان»[١٩] . انطلاقاً من هذه القناعات لم تبحث قضية المعاهدة اللبنانية الفرنسية إلا كمكملة للمعاهدة السورية الفرنسية ، إذن ما كان يخيف اليمين الفرنسي من المعاهدة مع سوريا اعتبار واحد أن كل مكسب يحققه السوريون سيؤجج التطلعات التحررية للشعب السوري الذي يملك تراثاً غنياً من النضال ما يلبث أن يتردد صداه في كل المنطقة العربية . ويؤكد الوزير فينو ذلك في تقرير قدمه أمام لجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية . «ان ما يجري في سوريا بالتأكيد له أصداء في افريقيا الشمالية وخاصة تونس . . . بالطبع سيشجع بعض الانتفاضات عندهم»[٢٠] .

من هنا استمر تسويف الحكومات المتعاقبة على السلطة في باريس لجهة بت أمر المعاهدتين في الجمعية الوطنية بانتظار الظرف المناسب لالغائهما . واستمر في نفس الوقت

---

(١٨) Vienot.p.HayeH.: Les relations de la France et de la Syrie OP. cité P. 24 .

(١٩) Vienot. P. le traité Franco - Syrien articles parus dans «le Populaire» les 11 - 12 - 13 - 14 - janvier 1939 Paris .

(٢٠) Assemblée nationale, commission des affaires étrangères seance du mercredi 8 juillet 1936, Rapport de Vienot. P. 28 .

دفع أنصار الانتداب لاثارة الاضطرابات في محاولة لألهاء سكان بلدان المشرق عن الهدف الأساسي وهو التخلص من نظام الانتداب . جاء اعلان الحرب العالمية الثانية فرصة للمفوضية الفرنسية في بيروت للانقضاض على كل مكسب حققه الوطنيون في بيروت ودمشق ، فاوقفت العمل بالحياة الدستورية في البلدين وشنت حملة لملاحقة الوطنيين وايداعهم السجون بحجة متطلبات الحرب .

القسم الرابع

الصراع البريطاني الفرنسي في لبنان ونتائجه

١٩٣٩ ـ ١٩٤٣

الفصل الأول

اثر الصراع البريطاني الفرنسي في الوضع السياسي اللبناني

فرضت الحرب العالمية الثانية على اللبنانيين تضحيات جساماً . فقد أعلن المفوض السامي بيو حالة الطوارىء في البلد . وقمع بكل قسوة كل طموح لبناني للاستقلال الوطني . وفي أيلول ١٩٣٩ أعلن حل البرلمان وأمر باعتقال قيادات العمل الوطني .

وفيما كانت الاستعدادات العسكرية تنظم في الشرق العربي لمواجهة أي تقدم محتمل للمحور تحدثت الانباء عن غزو الجيش النازي للأراضي الفرنسية وعن طلب الجنرال بيتان توقيع هدنة مع هتلر في ٢٢ حزيران ١٩٤٠ . كان لتوقيع تلك الهدنة أثر في انقسام ولاء الفرنسيين بين حكومة اعلنها بيتان في مدينة فيشي وأخرى (*) أعلنها الجنرال ديغول من لندن .

أدى الانقسام بين الفرنسيين إلى انعكاسات سلبية على مجمل الوضع في بلدان المشرق العربي الواقعة تحت الانتداب الفرنسي . فقد أعلن المفوض السامي بيو عن مواصلة فرنسا لرسالتها في هذه المنطقة والتزامها بموقف حكومة فيشي . مع ذلك لم يستمر بيو في ممارسة عمله بل تقرر استبداله بمفوض آخر أكثر اخلاصاً منه وهو الجنرال جان شياب . لكن الطائرة التي اقلته من مرسيليا إلى بيروت طاردتها طائرة مجهولة الهوية واسقطتها . حينئذ قررت حكومة فيشي أن يخلفه الجنرال دانتز الذي راح يمارس مهماته تحت رقابة لجنة الهدنة الألمانية الايطالية والتي حضرت خصيصاً إلى بيروت . وقد ترتب على ولاء قيادة الجيش الفرنسي في المشرق لحكومة فيشي أن جعل لبنان وسوريا منطقتي عمليات عسكرية للمحور وبالتالي معادية للحلفاء . وبناء عليه فرضت بريطانيا الحصار الاقتصادي على البلدين مما صعّب استمرار تزويد بلدان المشرق بالمواد الغذائية ، وفي ازدياد نسبة العاطلين عن العمل . وفي شتاء ١٩٤١ قامت اضرابات ومظاهرات الجياع في العديد من المدن اللبنانية والسورية . ووقعت حوادث اصطدام مع القوات المسلحة الفرنسية . لم تحل اعمال العنف دون نشوب

(*) حكومة فرنسا الحرة.

اضطرابات جديدة واعلان الاضراب العام رداً على القمع الذي قام به البوليس .

وكان على الجنرال دانتز أن يقدم بعض التنازلات وان لم تكن ذات مغزىً كبير ، فاجبر اميل اده وسكرتير الدولة عبدالله بيهم على تقديم استقالتيهما وعهد إلى الفرد نقاش برئاسة الدولة يعاونه أربعة وزراء : هم يوسف نجار - احمد الداعوق - فيليب بولس - فؤاد عسيران . وكانت الجهود التي بذلها النقاش وحكومته لمجابهة الأزمة التموينية الصعبة قليلة الفعالية .

في هذا الظرف حددت انكلترا وحكومة فرنسا الحرة موعداً لبدء عملية غزو سوريا ولبنان . قبل بدء الحملة قامت الطائرات البريطانية وطائرات فريق «لوران» الفرنسية الحرة بإلقاء آلاف النسخ لبيان صادر عن الجنرال كاترو إلى الشعبين اللبناني والسوري تضمنت وعداً صريحاً بمنح بلديهما الاستقلال شرط عقدهما هذه تحالف مع فرنسا (١) . تلازم ذلك مع اصرار بريطانيا ، رغم معارضة ديغول ، ان يضيفوا كفالتهم إلى جانب الاعلان الفرنسي . وأشارت الكفالة البريطانية التي نشرت في الوقت نفسه في القاهرة إلى اعلان كاترو على أساس انه «يعلن حرية واستقلال سوريا ولبنان» وانه «يتعهد بالتفاوض لعقد معاهدة تضمن هذه الأهداف» . وتضمنت أيضاً تأييد المملكة المتحدة للتأكيدات الفرنسية ، وأعربت عن التطلع إلى رفع الحصار عن بلاد الشرق وإلى ادخالها ضمن كتلة الاسترليني (٢) .

اعتبر الجنرال ديغول البيان البريطاني شكلاً من أشكال الوصاية على حكومة فرنسا الحرة ويخدم دعاية حكومة فيشي برئاسة الجنرال بيتان التي تعتبر خوضها للحرب في المشرق ما هو الا لردع الاطماع البريطانية في هذه المنطقة وتعزيز النفوذ الفرنسي فيها . وأخيراً سويت الأزمة بين الطرفين باعلان صادر عن الخارجية البريطانية يعترف بالحقوق التاريخية لفرنسا في سوريا ولبنان . ومع أن الفرنسيين لم يجدوا في التطمينات البريطانية إلا تأجيلاً للصراع المزمن بينهما فقد ، قبلوا بهذا الأعلان لأنهم كانوا يستعجلون تنفيذ خطة الهجوم على بلدان المشرق التي راح يداهمها التقدم الألماني السريع في الشرق .

في صباح ٨ حزيران اجتازت الجيوش الفرنسية الحرة والبريطانية الحدود السورية

(١) زيادة، بيار: التاريخ الدبلوماسي لاستقلال لبنان مع مجموعة من الوثائق ص ٢٨٩ المطبعة الأهلية بيروت ١٩٦٩ .

(٢) لونغريغ هامسلي، ستيفن: تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي دار الحقيقة بيروت ١٩٧٨ ص ٣٨٦ ترجمة بيار عقل .

اللبنانية في حملة أطلق عليها «الصدر» . بعد ٣٤ يوماً من المقاومة طلب ممثل الفيشيين في الشرق الجنرال دانتز من القنصل الأميركي في بيروت أن يتدخل لدى البريطانيين لمعرفة شروط الهدنة . ولما وجدها مقبولة لديه دخل في مفاوضات جرت في عكا بغياب ممثلين عن حكومة فرنسا الحرة (٣) . أثارت شروط الهدنة التي نقلت إلى الجنرال ديغول احتجاجاً انصب بالدرجة الأولى على عودة جيش فيشي إلى فرنسا في وحدات منظمة ولم تنص على أن تسلم الأسلحة إلى الفرنسيين الأحرار . كما طال الاحتجاج مطالبة ديغول بأن توضع القوات الخاصة المؤلفة من لبنانيين وسوريين بأمرة قيادته . وتوج ديغول احتجاجه بانذار وجهه إلى الكابتن ليتلتون بفصل قواته بصورة شاملة عن القوات البريطانية وبأنه غير ملزم باتفاقية عكا . في واقع الأمر لم يكن البريطانيون على عجلة في فتح معارك جانبية أمام تزايد خطر الاندفاع الألماني نحو الشرق . لهذاتوصلوا إلى اتفاق مع حكومة فرنسا الحرة اتاح للضباط الديغوليين فرصة أكبر لفرض وجهة نظرهم على قوات فيشي ، وضمنت وضع الأسلحة المصادرة والقوات الخاصة تحت امرة الجنرال كاترو .

حاول الانكليز اعطاء ديغول ما يريده في المشرق وذلك لكسب ثقته ما دام ميزان القوى في النهاية يحسم لصالح الأقوى بين الطرفين . من هنا وقعوا معه اتفاقاً رسمياً بشأن بلدان المشرق تضمن التالي :

- يمارس الجنرال ديغول في بلدان الشرق الواقعة تحت الانتداب الفرنسي الحقوق التي كانت لفرنسا أثناء الانتداب .
- تبقى معاهدة ١٩٣٦ القاعدة لمفاوضات يلتزم اجراءها مع سوريا ولبنان لتحديد الوضع الجديد الناشىء .
- اتفاق ليتلتون يبقى الميثاق للعلاقات بين السلطة الفرنسية الحرة والبريطانيين في الشرق الأوسط (٤) .

مهما كانت نتائج اتفاق ديغول والبريطانيين لا شك أنها وضعت لبنان على أبواب مرحلة جديدة . فمنذ وطأت اقدام جيوش الحلفاء بيروت بدأ صراع خفي بين ممثليهم

(٣) رفض ممثل فيشي في المشرق اجراء مفاوضات مع ممثل لحكومة فرنسا الحرة لأن ذلك يعني اعترافاً من جانب حكومة فيشي بحكومة الجنرال ديغول .

(٤) Voir Le General Catroux: Dans la bataille de la méditerranée 1940 - 1944 P. 185 - 186 Paris 1949 .

للاستئثار بالنفوذ مما سهل قيام نضالات اجتماعية وسياسية في لبنان حققت مكاسب مهمة .

في البدء اتسم دخول جيوش الحلفاء الأراضي اللبنانية بالارتياح التام لازالة كابوس الحرب التي شهدتها البلاد، ولانتصار فرنسا . واحتفاء بتلك المناسبة ترأس الجنرال كاترو احتفالاً ضم العديد من ممثلي فئات الشعب اللبناني للتهنئة بالانتصار . بعدها انصرف الجنرال للعمل على اعادة الحياة الطبيعية للوضع السياسي الداخلي مخففاً بالدرجة الأولى القيود المفروضة على الحريات العامة والسماح مجدداً بنشاط علني للشيوعيين والقوميين السوريين . ارتهن السماح بنشاط شيوعي في تلك الفترة بتحسن العلاقة بين دول الحلفاء والاتحاد السوفياتي الذي دخل الحرب الثانية في حزيران ١٩٤١ إلى جانبهم وتحمل قسطاً كبيراً من ويلاتها. بهدف إعادة السيطرة على المناطق الأوروبية التي احتلت من قبل المانيا عقد في موسكو لقاء تاريخي ضم روزفلت وتشرشل وستالين لوضع خطة شاملة لمواجهة التوسع الألماني والايطالي على كل الجبهات .

تميز النشاط الشيوعي باعادة اصدار جريدتهم «صوت الشعب» وانعقاد الكونغراس للحزب في سوريا ولبنان ، في تشرين الثاني ١٩٤١ ، حيث اتخذ مقررات ورد فيها «ان مصير بلدان المشرق رهن بانتصار الحلفاء وان المراهنة على مزاعم هتلر «باعطاء العرب استقلالهم ووحدة اقطارهم» ما هي إلا من أكاذيب عملاء النازية لأن هتلر يحارب من أجل أن يستعمر أراضي الغير . . . فالنازية الألمانية ليست اشتراكية وطنية ، كما يزعمون كذباً ونفاقاً ، بل هي أفظع أنواع الرأسمالية» [٥] .

ولأول مرة منذ العام ١٩٣٩ تعاود العصبة المناهضة للفاشية والنازية لممارسة نشاطها عبر اصدار مجلة الطريق في بيروت التي راحت تكرس صفحاتها لفضح الايديولوجية الفاشية والنازية . كانت مجلة الطريق وريثة مجلة الطليعة السورية في شعاراتها ومحرريها ولكن الأولى أكثر اتصالاً بالفكر الماركسي . وكان انضمام الكاتب اللبناني عمر فاخوري إلى العصبة ذا مدلول على الدور الكبير الذي أخذت تلعبه العصبة في النضال ضد الدعاية الفاشية . عام ١٩٤٢ وضع عمر فاخوري كتابه «لا هواده» وضم مقالات تفند مزاعم النازية خاصة ما نشره مسؤول الأعلام في الحزب النازي Rosenberg في كتابه تحت عنوان (اسطورة القرن العشرين) [٦] . وتزايد دور العصبة حتى شملت التوعية مختلف المدن السورية واللبنانية . كما

(٥) بيان إلى الشعب من المجلس الوطني العام الرابع للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان المنعقد في تشرين الثاني ١٩٤١ . ص ٧ .

(٦) فاخوري، عمر: لا هوادة بيروت ١٩٤٢ ص ٤٥ .

خصص راديو الشرق حيزاً من البث الاذاعي لتعليقات أحد اعضاء العصبة قدري قلعجي [٧] . في ٢٩ أيلول عقد الكنغرانس الوطني للعصبة وضم ممثلين لأقسام لبنان وسوريا وحضره ممثلون لشخصيات سياسية وعالم الصحافة والأدب والفن والتنظيمات النقابية [٨] .

على صعيد نشاط الحزب السوري القومي فقد أشارت بعض المصادر إلى أن زعيم الحزب في منفاه القسري في الأرجنتين اتصل بالمانيا النازية لمعرفة نواياها في الشرق واعطاء دور للحزب في هذا المخطط [٩] . وعلى الصعيد المحلي اللبناني عادت السلطات الفرنسية واعتقلت بعض قادة الحزب بعدما تلقت تقريراً أعده أحد قياديي الحزب جورج عبد المسيح ويطالب فيه بضرورة اعلان دولة سوريا الكبرى والانطلاق بانتفاضة مسلحة ضد الوجود الفيشي وفرنسا الحرة والحلفاء إذا رفضوا الاعتراف بالدولة الجديدة . وكتب عبد المسيح في مذكراته بأن الحزب يجب أن ينطلق بانتفاضة مسلحة بـ ٢٠٠ عنصر لعدم توفر السلاح لكل العناصر [١٠] .

وخلال المرحلة التي اعقبت دخول جيوش الحلفاء لبلدان المشرق حدث ارتباك في المواقف السياسية اللبنانية خاصة بين مؤيدي سياسة الانتداب الفرنسي والتي وصلت إلى حد أن ضباط القطع اللبنانية في القوات الخاصة الذين تربوا على حب الانتداب وتحت رعايته وقعوا عريضة جاء فيها «نحن الموقعين بذيله ضباط القطع اللبنانية ، نتعهد مقسمين بشرفنا أننا لن نقبل بالخدمة إلا في سبيل لبنان وتحت رايته ، على أن لا تكون لنا علاقة إلا مع حكومته الوطنية وان تعمل لأجل تحقيق هذه الأمنية إلى ما شاء الله ، وكل من يسلك غير هذا الطريق يعتبر خائناً ويشهر كذا» [١١] .

نجحت المفوضية الفرنسية إلى فترة محددة ، بتوحيد صفوف الزعامات المحلية المؤيدة لسياستها وعلى رأسهم البطريرك الماروني الذي وجه في ١٤ تشرين الثاني ١٩٤١ نداء إلى رعيته في الخارج يدعوهم إلى مساندة فرنسا لأن «الموارنة اصيبوا عن قرب بالمعاناة التي

(٧) Courrier du levant le 11 Juillet 1942 No 12.

(٨) Idem le 7 Janvier 1943 No 38.

(١٩) وزارة الأنباء اللبنانية : قضية الحزب القومي مصدر مذكور ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

(١٠) عبد المسيح ،جورج : يوميات جزء أول ص ٧٦ بدون تاريخ .

(١١) زيادة، بيار : التاريخ الدبلوماسي لاستقلال لبنان مصدر مذكور ص ١٤٠ ـ ١٤١ التوقيع : فؤاد شهاب ـ جميل لحود ـ فؤاد لحود ـ منصور لحود ـ عبد القادر شهاب ـ عادل شهاب ـ جميل شهاب ـ اسكندر غانم ـ ميشال نوفل ـ جورج معلوف ـ يوسف الخوري ـ انطوان روفايل ـ جميل الحسامي . . .

أصابت فرنسا في الحرب الحالية المؤسفة» [١٢] . لكن ما أعاق هذا النجاح فيا بعد النهج السياسي البريطاني القائم على مد الجسور مع بعض القيادات اللبنانية المحلية المتضررة من السياسة الفرنسية في المشرق . ويتضح ذلك من فشل المحاولات الفرنسية المتكررة لايجاد تفاهم بين كتلة إميل اده والكتلة الدستورية برئاسة بشارة الخوري . في أوائل آب ١٩٤١ وصل الجنرال ديغول إلى بيروت واتصل بابرز الرجال السياسيين في محاولة لايجاد تحالف بين الفريقين لكن المبادرة لم تلق تجاوباً من جانب الكتلة الدستورية لانها كانت تتطلع نحو بريطانيا على أمل الحصول على دعمها بما يحقق تطلعاتها السياسية فضلاً عن المصالح التجارية حيث للندن الكلمة الأولى والأخيرة في البلدان العربية . وقد أشار الجنرال كاترو في مذكراته عن الصراع بين اميل اده وبشارة الخوري «إن أي اختيار لواحد أو الآخر من هذه الشخصيات سيجدد الصراعات العنيفة للعصبية التي طويلاً ما اجهض الحياة السياسية» [١٣] .

كانت المفوضية العليا الفرنسية مضطرة إلى ايجاد تآلف بين المتصارعين من أنصارها حتى لا تفسح في المجال للتدخل الانكليزي . لذلك تجنبت اجراء انتخابات نيابية لما تثير من منازعات بين القيادات السياسية في لبنان . وقد استعاض الجنرال كاترو عن ذلك بالقيام بجولات على المناطق اللبنانية يستطلع رأي السكان . وبأمر من السلطات المحلية المركزية استقبل الجنرال كاترو بحفاوة عند قيامه بكل زيارة . وفي ختام جولاته قرر إبقاء الفرد نقاش برئاسة الدولة واحمد الداعوق برئاسة الحكومة . لكن قبل الاعلان رسمياً على الأمر طلب معرفة رأي رئيس البعثة البريطانية في بيروت الجنرال سبيرس والبطريرك الماروني . وحسب رسالة سبيرس إلى المفوضية العليا الفرنسية فقد اعترض على تسمية أحمد الداعوق لمنصب رئاسة الحكومة لأنه كان على علاقة مع دول المحور حيث عقد لقاءات متعددة من المبعوثين الألمانيين إلى بيروت Vont Hentig و Roser.. كذلك كان الداعوق مبعوث هؤلاء إلى بعض مؤيدي المانيا في الحركة الوطنية السورية . وفي ختام رسالته أشار سبيرس ان ذلك مجرد معلومات ويطلب من المسؤول الفرنسي التريث قبل الأقدام على خطوته خاصة في ظرف الحرب القائمة [١٤] .

وفي ٧ تشرين الثاني ١٩٤١ قدم المفوض السياسي Furlonge في البعثة البريطانية في

(١٢) Revue «La France» organe des français libres au proche - orient. Le 4 Novembre 1941. No 38.

(١٣) General Catroux: Dans la bataille de la méditerranée 1940 - 1944. P. 230 Paris 1949 .

(١٤) F.O. 226 doct 309 le 5 Novembre 1941 .

بيروت تقريراً شفهياً عن نشاط أحمد الداعوق إلى المفوضية الفرنسية جاء فيه :

١ ـ ان الأخوين عمر واحمد الداعوق كانا بين الأوائل الذين استقبلوا Roser المبعوث الألماني عند وصوله إلى بيروت . وقد أقاموا حفلة شاي له في منزل ابن عمهما أنيس الشيخ . ومعروف عنهما اتصالاتهما الكثيرة به في مناسبات لاحقة وقد حضروا حفلة دعا اليها Vont Hentig في أوتيل متربول اثناء زيارته لبيروت في شباط ١٩٤١ .

٢ ـ كان أحمد الداعوق على علاقة وثيقة بسعدي الكيلاني الذي وصفه باهم العملاء النازيين في هذا البلد .

٣ ـ إن مصدراً أكيداً أبلغ أن أحمد الداعوق ذهب إلى دمشق قبل شهر تقريباً من سقوط حكومة بهيج الخطيب حاملاً مبلغ الف ليرة عثمانية من لجنة الهدنة الإيطالية إلى عضو بارز في الكتلة الوطنية السورية لتمكنه من اسقاط وزارة بهيج [١٥] .

أما البطريرك الماروني فقد حمل المطران عبد (*) رسالة إلى الجنرال كاترو يعترض فيها على تعيين الفرد نقاش رئيساً للجمهورية اللبنانية مهدداً فيها بانه سينحاز إلى جانب البريطانيين لو أصبح النقاش رئيساً [١٦] .

في هذه الأجواء من الردود السلبية طلب الأب لويس خليل ، رئيس تحرير جريدة الجزويت في لبنان «البشير» ، من توفيق عواد التدخل لدى البطريرك لدعم ترشيح الفرد نقاش برئاسة الجمهورية وذلك لقاء وعد باسناد منصب وزاري له ، لكن المهمة باءت بالفشل . من جهة أخرى قامت الشخصيات المارونية الطامحة بمنصب الرئاسة الأولى باجراء اتصالات مع أكثر من طرف مؤثر لدى المفوضية الفرنسية . فقد طلب جورج ثابت من المبعوث البابوي Rouyle prêtre دعمه في الحصول على رئاسة الدولة في لبنان باعتباره مؤيداً لمصالح فرنسا . وحسب مصدر بريطاني اجابه المبعوث الرسولي «إنه شخصياً لا يؤيد النقاش ويكن احتراماً كبيراً لعائلة ثابت المارونية. ووعد بتسميته خلال لقائه المقبل مع الجنرال كاترو» . ويضيف المصدر أن ثابت هو المرشح الرسمي والمفضل للبطريرك الماروني [١٧] .

اغتنمت الكتلة الدستورية هذا الظرف فراحت تطالب بإعادة الحياة الدستورية واجراء

(*) مطران طرابلس.

(١٥) Idem le 8 Novembre1941 .

(١٦) Idem le 16 Novembre 1941.

(١٧) Idem le 2 Decembre1941 .

انتخابات . ثم راحت قوى اسلامية ووطنية تدعم هذا الطلب . في ضوء ذلك سافر بشارة الخوري إلى مصر في ١٤ حزيران ١٩٤١ لحث رئيس الوزراء المصري النحاس باشا على التدخل لدى الوزير البريطاني كاسي في القاهرة لحمل حكومته على المساعدة باعادة الحياة الدستورية إلى لبنان . وقد استغل كاسي أكثر من مناسبة للمطالبة باسم الحكومات العربية بعودة الحياة النيابية في سوريا ولبنان . الواقع أن مطالبة بريطانيا بإقامة حكومات وطنية في المشرق يتيح لها ايجاد هيئة صالحة لمفاوضات شتى تطرد النفوذ الفرنسي ويدشن سياسة عربية جديدة تتعاون معها بالاضافة إلى عمان وبغداد .

يتضح من سير الأحداث أن الفرنسيين لم يستوعبوا التطورات الجديدة في لبنان وتعاملوا مع المسائل السياسية المطروحة كما كان يحصل في السابق باعتبارهم القوة الوحيدة على الساحة . إضافة إلى ذلك لم يكونوا على ادراك تام بالمخططات البريطانية الرامية إلى إخراجهم من المشرق . في حين أن البطريركية المارونية تشكل تقليداً التغطية الشعبية للسياسة الفرنسية غير أن الجنرال كاترو لم يأخذ بموقف رئيسها وأصر على تسمية الفرد نقاش رئيساً للجمهورية اللبنانية . فتضمن كتاب التسمية الخطوط العامة للسياسة التي يتوجب على النقاش اتباعها :

١ ـ طلب المساواة في الحقوق والواجبات بين الأجانب .
٢ ـ التوزيع العادل بين الطوائف .
٣ ـ احترام مصالح المناطق [١٨] .

حظيت سياسة كاترو في لبنان بموافقة الجنرال ديغول الذي أرسل يهنىء الفرد نقاش مشدداً على مؤازرة فرنسا وصداقتها للجمهورية اللبنانية [١٩] .

عملياً لم تكن رسالة كاترو إلى النقاش إلا للاستهلاك المحلي لأن السلطة الفرنسية كانت تسعى للسيطرة الكاملة على الوضع اللبناني من خلال رئيس جمهورية لا يرتكز على قاعدة شعبية . بذلك يبقى أسيراً لأمرة القيادة الفرنسية . وهذا يعني الاستمرار في سياسة فرنسا التقليدية التي تستند على الانقسام الطائفي في لبنان . وحسب مصدر بريطاني فذلك ما لجأ اليه الفرد نقاش عندما نشر في الصحف المحلية في ٢١ تشرين الثاني رسالة موجهة إلى الكتائب اللبنانية المنحلة ، «هذه المنظمة التي أسست قبل حوالي ثماني سنوات على نمط شبه

(١٨) Le General Catroux: Dans la bataille de la méditerranée op. cité P. 232 .

(١٩) F.O. 226 doct 309 le 29 novembre 1941 .

فاشي وهي ذات طابع مسيحي وواقعة كلياً تحت نفوذ اليسوعيين . وبذلك اعتبر السيد نقاش مسؤولاً عن الاعتراف العلني بمنظمة مسيحية على حساب منافستها المسلمة «النجادة» مما أغضب الرأي العام المسلم . فالمسلمون يرتابون من السياسة الفرنسية المنحازة لصالح المسيحيين . إذ لم يكونوا مطمئنين للممارسات التي يعتبرونها غبناً لمصالحهم . لذلك وجه زعماء بيروت المسلمون إلى الجنرال كاترو احتجاجاً على ما أقدم عليه الفرد نقاش .

فخامة الجنرال كاترو مفوض الفرنسيين الأحرار في سوريا ولبنان :

«إن الأمة العربية المسلمة في هذا القسم من الشاطىء العربي ستصدر في أقرب وقت ممكن تصريحاً كاملاً ، مبيناً بالتفصيل الأوقات العصيبة والظلم الذي تحملته أثناء الانتداب .

موضوع هذا التصريح الموجه لفخامتكم باسم حكومتكم سيحتوي على الوقائع المدعومة بالأرقام والبرهان المحدد تمنيات ومطالب المسلمين في هذه المنطقة التي ايدها الجنرال ديغول ، تشرشل وايدن قبل التغييرات الأخيرة عندما أعرب الحلفاء عن رغباتهم في اعلان استقلال البلد العربي السوري .

إن ما صرح به رئيس الجمهورية الفرد نقاش لشباب الكتائب والذي اذاعه راديو الشرق ونشر في جريدة «البشير» و«العمل» لقي مساندة كلية من هذا القسم من الصحافة . إن هذه الآراء المختارة تكون فكرة وحيدة وتهدف إلى احباط رغبات المسلمين وتؤكد خشيتهم من النظام اللبناني الحاضر وتبعد من نفوسهم كل امل في المستقبل .

إن ما يزيد في استياء المسلمين وتخوفهم من كل التصريحات التي أدلى بها رئيس الجمهورية الذي هو أحد المرشحين للرئاسة الأولى يحدث في وقت تستعد فيه البلاد لنيل استقلالها .

يا صاحب الفخامة ، إن هذا يؤكد لكم أن استياء المسلمين له ما يبرره من النظام القائم الذي يرتكز على الظلم للمسلمين عامة وضد احترامهم الذاتي والذي سيؤدي بهم لعدم الموافقة والاحتجاج . كما انتم تدركون فالمسلمون متعلقون بقوة برغباتهم ومطالبهم القديمة المعروفة التي تتفق مع تصريح حكومتكم الرسمي [٢٠] .

لم يأخذ الجنرال كاترو اعتراضات المسلمين بالجدية المطلوبة بل اتبع النهج الفرنسي السابق في التعاطي بالمسائل اللبنانية . لكن الأيام راحت تثبت أن البريطانيين لم يتركوا الحرية

(٢٠) Idem le 23 Novembre 1941 signés écrivains, médecins, pharmaciens, associations, des jeunes musulmans, associations de bienfaisance...

للفرنسيين للتصرف كما يحلو لهم في شأن مصير بلدان المشرق . وفيما راحت السلطات الفرنسية تتخذ الترتيبات اللازمة لإعلان استقلال لبنان في احتفال رسمي ، وقع خلاف بين كاترو وسبيرس عشية الاحتفال ، كاد يحمل المندوب البريطاني على مقاطعة الاحتفالات . أما اعتراض سبيرس فكان موضوعه صيغة اعلان الاستقلال . فطالب بشطب ـ وحدة غير متجزئة ـ من النص الرسمي والاكتفاء بوحدة الأراضي اللبنانية . وسوي الأمر اخيراً بادخال «تعديلين طفيفين» على النص . ويقول بيار زيادة في ذلك «لم يكن الجانب البريطاني متحمساً لتأكيد قاطع في هذا الحقل ، من شأنه أن يعرقل المشاريع الاتحادية والفدرالية في المنطقة ويمنع ضم لبنان اليها في المستقبل» (٢١) .

في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١ اقيم احتفال رسمي حضرته الحكومة اللبنانية حيث أعلن الجنرال كاترو لبنان دولة مستقلة ذات سيادة مرتبط بفرنسا بمعاهدة صداقة وتحالف (٢٢) وفي ٢٨ تشرين الثاني أرسل الجنرال ديغول مذكرة إلى عصبة الأمم يدعو كل الدول للاعتراف باستقلال سوريا ولبنان .

كانت بريطانيا أول دولة تسارع للاعتراف باستقلال لبنان ولاقامة علاقات دبلوماسية معه ، وسمت الجنرال سبيرس في شباط ١٩٤٢ سفيراً لها في بيروت . ثم تبعتها الولايات المتحدة ، رغم علاقتها الجيدة مع حكومة فيشي وأرسلت Wodsworth ممثلاً لها في العاصمة اللبنانية لمعرفته الجيدة بقضايا الشرق الأوسط .

في الجانب العربي كانت مصر أول من سارع للاعتراف باستقلال البلدين . أما العراق فقد أعلن عن تريثه في الأمر منتظراً مزيداً من المعلومات حول الوضع في سوريا ولبنان .

أثارت سياسة كاترو اعتراضاً من القوى السياسية المؤثرة على الساحة اللبنانية لأنه لم يعط أي اعتبار لمطالبها . لذلك تمحورت المعارضة لكل من الفرنسيين والرئيس نقاش حول مثلث قاعدته الكتلة الدستورية والمسلمون والبطريرك الماروني فضلاً عن أنها كانت مدعومة بالقوة العسكرية البريطانية المتواجدة في بلدان المشرق .

وحسب مصدر بريطاني ففي اجتماع للمطارنة الموارنة عقد في بكركي يوم ٢٥ تشرين الثاني اقسم البطريرك قسماً علنياً بأن يؤزم كل العلاقات مع فرنسا في المستقبل . ثم ارسل

---

(٢١) زيادة، بيار : التاريخ الدبلوماسي لاستقلال لبنان مصدر مذكور ص ٤٧ .
(٢٢) Archives contemporaines de documentation internationale (Pharos) doct 110 Juin 1945 No 22 Paris.

سياسياً مارونياً بارزاً إلى Furlonge يعلمه برغبة البطريرك بوضع الطائفة المارونية تحت حماية بريطانيا لأنه قد عزم على ترك كل العلاقات التقليدية ، بفرنسا . واضاف المصدر أن البريطانيين لم يراهنوا كثيراً على مواقف البطريرك وخاصة في مسألة النزاع مع فرنسا لأن فعله الذي جاء أعلاه سببه شخصي ويمكن إزالته باعتذار من كاترو. وذلك لم يغير من النظرة بأن الموارنة ما يزالون الطائفة التي تصنف في العمق موالية لفرنسا ، وما يقوم به البطريرك عريضة لا يتوافق مع الرأي العام لطائفته . فليس سهلاً على القاعدة أن تغير بسهولة ما نشأت عليه من حب لفرنسا كما هو شأن قادتها (٢٣) .

في أواخر تشرين الثاني حمل كميل شمعون إلى مقر البعثة البريطانية في بيروت رسالة موقعة من زعماء المعارضة يطلبون مؤازرتها لهم في تأييد مطالبهم (٢٤) .

أما الموقف الاسلامي من إعلان استقلال لبنان وتسمية رئيس للجمهورية فقد ورد في رسالة بعث بها رياض الصلح إلى قائد قوات الحلفاء في الشرق :

«إن الحدث الذي اعلنتموه يوم ٢٦ تشرين الثاني المنصرم قد جاء مع الأسف الشديد على عكس ما كنا نرغب . اذ جاء منافياً لمصلحة البلاد السياسية والاقتصادية والقومية ومخالفاً للأماني التي اعربت عنها الأمة في مواقف وظروف عديدة ، وهو إلى ذلك يناقض التصريحات المتعددة التي ادليتم بها فخامتكم وأدلى بها الجنرال ديغول والمستر تشرشل والمستر ايدن والمستر أوليفر لتلتون وزير بريطانيا في الشرق الأوسط . . . . ذلك أنكم بدلاً من الالتجاء إلى انتخابات أو استفتاء صحيح في الأسس التي يرى أهل البلاد أن يقوم عليها وضعها المنتظر، لجأتم إلى استشارات وقمتم بجولة في المناطق جاءت نتائجها منحصرة باختيار أشخاص لتأليف حكومة .. وخرجتم من كل ذلك بفرض نظام هو دون الاستقلال بمراحل ومهدتم له بتعيين رئيس الجمهورية تعييناً وبكتاب وجهتموه اليه رسمتم فيه للحكومة المقبلة برنامجاً ادارياً حددتم فيه الشكل الذي تتألف به الحكومة والنهج الذي يجب أن تسير عليه» (٢٥) .

وتمكنت المعارضة اللبنانية من عقد مؤتمر وطني كبير في بكركي يوم عيد الميلاد في ٢٥ كانون الاول ١٩٤١ للمطالبة باعادة الأوضاع الدستورية إلى البلاد . فبعد أن رحب البطريرك عريضة بالمؤتمرين القى خطاباً جاء فيه :

---

(٢٣) F.O 226 doct 309 le 29 Novembre 1941 .
(٢٤) انظر الملحق رقم ٢ .
(٢٥) عندما دخلوا التاريخ مصدر مذكور ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

● نريد استقلالاً ناجزاً يطابق رغائب الشعب اللبناني مضموناً من الدول التي سعت باعلانه مبنياً على العدل لأن العدل أساس الملك .

● نريد استقلالاً مخدوماً بحكومة تنتقي اشخاصاً صالحين لا زناة ولا سكيرين ولا مقامرين ولا طماعين ولا منتفعين ، نزهاء بعيدين عن الرشوة مستقيمين لا يحابون .

● نريد استقلالاً مبنياً على الحرية ، في المعتقد ، في القول ، في العمل ، ويشترط في كل ذلك عدم الضرر بالغير .

● نريد استقلالاً مبنياً على المساواة بالحقوق تأخذ كل طائفة منه حقوقها بنسبة أهميتها . . . » [٢٦] .

مع ذلك لم يراجع الفرنسيون حساباتهم السياسية في فهم الوضعية الجديدة التي أحدثها دخول جيوش الحلفاء إلى المشرق العربي والتي لا تسمح بالهيمنة التامة للفرنسيين كما كانت في السابق . بل اهملوا مطالب المعارضة وركزوا على تفتيت شملها . لكن هذه المرة لم يعد يفيد تقديم بعض المنافع لزعيم أو لأكثر وذلك بتعيين عدد من الموظفين من أنصارهم . وما أثار دهشة المعارضة وخيبة أملها ، وخاصة في الأوساط المسيحية بأنهم لا يعارضون التوجه العام للسياسة الفرنسية وانما الاهمال الكامل لمتطلباتهم . وقد عبر بشارة الخوري عن هذا الشعور يوم عيد الميلاد بقوله : «لم يكن هذا الشعب يوماً من الأيام متطلباً ما هو غير قابل للتحقيق ولا متعنتاً ولا شرس الاخلاق ، ولا معتدياً على الكرامات ولا ناكراً للجميل ولا ناسياً للماضي ولا أعمى عن المستقبل .

لكنه ويا للأسف لم يلاق تفهماً عند البعض لرغائبه وأمانيه ، ولا مراعاة الشعور الحساس» [٢٧] .

لذلك كان التقاء المعارضة الاسلامية المسيحية على قاسم مشترك وهو اجراء انتخابات نيابية . هذا لم يكن يرضي المفوضية الفرنسية لأنه من غير الممكن تحقيقها لما تحدث من تناحر بين الزعامات السياسية وهم بأكثريتهم من أنصارها وبالتالي لا نستطيع ارضاءهم فضلاً عن أن بريطانيا لن تقف على الحياد بل ستذكي حدة الصراع بين القيادات السياسية وبخاصة الذين لم يحالفهم الحظ أو بالأحرى الذين تحارب المفوضية الفرنسية ترشيحهم .

(٢٦) زيادة، بيار: التاريخ الدبلوماسي لاستقلال لبنان مصدر مذكور ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٢٧) الخوري، بشارة: حقائق لبنانية مصدر مذكور ص ٢٩٥ جزء أول .

انطلاقاً من هذه النظرة أخذ الفرنسيون يناورون لاقتناص الظرف المناسب للسيطرة على الوضع عبر إثارة النعرات الطائفية . قبل الاقدام على أي عمل راح الفرنسيون وانصارهم اللبنانيون يستمزجون رأي البعثة البريطانية في ايجاد حل لمطالب المعارضة .

حسب مصدر بريطاني فأن لقاءً جرى بين هملتون ورئيس الجمهورية اللبنانية الفرد نقاش . عرض الأخير فكرة تخليه عن الرئاسة اذا كان سيسهل الأمور على الحلفاء . لكن الموفد البريطاني أبدى تحفظاً في الاجابة وحصر حديثه في العموميات ثم مضى قائلاً «إن البريطانيين لا يرغبون في التدخل في شؤون البلد الداخلية وهمهم تشجيع الشعب على تأييد حكومة الرئيس النقاش والعمل على حصر نشاط رجال الدين بالشؤون الدينية» .

وفي مقابلة جرت بين الإثنين في فترة لاحقة عارض الفرد نقاش فكرة اجراء انتخابات نيابية لأن الوضع في لبنان لا يسمح بمماثلة التطورات السياسية في مصر حيث تطلب المعارضة اللبنانية اجراء انتخابات مشابهة للتي اجراها حزب الوفد هناك . واضاف النقاش «إن الحالة في لبنان تختلف كلياً عما هي عليه في القاهرة ، فحزب الوفد يمثل الأكثرية الشعبية هناك بينما في بيروت تؤدي الانتخابات إلى اثارة الاحقاد ولا تقدم أية منافع في الوقت الحاضر . فالقسم الأكبر من اللبنانيين راضون لأن استيراد المواد الغذائية مؤمن . اذ ليس من مصلحة أحد اثارة الأحقاد لأجل تحقيق اطماع أشخاص معينين» . وفي اشارة إلى معارضة البطريرك الماروني قال النقاش «ان القلاقل التي أثيرت من قبل كهنة ، كانوا خلال السنوات القليلة الماضية مؤيدين لايطاليا ، ينبغي أن لا تسلم للمعارضة بما تريد ويؤمل عدم تشجيع البطريرك وبشارة الخوري والمطران مبارك» [٢٨] .

في هذا السياق من المباحثات أدرك البريطانيون تأثيرهم على سير الأحداث اللبنانية لكنهم رأوا من الخطأ الاستعجال في الحلول محل الفرنسيين في كل شيء ، فليس من مبرر اثناء الحرب للالحاح على طرد المستشارين الفرنسيين من مراكزهم في الشرق وهم قبلوا الدفاع عن قضية الحلفاء إضافة إلى أنه من غير المقبول مساندة المعارضة اللبنانية إلى حد الالحاح بالمطالبة بالاستقلال التام خلال الحرب ، وقد اقتصر أمر النشاط البريطاني على اشتراك في المؤسسات المشتركة القائمة بين فرنسا وبلدان المشرق بما يسمح لها بالتأثير . فقد إنضمت إلى مكتب الحبوب المشترك بين لبنان وسوريا وباشراف فرنسي . بهذا كان للانكليز تأثير كبير فيه بما لهم من سيطرة على سوق الحبوب في الشرق . إذ كانت شعبية الحاكم تقاس

(٢٨) F.O 226 doct 309 le 21 Février 1942.

بما يوجد في اهرائه من قمح .

بعدما فشل النقاش في مسعاه مع البريطانيين أشار تقرير لبعثتهم في بيروت أن رئيس الجمهورية الفرد نقاش وضع نفسه كلياً تحت سيطرة المستشار الفرنسي دافيد واليسوعيين واميل اده . فموقفه هذا يبدو نتيجة قناعته لافتقاره إلى شعبية . لقد أظهر ميلاً ملحوظاً لتركيز كل الأمور بين يديه يهدف المحافظة على مركزه جعلته يمنح المقابلات بدون تمييز بحيث لم يبق له وقت لمناقشة المواضيع المهمة . ومما زاد في عزلته جهلة الكلي للبنان خارج العاصمة ، حيث لم تطأ قدماه كل المناطق ، إلى جانب قلة معرفته بكل فئات الشعب ما عدا المنتمين للدوائر القضائية حيث عمل محامياً وقاضياً ، فأكثر من تعيين أنصار اده في الادارات على حساب منافسة بشارة الخوري (٢٩) .

ومما زاد من سوء سمعة عهد النقاش الفضيحة التي تورط بها وزير التموين واصف عز الدين في طرابلس حيث كان يملك طاحوناً للقمح المخصص للتموين ، وقد اكتشف أن هذا الطاحون مجهزٌ بفتحات تمر عبرها كمية من القمح إلى مخزن خاص سراً . أما الأجراء الذي اتخذ بحق الوزير فكان أن اعفي من منصبه في وزارة التموين ليتسلم وزارة التجارة (٣٠) .

في أعقاب ذلك اخذت تتبلور أكثر فأكثر مواقف القوى السياسية اللبنانية . فثمة ثلاث شخصيات بارزة كانت على استعداد لمساندة حكومة النقاش هم إميل اده وحبيب أبو شهلا وغبريال خباز . فأسسوا حزباً سياسياً لتحقيق طلاق كامل بين لبنان وسوريا وتأييد السياسة الفرنسية .

أما المعارضة فكان أكثر فئاتها تماسكاً حزب الكتلة الدستورية ويضم ممثلين من ذوي النفوذ لكل الطوائف ما عدا السنة . وزاد من أهمية الكتلة أنها وضعت نفسها تحت نفوذ البطريك الماروني وبالعلاقة الجيدة مع البعثة الانكليزية في بيروت . ويضيف المصدر البريطاني أن الحزب اتخذ شعاراً له :

١ ـ استقلال لبنان الكامل دون أي تحفظ إلا بما يمليه الاحتلال الحليف من ضروريات .

٢ ـ انشاء حكومة دستورية .

وفي تقرير آخر للضابط السياسي الكولونيل Furlonge أشار إلى نشاط لبشارة الخوري

(٢٩) Idem le 22 Mars 1942.

(٣٠) Idem.

بهدف تعزيز التمثيل السني في كتلته وقد فاتح بالأمر مفتي بيروت .

الطرف الآخر في جبهة المعارضة للانتداب الفرنسي كان البطريك الماروني الذي استمر على موقفه المعادي للجنرال كاترو واستمر في سعيه للتقرب من البعثة البريطانية لمقاومة الفرنسيين حتى أن رئيس اساقفته في بيروت المطران مبارك ذهب أبعد منه في هذا التخطيط السياسي . فهم يعارضون النقاش لأسباب شخصية ولعلاقته باليسوعيين . ويضيف المصدر أن رئيس الأساقفة الارثوذكس والكاثوليك في بيروت وهما صليبي وصائغ يظهران أيضاً شعوراً معادياً للفرنسيين مؤيداً للبريطانيين . وقد اهتم الصليبي بزيادة نسبة الموظفين الرسميين الأرثوذكس .

فيما يختص بالمعارضة السنية للفرنسيين يشير مصدر بريطاني : أنهم كانوا غير راضين عما يعتبرونه التمثيل غير المتكافىء لطائفتهم في الادارة وفشل رئيس الحكومة (المسلم) بالدفاع عن مصالح المسلمين . لكنهم كانوا منقسمين بخصوص الموقف من الكيان اللبناني .

في بيروت تزعم صلاح بيهم فريقاً أخذ يتودد إلى الكتلة الدستورية ويتفق معهم في التشديد على استقلال لبنان وتنصيب حكومة دستورية ، بينما اختلف معهم بما يختص طبيعة ومدى العلاقات بين لبنان وسوريا وكافة العالم العربي . وقد أيد هذا الموقف حزب النجادة برئاسة جميل مكاوي ، فيما تزعم عبد الحميد كرامي في طرابلس حركة انفصالية ترمي إلى ضم المدينة إلى سوريا . أما رياض الصلح فقد أخذ موقفاً بمعزل عن باقي السياسيين اللبنانيين وان كان مشاركاً قوياً في الدعوة إلى اتحاد سوريا ولبنان (٣١) .

واقعاً كانت أوساط الرأي العام اللبناني تبدي الكره للفرنسيين وتضيق بتدخلهم المستمر في الشؤون المحلية . وكانت زيادة تكاليف المعيشة والطريقة غير الكفوءة لتوزيع الطحين وتزوير بطاقات التموين تشكل سبباً كافياً للتذمر . في مطلع ١٩٤٢ أسس وجهاء ومفكرو وأدباء الطوائف الاسلامية جمعية الكتلة الاسلامية التي أخذت على عاتقها إظهار وجهة نظر هذه الطوائف من النواحي الحقوقية والمعنوية والسياسية . وفي ٢١ تموز تقدمت الكتلة بمذكرة إلى الرئيس نقاش تشكو من الإجحاف اللاحق بحقوق المسلمين . وشكلت عقدة الاجحاف هذه محوراً أساسياً لتخوفهم من الاعتراف بالكيان اللبناني . والتعامل مع الفرنسيين (٣٢) .

مع بداية الحرب الثانية اتجهت أنظار المسلمين نحو المحور وتعاون عدد كبيرٌ من

(٣١) Idem.

(٣٢) انظر الملحق رقم ٣

اللبنانيين والسوريين مع مخابراته كشكري القوتلي واحمد الداعوق وسامي الصلح وكامل مروة والحاج أمين الحسيني . وعند دخول جيوش الحلفاء سوريا ولبنان أقام بعض القيادات الاسلامية جسوراً من التفاهم مع الانكليز . فقد شرح رياض الصلح باسهاب للضابط السياسي البريطاني في حديث معه وجهة نظر المسلمين منذ ولادة لبنان الكبير .

جاء في التقرير الذي أعده Furlonge «اشتكى رياض الصلح من أن المسلمين الذين يشكلون نصف عدد سكان لبنان ، ما زالوا يعانون منذ ٢٠ عاماً من التمييز المنهجي الذي فرضته عليهم سلطات الانتداب ، الذي كانوا يتبعون سياسة دعم المسيحيين ويعتبرون المسلمين أعداء كامنين لهم . كان المسيحيون يفضلون بكثرة في المجال الثقافي . المدارس المسيحية لم تكن فقط تضم عدداً أكبر بكثير من المدارس الاسلامية الخاصة بل كان قبولهم أسهل بكثير في المدارس المتعددة التي تدعمها فرنسا . مستوى التعليم والثقافة الأوروبية كانت أعلى بكثير بين المسيحيين .

بالنتيجة فان نسبة كبيرة جداً من المسيحيين كانوا يتكلمون الفرنسية الصحيحة وكان بامكانهم نقل وجهة نظرهم للأجانب بسهولة أكثر ما هي متوفرة للمسلمين . وفوق ذلك فان عدد المسلمين المحتلين للمراكز الحكومية كان أقل بكثير من عدد المسيحيين وهذا ما كانت تكرهه الطوائف الاسلامية لأنها لا تعامل بعدل .

وأضاف رياض الصلح أن هناك اتجاهاً في كلا الأوساط الفرنسية والبريطانية بتصنيف جميع المسلمين تحت شعار «ما تحت المحور» وهذا ما أنكره بشدة . معظم المسلمين كانوا في البدء محبذين للألمان لأنهم رغبوا في الهرب من الهيمنة الفرنسية ، لكنهم شعروا باختلاف تام عند بريطانيا العظمى ، والموالية لعاطفة الاسلام . وقال بأن المسيحيين كانوا موالين للفرنسيين بثقافتهم وبعلاقتهم ، ومهما كانوا ينددون بالفرنسيين في الوقت الحاضر ، فانهم دائماً ينحازون للفرنسيين عندما تقف فرنسا على رجليها وتمد لهم يد المساعدة» .

وأخيراً ذيل Furlonge تقريره بوجهة النظر التالية : «يجب ان تخدم مصالحنا أكثر بالاتفاق مع المسلمين ، الذين يعملون لصالح انكلترا أكثر مما كان يعمله المسيحيون اللبنانيون بالمقارنة .

ومن الواضح بأن ملاحظات رياض الصلح كانت جزءاً من توسل خاص . اني أوافق معه بالنسبة لضرورة عدم تجاهل المسلمين عندما نفكر بسياسة لبنان الداخلية . وربما صح القول بأن الأغلبية العظمى من المسلمين لا يرغبون بتشكيل جزء من دولة لبنان ليس لأن

عندهم حماساً لفكرة الاستيعاب في سوريا ، واقل من هذا في اتحاد عربي ، لكن لخوفهم من الاستمرار بتفضيل المحبذين للمسيحيين والمستوحين لليسوعية في لبنان .

ولسوء الحظ فانهم من ذوي العاهات الكبيرة بسبب نقص التعليم عندهم ، والأكثر من هذا لعدم اتحادهم ونقص القادة القادرين . رياض الصلح نفسه الذي هو بطبيعته ناقد ومعترض أكثر من كونه قائد بناء هو الملحوظ الوحيد بينهم ومع أن التنافس الاسلامي المسيحي يكشف دائماً عن عداوة ظاهرة فهو ما يزال خفياً تحت السطح ، كلا الفريقين يهتمان أكثر بوضعهم الديني دون وضعهم العام كلبنانيين» (٣٣) .

أعقب دخول جيوش الحلفاء بلدان المشرق انفتاح أكبر للقيادات اللبنانية على العالم العربي . وقد ساعدت عوامل متعددة على هذا الانفتاح منها :

- وجود قوى سياسية وجماهيرية مرتبطة بانتمائها القومي العربي الوحدوي .
- ظهور قيادات مسيحية وبالتحديد مارونية وعت أهمية الانفتاح على العالم العربي كمجال اقتصادي للبرجوازية اللبنانية .
- دعم بريطانيا العظمى استقلال لبنان وسوريا بهدف تعزيز وجودها في البلدين . وعند ادراكها قوة ضغط الحركة الوطنية في مصر والعراق سارعت لمنح البلدين استقلالها الشكلي وتسليم مقاليد الحكم إلى عناصر محلية موالية لسياستها كالنحاس باشا في مصر ونوري السعيد في العراق والأمير عبدالله في شرق الأردن . في نفس الوقت شجعت قيام هياكل وحدوية تكون تحت رقابتها . ودفعت بالتالي قيادات الدول الثلاث لترؤس الهياكل الوحدية مما دفع كلاً منهم لإقامة علاقات شخصية مع بعض الحكام العرب الآخرين لكسب تأييدهم على حساب المنافسين الآخرين .

ما إن تولى النحاس باشا زمام السلطة في مصر حتى انصرف لمعالجة شؤون الدول العربية . وكان أول اتصال له بهذا الشأن دعوة جميل مردم من سوريا وبشارة الخوري من لبنان لزيارة مصر للبحث معهما في شؤون بلديهما .

عن لقاء القادة الثلاثة في القاهرة كتب رئيس الكتلة الدستورية بشأن العلاقة بين لبنان والعالم العربي «ان لبنان يريد استقلاله التام ضمن حدوده الحاضرة ، واننا نريد التعاون مع الدول العربية إلى أقصى حد ، على هذا الأساس ، ثم استدركت أن عدداً من المسيحيين لا

(٣٣) F.O. 226 doct 233 Juin 1942.

يعتنق هذا المذهب ، وقد يعاكسه الاعتقاد بضرورة حماية أجنبية لبلاده . أما أنا ورفقائي فمقتنعون بهذه النظرية ، ومستعدون للدفاع عنها ولتنفيذها» (٣٤) .

أنهى الزعماء الثلاثة محادثاتهم بلقاء ضمهم والمستشار الشرقي في المفوضية البريطانية بالقاهرة . ووضع على أثر ذلك مذكرة رفعت للجنرال كاترو وجاء فيها :

ـ نطالب بعودة الحياة الدستورية لسوريا كما كانت الحال قبل العام ١٩٣٩ ، من إعادة رئيس الجمهورية إلى مقره وتعيين حكومة جديدة بواسطة الرئيس ويتبعها انتخابات حرة ومفاوضات لأجل وفاق مؤقت مع الحلفاء .

ـ بما أن الوضع في لبنان يختلف عن سوريا من حيث أن تعيين الفرد نقاش الرئيس القديم لرئاسة الدولة لم يكن دستورياً وبأن البرلمان السابق لم يمثل البلد ، يجد القادة الثلاثة بأن ثلاثة أرباع البلد يشكلها الموارنة والسنة وكلاهما مع البطريرك الماروني ، متفقين لدعم الكتلة الدستورية وهي التي تظهر الأغلبية وهي وحدها تكسب دعم المسلمين والموارنة ، وهذه الفئة مبعدة عن السلطة ، اذ لا شيء يمكن إقامته بدونها وكل حل لا يقبل من قبلها يكون غير شرعي أو دستوري في نتائجه . وهكذا فان الاقتراح يقضي بأن يرفع الفرد نقاش استقالته للجنرال كاترو ويدعو بشارة الخوري لتسلم رئاسة الدولة . وبعدها يتم اجراء انتخابات حرة تنتخب رئيساً للجمهورية وهو الذي يدعو الرجل الذي يتمتع بثقة المجلس ليشكل الوزارة .

ـ إنشاء مكتب للمصالح المشتركة بين سوريا ولبنان بإدارة مجلس سوري لبناني خاضع هيئة لحل النزاع مؤلفة من مندوب فرنسا الحر . والوزير البريطاني في بيروت ، ويكون رئيس وزراء مصر رئيساً لها (٣٥) .

سبق اجتماع القاهرة تطورات سياسية محلية في لبنان تنذر بسوء إدارة أنصار الانتداب وحالة الفوضى التي تعانيها البلاد .

قدم الوزير واصف عز الدين استقالته من وزارة التجارة لأن الحكومة تتحمل مسؤولية الفوضى التي تتخبط فيها خدمات التموين . فيما راحت السلطات الفرنسية تضغط على الحكومة للتخلص من حميد فرنجية وزير الخارجية الذي يمارس على الدوام سياسة معادية للفرنسيين داخل الحكومة ولأنه ذو خطورة قصوى على المصالح الفرنسية . كذلك مورس

(٣٤) **الخوري، بشارة**: حقائق لبنانية جزء أول مصدر مذكور ص ٢٤٥

(٣٥) F.O 226 doct 233 le 11 Juin 1942.

ضغط على الفرد نقاش لتحسين علاقته بالبطريرك الماروني وتشكيل حكومة تأخذ بالاعتبار رغبات المعارضة بهدف الالتفاف على تنامي دورها . لهذه الغاية أوفد الجنرال كاترو الكولونيل Faure رئيس المحكمة العسكرية في بيروت في زيارة إلى بكركي للوقوف على رأي البطريرك بشأن تشكيل مجلس استشاري من ٦٣ شخصاً يعينون وليتسلم منه قائمة بأسماء يراها مناسبة داخل المجلس . من ناحية أخرى اتصل المستشار الفرنسي دافيد بخالد شهاب ليضعه في اجواء ترؤسه حكومة جديدة شرط أن لا تتضمن عناصر حزبية والمقصود فيها موالية للانكليز . قبل شهاب العرض شرط أن تضم الحكومة كميل شمعون وسليم تقلا أرضاءً للانكليز وللمعارضة لأنه من الصعوبة قبول الشروط الفرنسية في ظل الصراع بين دولتي الحلفاء والصعوبات الاقتصادية التي تفترض قيام حكومة برصيد شعبي تأخذ بالحسبان التوازن الدولي . وكل حكومة لا تشكل ضمن هذه المعطيات تبقى أسيرة للانتداب واحراق سياسي لزعماء في حكومة ضعيفة . رفض دافيد مقترحات خالد شهاب ، وحسب مصدر بريطاني ، لأن سليم تقلا مدير مؤامرات ومكائد ورجل حزبي في حين أن كميل شمعون «انكليزي أكثر من اللازم» (٣٦) .

أما البطريرك الماروني فلم يتجاوب مع الدعوة الفرنسية التي تبقي ألفرد نقاش على رأس السلطة . من هنا بقيت المعارضة على تماسكها ضد الانتداب ساعدها في موقفها اشتداد أزمة التموين إذ أن الاعاشة تأخرت عن أهالي بيروت وقامت تظاهرة أمام السراي والمجلس البلدي .

إذن لم يبق أمام كاترو إلا الإقدام على خطوة لإرضاء الرأي العام والمعارضة . وذلك بدفع الحكومة للاستقالة . في ٢٣ تموز كلف سامي الصلح بتأليف الوزارة . كان لهذا الاختيار فعل تهدئة على المعارضة لما لعائلة الصلح من مكانة في الأوساط الاسلامية والعربية اضافة إلى موقف الحياد في الصراع الدائر بين اده والخوري (٣٧) .

لم يكن سهلاً على سامي الصلح تشكيل الحكومة لأن البريطانيين والفرنسيين يريدون

(٣٦) Idem doct 309 le 10 Avril 1942.

(٣٧) ارسل اعيان النبطية برقية شكر إلى الجنرال سبيرس لأنه ساهم في تسمية سامي الصلح رئيساً للحكومة.
cité F.O 226 doct 233 le 29 Juillet 1942.
كذلك أعربت برلين عن غبطتها لتسمية سامي الصلح في مركز الوزير الأول.
cité F.O 226 doct 309 le 10 Aout 1942.

الموافقة على كل عضو يراد تسميته في الوزارة إلى جانب التوفيق ما بين الزعامات المستوزرة ومؤيديها . اشترط اميل اده تأليف حكومة من أشخاص لا ينتمون إلى حزب سياسي ولكن اذا صمم الجنرال كاترو على تشكيل حكومة أئتلافية فانه يصر على ان يكون لحزبه تمثيل يساوي لحزب بشارة الخوري . هذا الأخير أصر على ثلاث مقاعد وزارية كحد ادنى بينها حقيبة الداخلية وضرورة حصر نشاط رئيس الجمهورية ضمن صلاحياته . شكلت حقيبة الداخلية صلب الخلاف بين اده والخوري لأن الذي ستكون من نصيب حزبه سيملك التأثير على مجرى الانتخابات فيما لو حصلت عبر تغطية مخالفات كثيرة للانصار وخاصة الوجهاء والقبضايات .

كذلك اشترطت المعارضة للاشتراك في الوزارة أن تضمن بريطانيا تأمين التموين للبنان . أما وجهة نظر البعثة البريطانية فقد حملها الكابتن عرب إلى سامي الصلح وتتلخص بالتالي :

ــ لا تدعم البعثة حكومة ليست موافقة على تأليفها .

ــ لا ترغب البعثة بفرض مرشحين ، لكنها تعترض على ترشيح شخصيتين هما أحمد الأسعد ورامز سركيس .

وحسب المصدر البريطاني «ان حكومة جلالته تؤكد على أن ادخال احمد الأسعد في الوزارة اللبنانية الجديدة غير مرغوب فيه أبداً من وجهة النظر السياسية وان ادخاله سيسيء إلى سمعة الوزارة وقد يثير اضطرابات قد تستدعي بالنهاية القوات البريطانية لمعالجتها . والبعثة البريطانية لها ملء الثقة بأن تحسب لهذه الأعتبارات حسابها الكامل» [٣٨] .

اشتد الجدل بين الموقفين الفرنسي والبريطاني بخصوص ادخال احمد الأسعد الوزارة . يرى الفرنسيون ان أحمد الأسعد يمثل قوة كبيرة بين أوساط الشيعة في لبنان الجنوبي ويظهر اخلاصه للكيان اللبناني وللحلفاء وهو قوي الارتباط بفرنسا . لهذا من الخطأ ابعاده . ويجد الفرنسيون أيضاً في اعتراض بريطانيا على الأسعد أنه ابتعد عنهم وأصبح ذا ميول فرنسية [٣٩] .

تغلب أخيراً الموقف البريطاني وشكل سامي الصلح حكومة أخذت بالاعتبار الاعتراضات المحلية والخارجية . فاختار موسى نمور كحل وسط بين اده والخوري لحقيبة

(٣٨) F.O 226 doct 309 le 25 Juillet 1942.

(٣٩) Idem.

الداخلية وحل احمد الحسيني بدل أحمد الأسعد وجورج كفوري كبديل لرامز سركيس .

بدون شك يعتبر التغيير الحكومي انتصاراً للمعارضة بما هي خطوة سيعقبها خطوات أخرى لأن المطالب الأساسية للمعارضة هي الانتخابات والعودة إلى الحياة الدستورية . ذلك ما حدا بالجنرال ديغول للقيام بزيارة مفاجئة إلى بيروت لاعادة الأجواء الطبيعية بين البطريرك والجنرال كاترو. لم تأت زيارة ديغول بجديد على صعيد تلبية المطالب للمعارضة بل طرح سياسة تتسم بالحذر ومتخلفة عن نص اعلان حزيران ١٩٤١ . فأعلن أن سوريا ولبنان غير جاهزتين ولسنوات عدة للاستقلال وأن كل كلام عن الانتخابات سابق لأوانه . واعتبر تأييد سبيرس لاجراء الانتخابات في بيان له عام ١٩٤٢ يثير الحساسية لدى الفرنسيين باعتبار أن اجراء الانتخابات في ظل التواجد العسكري للحلفاء يعني انتصاراً للمعارضة . تزامن اعلان ديغول مع الطلب من حكومة لندن بنقل الجنرال سبيرس من بيروت لأنه يتعارض والسياسة الفرنسية في الشرق .

من جهة أخرى باءت بالفشل المراهنة الفرنسية على فرط جبهة المعارضة لأن الظروف التي ساعدت على إقامتها ما زالت كما هي بل تفاقمت إلى حد أن رئيس الحكومة سامي الصلح لم يعد يأخذ بآراء المستشارين الفرنسيين بالادارة . وحرص على أن يكون فوق نزاعات اده والخوري وفرض توازناً بين جميع الأحزاب ليحتفظ لنفسه بالمبادرة في كل شأن يتعلق بالدولة ، فنجح في التخفيف من أزمة التموين . وساعد الصلح في نجاحه أن المعارضة كانت لا تملك خطة معينة لبناء نظام بديل لنظام الانتداب ، بقي الحافز الأساسي لها شخصياً وبعيداً كل البعد عن المفهوم الوطني للمعارضة .

وحسب مصدر بريطاني لم تبق حكومة الصلح في السلطة سوى سبعة أشهر بسبب اغتنام رئيسها كل فرصة لأختيار المسلمين لأشغال وظائف في الدولة وكان يتحدث على نسق اسلامي . بل أنه لم يعترض على الاستقبال الذي جرى له خلال زيارته لمدينة صور عندما رفعت الاعلام السورية والقيت الخطابات المطالبة بالاتحاد السوري اللبناني . كان هذا النهج السياسي لسامي الصلح كافياً لحشر المعارضة المسيحية ويسهل للفرنسيين تحريك انصارهم . تولت جريدة «العمل» التصدي لسياسة الصلح في مقال عنيف وقعه رئيس الكتائب بيار الجميل مركزاً بشكل أساسي على ما حصل في مهرجان صور . تلك المقالة نشرت ثانية في صحيفة البشير الخاضعة للجزويت دون غيرها من الصحف . وتؤكد المصادر البريطانية ضلوع سلطات الانتداب في تحريك الكتائب لأن الرقابة التي تقع تحت سلطة الفرنسيين لو لم تكن راضية لم تسمح بنشر المقال .

وتضيف هذه المصادر بأن الكتائب اقترحت متابعة الحملة بواسطة مظاهرات نظمت لتخلق وضعاً يبرر تدخل الفرنسيين ، حتى يقال بأن هذا التدخل قد يأخذ شكل انتخاب حاكم فرنسي للبنان مع مستشار مسيحي . وقد اتخذت خطوات لاظهار ذلك عبر طرق غير مباشرة ليكون بعيداً عن كل اعتراض من الحلفاء . لكن الخوف من أن تعود مظاهرات الكتائب إلى مظاهرات مضادة عند النجادة قد تثير الحزازات بشكل كبير بين المسلمين والمسيحيين ، لذلك استدركت السلطات الفرنسية خطورة الأمر واستدعت بيار الجميل وحذرته من متابعة هذه الحملة الخطرة (٤٠) .

تحت تأثير المعارضة والبريطانيين دفعت سلطات الانتداب إلى اتباع سياسة ايجابية . ففي تشرين الثاني ١٩٤٢ حصل الجنرال كاترو على اذنٍ أولي من «اللجنة الوطنية» التي تتخذ الجزائر مقراً لها بتقديم تصورٍ يسهل اعادة الحياة الدستورية إلى بلدان المشرق . خلال شهر كانون الثاني ١٩٤٣ صدر اعلان باسم جان هيللو بالقبول باجراء انتخابات عامة . تلازم الاعلان مع قيام الجنرال كاترو باتصالات مع القوى السياسية في سوريا ولبنان تتعلق بالوقوف على آرائهم في حكم بلديهم . في دمشق استدعى كاترو جميع الوزراء والنواب السابقين وعرض عليهم كاترو اعادة البرلمان السابق مع تطبيق معاهدة ١٩٣٦ السورية الفرنسية (٤١) . لكنّ قوبل بمعارضة القيادات السورية لأنهم غير مستعدين ليمنحوا الفرنسيين في الظروف المستجدة ما كان بمقدورهم الحصول عليه في السابق .

طرح نفس العرض في مقابلة بين الجنرال كاترو ورياض الصلح حيث أكد الأخير أن التيار الذي يمثله يؤيد اتحاداً فيدرالياً بين لبنان والبلدان العربية ويعارض كل تقسيم للبنان . ثم راح يظهر مدى فشل ادارة الانتداب الفرنسي في تشجيعها المنظم للمسيحيين على حساب المسلمين . في حال التجاوب مع مطالبه أبدى رياض الصلح استعداده لمنح الفرنسيين مركزاً ثقافياً وربما اقتصادياً بارزاً بشرط صيانة سيادة واستقلال لبنان من كل اجحاف (٤٢) .

ما جرى بين كاترو والزعماء اللبنانيين من اتصالات لم يشارك فيها الفرد نقاش الذي اعتبر ما يجري هو على حساب ابعاده من السلطة ارضاءً للمعارضة وعلى رأسهم البطريرك عريضة . لهذا اتفق النقاش مع رئيس حكومته لاتخاذ موقف متصلب تجاه ممارسات

(٤٠) F.O. 226 doct 233 le 18 Septembre 1942

(٤١) F.O 226 doct 240 le 21 Mars 1943

(٤٢) F.O 226 doct 240 le 4 Mars 1943

المستشارين الفرنسيين حتى وصل بهم الأمر لارسال احتجاج للمفوضية الفرنسية ينكرون حقها في الاعلان عن اجراء انتخابات وهذا ما يتعارض مع الاعتراف باستقلال لبنان عام ١٩٤١ . جاء الرد الفرنسي على مواقفهما بشكل رسالة من الجنرال كاترو إلى الرئيس نقاش وقد صيغت بعبارات شديدة تذكرهم صراحة بأن انتداب فرنسا على لبنان ما زال قائماً بموافقة عصبة الأمم التي تعتبر صاحبة الصلاحية لتقرير كل ترتيبات انتخابية (٤٣) . حاول النقاش وسامي الصلح تدعيم موقفهما بالإيعاز لأنصارهما بتسيير مظاهرات تؤيدهم . كانت المناسبة الاحتفالات بذكرى المولد النبوي في ٨ آذار ١٩٤٣ اذ خرجت مظاهرة في الجامع العمري الكبير في بيروت تعلن تأييدها لمواقف الصلح ـ النقاش . في نفس اليوم أصدر الجنرال كاترو قراراً رقم ١٣١ بإقالة الرئيس نقاش وحكومته ليخلفهما حكومة برئاسة أيوب ثابت تكون مهمتها الاشراف على اجراء انتخابات استعداداً لاعادة العمل بالدستور فور تشكيل المجلس النيابي . حتى تكون الانتخابات التشريعية الوسيلة الوحيدة للتمثيل الشعبي . تم تعديل عدة مواد في الدستور اللبناني لعام ١٩٣٦ وهي (٢٤ ـ ٣٠ ـ ٤١ ـ ٤٢) . طال التعديل المذكور الغاء تعيين النواب وهم يعادلون نسبة الثلث من اعضاء المجلس النيابي . كذلك عدلت المادة ٤٩ من الدستور لتعطي المجلس الحق بانتخاب رئيس الجمهورية اذ لم يبق أمام المفوضية الفرنسية إلا اتخاذ الخطوات الادارية لإجراء الانتخابات من جهة والاشراف عليها بنزاهة من جهة أخرى .

كان يمكن حصول ذلك لو أن الانتداب الفرنسي مقتنع بحق الشعب اللبناني بالسيادة وممارسة حقه الديمقراطي بتفويض من يشاء من ابنائه لتولي السلطة .

(٤٣) F.O 226 doct 240 le 17 Mars 1943 .

ازمة المرسومين ٤٩ و ٥٠
كما عرفها لبنان عشية الاستقلال

لم يكن رضوخ فرنسا لمطلب المعارضة باجراء انتخابات نيابية في لبنان نهاية المطاف في المواجهة بين الفريقين . بل راحت المفوضية العليا الفرنسية تعمل على الالتفاف على هذا الاجراء بالمراهنة على شق المعارضة لتجنب مواجهات أخرى مع برلمان جديد تكون أكثريته معارضة لسياستها ويعمل على اخراجها من لبنان . اختارت لهذه المهمة أيوب ثابت المعروف «بنزعته اللبنانية المصطبغة بمسيحية متطرفة»[1] . رئيساً للدولة ليخلف الفرد نقاش الذي بسببه وقع الخلاف بين الانتداب والبطريرك الماروني عريضة .

لم تكن تسمية ثابت سبباً كافياً لتراجع البطريرك عن موافقة من الانتداب ، لكن احدث صدور المرسومين ٤٩ و ٥٠ ، بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٤٣ ، شرخاً كبيراً في جبهة المعارضة وشكل تهديداً جدياً لوحدة لبنان .

ورد في البند الرابع من المرسوم ٤٩ «يتألف عدد الأهالي من الوطنيين المقيدين في سجلات الأحوال الشخصية بتاريخ ٣١ كانون الأول سنة ١٩٤٢ ويضاف اليهم الأشخاص غير المقيدين في هذه السجلات وأصلهم من لبنان ومحل إقامتهم في الخارج وقد اختاروا الجنسية اللبنانية» . في حين أن المرسوم ٥٠ حدد عدد النواب بـ ٥٤ نائباً موزعين بنسبة ٣٢ مقعداً للطوائف المسيحية في مقابل ٢٢ مقعداً للطوائف المحمدية . أثار المرسومان احتجاجاً اسلامياً اذ اعتبر المسلمون ذلك تمادياً كبيراً في الانتقاص من حقوقهم في التمثيل النيابي . ففي ١٩ حزيران ١٩٤٣ لبى الزعماء المسلمون الدعوة إلى اجتماع في بيت مفتي الجمهورية اللبنانية انذاك محمد توفيق خالد وقرروا الآتي :

أ ـ الطلب من الفرنسيين الغاء هذين المرسومين . فاذا لم يستجب لطلبهم :

ب ـ الطلب باحصاء جديد فاذا لم يفعلوا .

---

(١) الخوري، بشارة: حقائق لبنانية الجزء الثالث مصدر مذكور ص ١٣ .

ج ـ الاحتجاج لدى ممثل فرنسا ، بريطانيا ، امريكا ، مصر والعراق .
د ـ مقاطعة الانتخابات .

في أثناء اعداد هذه المقررات وصل ممثل فرنسا هيللو إلى بيت المفتي بزيارة مجاملة كان قد رتب موعدها سابقاً فعرض المجتمعون عليه المقررات التي لم يعلق عليها بل اكتفى بالطلب من المجتمعين أن لا يعطوا أهمية كبيرة للقرارات . اذ ان النوعية أهم من الكمية في المجلس ، وان عدم التكافؤ العددي بين عدد النواب المسلمين والمسيحيين سيعوض بالتعيين . علماً بأن قانون الانتخابات لم يلحظ ذلك . كذلك تمنى الكولونيل جنادري على الحاضرين عدم ارسال أي احتجاج إلى البريطانيين لأن ذلك ليس من شأنهم [٢] .

انهى المجتمعون في بيت المفتي لقاءهم بتشكيل لجنة مؤلفة من المفتي ، رياض الصلح ، احمد الداعوق ، عبدالله بيهم ، عبدالله اليافي ونحو ثمانية مرشحين آخرين . اجتمعت هذه اللجنة في ٢٠ حزيران وحضرت مسودة احتجاج لرفعها إلى ممثلي الدول الأجنبية المعتمدة في بيروت . اعترض عبدالله اليافي وجميل مكاوي [٣] (رئيس النجادة) على ارسال الاحتجاج إلى البريطانيين لكنهما في نهاية الأمر وقعا على العريضة . وعلى الاثر صرح رياض الصلح بأن الطريقة المكشوفة التي يناور بها المسيحيون بشأن المرسومين تشعر بأن لا فائدة من اشتراك المسلمين في الانتخابات بعد الآن ويتوجب عليهم الرجوع إلى موقف التحفظ وعدم المساهمة مع لبنان وان يتمسكوا بمطالبهم بعودة الأقضية الأربعة التي ضمت إلى لبنان . ولتأمين اجماع اسلامي تتمثل فيه كل المذاهب الاسلامية ومناطق تواجدها دعت الجمعيات المحمدية في بيروت إلى مؤتمر عام يعقد في نادي جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية للبحث في مرسومي الحكومة وشاركت في الاجتماع ، الذي انعقد في ٢١ حزيران ، كل الطوائف الاسلامية برئاسة مفتي الجمهورية الذي القى كلمة الافتتاح وفيها . «نجتمع اليوم لبحث قضية تهم الطائفة الاسلامية وتهم اللبنانيين جميعاً ـ ذلك أن اختلال المساواة يثير المشاحنات بين الطوائف المختلفة التي يتألف منها لبنان . ويكون سبباً في التباعد الذي نحاربه ولا نرضاه لابناء امتنا ، فاذا نحن طالبنا اليوم بشدة ، كما كنا نطالب في الماضي

(٢) F. O 226 doct 240 le 21 Juin 1943.

(٣) تشير مصادر الأرشيف البريطاني بأن جميل مكاوي كان على علاقة بالمخابرات الفرنسية وان زوجته الفرنسية كانت موظفة في هذا الجهاز . وبسبب موقف مكاوي انقسمت منظمة النجادة على نفسها وترأس الجناح المعارض الدكتور انيس الصغير .
cité F.O 226 doct 240 le 21 Juin 1943.

بالعدل والمساواة فلمصلحة الجميع . هذا ما نريد أن يفهمه ابناء طائفتنا وما نرجو أن يعرفه اخواننا ابناء الطوائف الأخرى . . . » .

بعد ذلك وقف عبد الحميد كرامي ليشير إلى أن «ما من قوة تحت السماء تستطيع أن تحملنا على البقاء في الكيان اللبناني إلا اذا كان عربياً ومن صميم بلاد العرب» فيما القى كلمة بني معروف بهيج تقي الدين وبالنيابة عن الأمير مجيد ارسلان الذي كان حاضراً في المؤتمر فقال «لا طوائف محمدية وانما هم كلهم طائفة واحدة اسلامية وان بني معروف الذين جبلت أرض هذا الوطن بدمائهم ذودا عن حياضه على ممر الأجيال ، والذين يبلغ عددهم مائة الف على رغم أرقام الاحصاءات الرسمية الخاطئة ، قد اتوا إلى هذا المؤتمر ليعلنوا أولاً ، انهم جنود الاسلام ثم ليحتجوا على الأجحاف اللاحق بالمحمديين عموماً ، وليطالبوا بازالته» ثم أضاف «ان بني معروف يودون أن يعيشوا مع اخوانهم جميعاً في الفة واخاء تامين . ولن تكون الفة ما لم يشعر كل فرد بأنه في هذا الوطن غير مغبون الحقوق ، وان لبنان ليس إلا وطناً قومياً عربياً يتساوى فيه الجميع» .

أما موقف جبل عامل فقد عبر عنه الشيخ سليمان ظاهر الذي قال «لا طوائف هنا وشيع ، بل فروع لشجرة واحدة هي الاسلام وأعلن تضامن الشيعة في لبنان مع اخوانهم في كل ما يقرره هذا المؤتمر» .

في نهاية المؤتمر أعلن أمين السر المنتخب المحامي حسني أبو ظهر المقررات التي اتخذت في بيت المفتي بتاريخ ٩ حزيران ونالت موافقة الحاضرين [٤] .

لم تسمح الرقابة بنشر هذه المقررات والمداخلات في الصحافة . من جهة أخرى أصرت حكومة الرئيس ثابت على موقفها من الانتخابات وحددت تاريخ ٢٦ و ٢٧ أيلول موعداً لاجرائها على أن يسبقها احصاء عام توزع نسب المقاعد النيابية على الطوائف بناء عليه . تجاوبت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي مع موقف حكومة ثابت ضمن شروط :

١ ـ ان يجري الاحصاء تحت اشراف لجنة حيادية ونزيهة .
٢ ـ بناء على النتيجة توزع المقاعد النيابية .

ما جرى في حينه اعتبرته بريطانيا فرصة سانحة لها للعب دور يصب في خدمة سياستها الشرق أوسطية علماً بأن مشاريعها واهمها اقامة سوريا الكبرى تبقى على رأس الأولويات ،

(٤) مقررات مؤتمر الطوائف الاسلامية المنعقد في بيروت يوم الاثنين في ٢١ حزيران ١٩٤٣ (موجودة في مكتبة الجامعة الأميركية بيروت) .

ولا يتحقق الأمر إلا بالاستفراد بالنفوذ في المنطقة بعد طرد فرنسا . ففي تقرير لممثلها في بيروت تحت الرقم ٣٧٩ يعرض مآل تطورات الأزمة وما يراه من حل لخدمة سياسة بريطانيا في الشرق وقد ورد في التقرير «ان أيوب ثابت يحاول تأجيل الانتخابات إلى اجل غير مسمى لكي يحتفظ بوضعه شبه الدكتاتوري .

ويبدو أن هيللو كان متضايقاً من تدني سبل العيش المتبعة ولعدم قدرته على ايقافها فهو على الأرجح يؤيد سياسة الدكتور ثابت الارجائية .

أما المسلمون المتحدون في الوقت الحاضر أكثر من أي وقت مضى حتى ما قبل عشرين سنة ماضية فهم يدركون أن من غير المرجح أن يصلهم ما يرضيهم عن طريق الشرائع الانتخابية وبالتالي فبعض زعمائهم ، وبالأخص رياض الصلح ، يحاولون أن يدفعوهم كطائفة ليس لمقاطعة الانتخابات فحسب ، بل للمطالبة باستقالة الدكتور ثابت أيضاً وللافصاح عن عدم قدرتهم على المساهمة في الدولة اللبنانية في تركيبتها الحاضرة معللين ذلك بانه طالما أن الفرنسيين موجودون ويدعمون مواقف المسيحيين في السيطرة على لبنان لن تكون لهم حصة عادلة . وتبعاً لذلك فالزعماء المسلمون يفكرون بالتقدم بالطلبين الآتيين :

- أن يتحد لبنان فدرالياً في دولة واحدة محتفظاً بقدر ما من الحكم الذاتي المحلي أو اذا كان هذا غير مقبول من المسيحيين.
- أن المناطق الأربعة التي ضمت إلى لبنان في العام ١٩٢٠ ، بما فيها طرابلس تعاد إلى سوريا وبوضع لبنان ، وقد اعيد إلى حدود ما قبل ١٩١٤ ، تحت سيطرة دولية وتجعل بيروت مرفأ حراً .

موقف المسلمين هذا هو أيضاً عامل مهم لأنه اذا استمر فيعني أن لبنان سيكتب له الاستمرار في وضعه الحاضر تحت ظروف أقرب إلى حماية فرنسية منها إلى دولة ذات سيادة . يبدو لي أن موقفنا بأكمله تجاه مفهوم «لبنان المستقل» . يجب أن يعاد بحثه في ضوء هذا العامل .

كل المعلومات التي في حوزتي توحي بأن اللبنانيين انفسهم ما عدا القليل من المسيحيين المتعصبين غير الواقعين ليس لديهم أي حماس للبنان مستقل . ويمكن القول بشكل عام أن المسيحيين ككل يريدون فقط الحماية من المسلمين وليس بينهم خلاف الا على من ستكون الدولة الحامية هل هي بريطانيا ، فرنسا ، والولايات المتحدة الأميركية أو تشكيله من الدول الثلاث .

والمسلمون ، ومعه انهم على العموم يرغبون دوام الحكم الذاتي ، فجميعهم يؤيدون اتحاداً سياسياً واقتصادياً مع سوريا كمرحلة أولى نحو اتحاد عربي أوسع . فلبنان الحالي هو ، في الواقع ، مخلوق اصطناعي أوجدته السلطة المنتدبة الفرنسية بدون مبررات سياسية واقتصادية ولا يسانده سوى فرنسا التي تأمل بأنها ، باحتفاظها به ، تستطيع أن تسيطر على المناطق السورية المجاورة .

حتى الآن أمكننا الاجابة على الأسئلة التي تستوضح وجهات نظر حكومة جلالته عن مستقبل لبنان . . . » (٥) .

مع اشتداد الأزمة تحرك كل فريق لبناني للاتصال بقوى خارجية وعربية لكسب الدعم لمواقفه . بعض القيادات الاسلامية استوضحت الموقف البريطاني طلباً للدعم باعتبار أن فرنسا هي السند الأساسي لمواقف المسيحيين ، خصوصاً الموارنة ، وهم بالتالي عاجزون عن تغيير سياستها في المشرق القائمة على تغليب موقف الأقليات على الأكثرية . مصادر الارشيف البريطاني تشير إلى زيارة قام بها رياض الصلح ، عبد الحميد كرامي وصائب سلام بصفتهم الشخصية ، يوم ٢٩ حزيران إلى ممثل لندن في بيروت للبحث في موقف المسلمين ، وذكروا انهم ، وحتى حين الاعلان عن الترتيبات المتعلقة باحصاء السكان ، لن يستطيعوا أن يحددوا مواقفهم من الانتخابات لأنهم يريدون أن يعرفوا ما هي الوسائل الممكنة لتأمين عدم تزوير الاحصاء . واكدوا انهم توصلوا مؤخراً إلى الاستخلاص بأن المسلمين لا يأملون بالحصول على حصة عادلة في لبنان لأن الفرنسيين يريدونه تحت السيادة المسيحية . وقد عرضوا أن يقدموا ، ان عاجلاً أو آجلاً حسب الظروف ، مطالب على نسق ما جاء في التقرير رقم ٣٧٩ . كما اتفقوا على الطلب الذي سيؤدي إلى وجود عدد من المسيحيين تحت سيادة المسلمين كما يترك عدد أكبر من المسلمين تحت سيادة المسيحيين لكنهم يصرون ان هذه النواقص ليست شيئاً أمام فوائد جعل أكثرية المسلمين الذين في لبنان في الوقت الراهن داخل سوريا . وقد طلبوا المشورة عن الطريقة التي سيقدمون بها مطالبهم وإلى أي حد ستدعمهم حكومة جلالته .

كان جواب ممثل بريطانيا بأنه لا يستطيع أن يعدهم بأخذ أي شيء على عاتقه فوافقوا على أن الكثير من الأمور اخذت على العاتق في الماضي ولم تنفذ بكاملها (٦) .

(٥) F.O. 226 doct 240 le 29 Juin 1943.

(٦) Idem.

نجحت الخطة الفرنسية في اعادة الحياة إلى نفوذها المتزعزع ووضعت رئيس المعارضة للانتداب الفرنسي ، البطريرك الماروني ، كقائد للفريق المدافع عن الخطة الفرنسية واظهرت أن مقررات بكركي في ٢٥ كانون الأول ١٩٤١ كانت سحابة عابرة في العلاقة بين فرنسا وانصارها من اللبنانيين ، وابرزت مجدداً ان التمسك بالوجود الفرنسي هو وحده القادر على صون حقوق الطائفة المارونية وانقاذها من «الذوبان في المحيط العربي الاسلامي» ، كذلك اظهرت أن السياسة الطائفية كمقدمة أساسية للكيان اللبناني اغرقت كل مطالبة سياسية وطنية حول السيادة التامة بمطالب طائفية تقسم اللبنانيين إلى تجمعات طائفية متناحرة . ففي ٩ تموز أدلى البطريرك عريضة ببيان موجة إلى الشعب حول اللغط الحاصل حول المرسومين معتبراً ذلك ادعاءات مدهشة «وراءها زعماء الطائفة السنية من مثيري الضجيج زيادة عن حقوقهم» (٧) . ومن جهة أخرى تلقى أيوب ثابت دعماً لمواقفه من جانب منظمة الكتائب ، وخصوصاً في ما يتعلق بمسألة عدد المغتربين ليكون لهم نفس الحقوق التي للمقيمين .

في تلك المرحلة كانت مصر بزعامة النحاس باشا ، تريد الاضطلاع بدور بارز في سبيل جمع كلمة العرب ووحدتهم ـ ومما لا شك فيه أن بريطانيا كانت تفسح في المجال لمصر والعراق وشرق الأردن ، الدائرة في فلك نفوذها ، للعب دور في المنطقة خصوصاً وانه لا يتعارض ، في معظم الأحيان ، مع سياستها بل بالعكس يساهم في تقليص النفوذ الفرنسي في المشرق العربي . وفي معرض الرد على نداء المسلمين اللبنانيين لرئيس وزراء مصر حيث يطلبون تدخله ، بعث النحاس باشا برسالة إلى الجنرال كاترو اهم ما جاء فيها « . . . وانني لا أخفيكم أن هذا القرار المفاجىء قد أحدث في مصر وفي البلاد العربية كافة ، تأثيراً ليس من السهل ازالته . . . وفي اعتقادي أن القضية اللبنانية يجب أن لا تؤخذ بحد ذاتها فحسب ، بل يجب أن تعتبر بالنسبة إلى القضية الشرقية بمجموعها . . . ويقيني انكم تفهمون أنني لا استطيع الوقوف مكتوف اليدين ازاء نداء الزعماء المسلمين كما أنكم تقدرون ما تركه ذلك النداء من تأثير في مصر والبلاد العربية كافة» (٨) .

يومها اقترح النحاس باشا حلاً لمسألة المرسومين يأخذ بالنسبة التي كانت مقررة في العام ١٩٣٩ وتعطى الطوائف المسيحية ٢٩ مقعداً في مقابل ٢٥ مقعداً للطوائف المحمدية .

---

(٧) Fo. 226 doct 240 le 9 Juillet 1943.

(٨) بيهم، محمد جميل: النزعات السياسية في لبنان مصدر مذكور ص ٧٢ ـ ٧٣ .

ادركت الحكومة الفرنسية عقم سياستها وخصوصاً في قضية المرسومين وما ترتب عليها من تصلب اسلامي ، فقد سارعت لارسال الجنرال كاترو على عجل إلى بيروت لايجاد مخرج للأزمة بعدما عجز هيللو عن الخروج من الشرك الذي نصبه للمعارضة . وفور وصوله بدأ كاترو الاتصالات مع جميع الفرقاء المتنازعين فاستقبله المفتي محمد توفيق خالد محاطاً بوجهاء المسلمين قائلاً له : «المسلمون اعترفوا بالكيان اللبناني وهذا يجب أن لا تتكلم عن لبناني وغير لبناني ، نحن جميعاً كلبنانيين اخوة تعيش تحت سقف واحد» (٩) .

بعد حصيلة اللقاءات مع كل الفرقاء ، وجد الجنرال كاترو ان المعالجة السيئة للأزمة من قبل أيوب ثابت وهيللو كانت حقاً انتقاصاً من حقوق المسلمين ، وفي ١٢ تموز عرض حلاً من بضع نقاط تتضمن الآتي :

أ ـ ان القانون الانتخابي يجب تعديله ليعطي النسب في المقاعد النيابية كما اقترحها النحاس باشا . (وقد ظهر تباعاً أن المقاعد الثلاثة التي ستؤخذ من المسيحيين لتعطى للمسلمين ليس للموارنة بل للأرمن والأقليات والأرثوذكس) .

ب ـ يعطى أيوب ثابت الخيار بالبقاء في سدة الرئاسة شرط أن تسحب منه السلطة والمسؤولية .

ج ـ يعين رئيس حكومة مسلم يتولى السلطة التنفيذية لحين انتهاء الانتخابات .

د ـ تؤجل مسألة تمثيل المغتربين وكذلك مسألة الاحصاء العام لتبحث في المجلس الجديد (١٠) .

عارض البطريرك الماروني والأساقفة واميل اده الفكرة القائلة بعدم ترك أي من المنافع التي جنتها القوانين الجديدة للمسيحيين . وفي اجتماع الأساقفة برئاسة المطران مبارك في ١٤ تموز عبروا عن تصميمهم على فرض الحل لهذا السبب . وفي حديث خاص بين المطران وممثل بريطانيا أظهر الأول بأنه كان يساوم وكان في الحقيقة مقتنعاً بذلك الحل لأنه ترك منافع مهمة مع الموارنة ، لكنه شعر بأنه مجبر على اظهار التعاون مع المذاهب المسيحية الأخرى غير الراضية عن الحل ، وادعى بأنه كان يدافع عن وجهة نظر المسيحيين لكي يكسب ثقة المتطرفين وليكون في وضع احسن ليبذل تأثيراً معتدلاً عليهم . وأضاف بأن الموارنة لا يشتكون أي شيء طالما أن المقاعد الثلاثة ستؤخذ من الأقليات . واجاب أيضاً بانه سيكون

---

(٩) برنس، موسى: في بلاد أدونيس من دون تاريخ ص ١٤٣ .

(١٠) F.O 226 doct 240 le 16 Juillet 1942.

جاهزاً ليرى الأقضية الأربعة ذات الأغلبية الاسلامية تعاد لسوريا شرط أن تبقى منطقة جبل لبنان ومدينة بيروت والبقاع يمرّ به نهر الليطاني ، وهذا يعطي ، بالمقارنة ، دولة مارونية متجانسة قد تصلح كملجأ لجميع الأقليات المضطهدة في الشرق (١١) .

وهكذا ، كما يحصل في كل أزمة تعصف بلبنان ، ينقسم اللبنانيون على أنفسهم ويحاول كل فريق صيانة الوحدة الطائفية على حساب وحدة الوطن ويصبح الكيان بازاراً للتقسيم وللتعديل في صيغته فتختلط على الأكثرية السكانية المصلحة الوطنية ومصلحة الطائفة ، وتبدأ قيادات كل فريق تقديم الصورة المظلمة لاستحالة التعايش . وفي الأرشيف البريطاني مقابلة بين الممثل الانكليزي في بيروت والبطريرك عريضة تؤيد ذلك حيث أخذ الأخير يدافع أمام محدثه عن المسيحية في هذا الجزء من العالم «ولقد قاتلوا ١١ قرناً وسيموتون وهم يقاتلون اذا لزم الأمر . لا يوجد سوى مسيحيين ومسلمين في الصورة وقد صمم المسلمون على محو المسيحيين وكل امتياز يمنحونه يشجعهم في اطماعهم» (١٢) .

على رغم أن الحل الذي توصل اليه الجنرال كاترو والذي بموجبه عين بترو طرادرئيساً وعبدالله بيهم سكرتير دولة مع اضافة مقعد مسيحي في البرلمان بخلاف ما جاء في اقتراح النحاس باشا ، فقد اعتبر البطريرك الماروني ان الحل لا ينصف المسيحيين وطلب من توفيق عواد أن يستقيل من الحكومة ، لكن التدخلات لدى البطريرك حملته على الموافقة على اقتراح كاترو المعدل والذي كما جاء في مناشدة بترو طراد لغبطته «يحفظ لجميع الطوائف حقوقها كاملة غير منقوصة بفضل الاحصاء الذي سيتم في المهلة المحددة له . ويقيني أن هذا النداء سيكون له في قلبكم الكبير الصدى الذي اقدره ويقدره جميع اللبنانيين» (١٣) . وقد رد البطريرك بقوله «نعم . . . لقد اظهرت الأوساط المسيحية كثيراً من التحفظ والخشية ، بل ومن اضطراب الأفكار ، لمناسبة الحلول التي اتخذت مؤخراً اعتقاداً منها بالاجحاف اللاحق بها ، لكننا على رغم ذلك ، وحباً بالمصلحة اللبنانية ، رأينا ان نترك بحث هذا الأمر للمجلس المقبل المنتخب من الأمة على أمل أن يصل كل إلى حقه» (١٤) .

واضح من ذلك ، ان الحل كان مؤقتاً لكنه ، وكما خاطب بترو طراد الشعب اللبناني

---

(١١) Idem.

(١٢) Idem le 29 Juillet 1943.

(١٣) بيهم ، محمد جميل : النزعات السياسية في لبنان مصدر مذكور ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(١٤) Courrier du levant le 6 Aout 1943 N 16 2 eme année.

في ٣ آب ١٩٤٣ «حتى ولو تشبثنا باعتبار هذا الحل مجحفاً بعض الاجحاف بحقوق الطوائف المسيحية فانه يهيء للبنانيين فرصة جميلة ليبرهنوا للعالم ولا سيما للوطنيين المحمديين الأحباء ، انهم ابناء وطن واحد واخوة في لبنان يعرفون جميعاً أن يضحوا بمصالحهم الخاصة في سبيل الوطن المشترك» (١٥) .

على هذا الأساس الطائفي حلت قضية المرسومين . لقد اختاروا حلاً مؤقتاً كان يمكن تطويره في اتجاه جذري عن طريق معالجة واقعية للأسباب . أما وان المعالجة لم تحصل ، فقد بقيت تلك الأسباب فتيلاً تمكن العودة اليه لاحقاً وفي الوقت المناسب .

---

(١٥) Idem le 3 Aout 1943 No 16 2ème année.

القسم الخامس

لبنان من الاستقلال إلى الجلاء

١٩٤٣ - ١٩٤٦

الانتخابات النيابية في العام ١٩٤٣

هذه المرة اكتسبت الانتخابات أهمية كبيرة نسبة لما سبقها . فلم يعد بمقدور المفوضية العليا الفرنسية فرض مرشحيها واستعمال نفوذها لتأتي النتائج بما يطابق رغباتها . ولم يبق لها من وسيلة ضغط سوى الجيش والبوليس واعضاء هاتين المؤسستين سواء كانوا فرنسيين أم لبنانيين استمروا تحت امرتها المباشرة .

فبحجة المحافظة على الأمن كان بمقدور المفوضية العليا التأثير على سير العملية الانتخابية . في ٢٥ آب ١٩٤٣ صدر مرسوم رقم ٣ / ١٣٩٥ كلف بموجبه الجيش المحافظة على النظام خلال فترة الانتخابات التشريعية في لبنان . بالمقابل كان الجيش الانكليزي في المشرق على أهبة الاستعداد للتدخل حتى يكون للمعارضة اللبنانية حظ من النجاح . ولهذه الغاية اتخذ البريطانيون اجراءات لمواجهة كل تدخل فرنسي وذلك عبر تسيير دوريات متنقلة (دورية لكل دائرة انتخابية) تعطي التعليمات ، تتفقد كل مركز في منطقتها مرة أو مرتين خلال يوم الانتخابات[1] .

عملياً تمكن البريطانيون من التدخل بدون حدوث ضجة في حين كان التدخل الفرنسي علنياً خوفاً من نتائجه السلبية عليهم .

هذه النتائج ستحدد الهوية السياسية لرئيس الجمهورية المقبل وبالتالي ستغلب واحداً من اتجاهين .

١ ـ اتجاه الكتلة الدستورية وبدعم بريطاني إلى إزالة الانتداب الفرنسي .
٢ ـ اتجاه الكتلة الوطنية للتمسك بكل مظاهر الوجود الفرنسي في لبنان .

لم يخضع تشكيل لوائح المرشحين لاعتبارات الاتجاهين بل كان هم المرشح الفوز فوق

(١) F.O. 226 doct 240 le 17 Juin 1943.

كل اعتبار . لهذا خضع تشكيل اللوائح في المحافظات لاعتبارات متعددة . فبينما جندت كل القوى السياسية لحل أزمة المرسومين ٤٩ و ٥٠ كان الأعداد للمعركة الانتخابية يسير على قدم وساق وكأنها ستحصل في وقت قريب . فقد تدخل أيوب ثابت في تشكيل لوائح المرشحين على أمل تأمين أكثرية برلمانية قادرة على خوض معركة انتخابات رئاسة الجمهورية بشخصه . وحسب مصدر بريطاني أعلن أيوب ثابت أمام زواره (موسى نمور ، احمد الحسيني ـ حكمت جنبلاط ، محمد عبد الرزاق وراشد المقدم) عن عزمه لترشيح نفسه لمنصب الرئاسة الأولى [٢] .

استعمل التدخل الفرنسي أساليب متعددة في الانتخابات للحؤول دون نجاح المعارضة . واختلف الأمر من محافظة إلى أخرى بحسب خصوصيتها . ففي لبنان الجنوبي رفض المستشاران الفرنسيان برينو ودافيد طلب ترشيح عادل عسيران لصالح نجيب عسيران . لذلك تدخل البريطانيون وتراجع الفرنسيون عن موقفهم ليضعوا خطة تحول دون نجاح عادل عسيران وذلك بتشكيل قائمة في الجنوب برئاسة احمد الأسعد وعضوية يوسف الزين، علي العبدالله، رياض الصلح ، رشيد بيضون ، كاظم الخليل ، محمد الفضل مارون كنعان ، يوسف سالم ، نسيب غبريل . عندها يكون فوز هذه اللائحة مؤمناً نظراً لشعبية مرشحيها وللتدخل الفرنسي . لكن البعثة البريطانية فرضت عادل عسيران على لائحة الأسعد مكان يوسف الزين [٣] .

في ظل اجواء مشحونة بالتوتر شكلت في جبل لبنان قائمتين يرأس كل منها بشارة الخوري واميل اده . وقد مارس ايوب ثابت ضغطاً على حكمت جنبلاط ليحول دون دخوله في قائمة الكتلة الدستورية . كما مورس ضغطٌ على احمد الحسيني للدخول في قائمة اميل اده ، وشارك المفوض فؤاد البريدي باقناع توفيق رزق لتقديم ترشيحه ضد سليم تقلا بناء على تعليمات تلقاها من الحكومة بهذا الخصوص [٤] .

كذلك عزم مكتب الاستخبارات الفرنسي على اعتقال كميل شمعون المرشح على لائحة بشارة الخوري نظراً لعلاقته الحميمة مع الانكليز . فقد وجه له تهمة القيام بزيارة سرية لقرية وادي شحرور في الشوف وتحريض الأهالي على قرع الأجراس ثم النزول إلى

(٢) F.O. 226 doct 240 sans date (en langue francaise).

(٣) Idem le 3 Juin 1943.

(٤) Idem sans date (en langue française).

بيروت ليتظاهروا ضد تخفيض حصة القمح التي كانت سبباً لاقفال بيروت في ذلك الوقت . أمن المكتب الفرنسي أربعة قرويين كشهود زور [٥] . في نفس الوقت طلب المستشار الفرنسي كوتيه من المفوضية العامة فصل خمسة عناصر من الأمن العام للضغط على المواطنين في جبل لبنان للتصويت لصالح لائحة اده . فيما استدعي الأرمن القاطنون في الجبل إلى الأمن العام وهددوا بالسجن في حال التصويت لقائمة بشارة الخوري .

في محافظة البقاع وحسب معلومات مصدرها البعثة الانكليزية أن أيوب ثابت استدعى المفتش الاداري صبحي حيدر ليطلب منه أن يقدم ترشيحه للانتخابات ضد ابن عمه ابراهيم حيدر ، وجرى الطلب بحضور موسى نمور ، ولما أجاب حيدر بأنه موظف وانه ينتظر احالته على التقاعد بعد سنتين ولهذه الأسباب لا يستطيع تقديم استقالته لعمل سياسي . مع ذلك اعطاه أيوب ثابت الضمانة بعدما أكد له انه سيستمر على رأس الدولة لست سنوات [٦] .

في ١٨ آب قام مرشحو البقاع : صبري حمادة وابراهيم حيدر وجوزف أبو خاطر بزيارة الضابط السياسي Furlongue واشتكيا من تدخل الضابطين الفرنسيين بوانيه ورزق في الانتخابات ، وأثارا مسألة استدعاء صبري حمادة لاجباره على أخذ موسى نمور على لائحته . وحسب مصدر بريطاني تباحث الضابط بوانيه مع منافس صبري حمادة في عائلته وهو سعدالله حمادة واغراه بادخال اخيه فضل الله في لائحة موسى نمور [٧] . وفي اليوم التالي على زيارة المرشحين الثلاثة رفع جوزف أبو خاطر إلى البعثة البريطانية مذكرة تفضح أساليب التدخل الفرنسي . تنتهي المذكرة بطلب اجراءات تضمن سير العملية الانتخابية في البقاع :

١ ـ اعطاء أوامر للمستشار الاداري الفرنسي للوقوف على الحياد .
٢ ـ استدعاء قائمقام الهرمل رشيد حمادة ابن سعدالله حمادة .
٣ ـ استدعاء الحاكم الاداري للبقاع مدة فترة الانتخابات .
٤ ـ استدعاء قائمقام بعلبك [٨] .

في محافظة لبنان الشمالي قرر عبد الحميد كرامي تقديم ترشيحه بعدما طالب المسلمون

(٥) F.O 226 doct 240 le 25 Mai 1943 .

(٦) F.O. 226 doct 240 sans date (en langue française) .

(٧) Idem le 18 Aout 1943.

(٨) Idem 1943 .

رفع الفيتو الفرنسي عن قبول ترشيحه وزميله رياض الصلح . لكن قبول ترشيحهما والسماح بفوزهما لن يمر بسهولة كانت المفوضية العليا الفرنسية مقتنعة بأنهما سيشكلان جزءاً من المعارضة في لبنان. شكل عبد الحميد كرامي لائحة من حميد فرنجية وسليمان العلي ونقولا غصن وبطرس الخوري. بالمقابل شكلت لائحة المفوضية الفرنسية من رشيد المقدم نديم الجسر (قاضي شرع طرابلس) وتوفيق عواد . نشط ضابط الامن في طرابلس اليتنان Megrier في تأمين دعم لائحة المقدم . فاتصل ببشير العثمان وخالد عبد القادر ، ولنفس المهمة قام المستشار Montgne بجولة شملت جوزف كرم والمنسنيور كرم . من جهته مارس أيوب ثابت ضغطاً على محمد عبد الرزاق حتى لا ينضم إلى لائحة كرامي (٩) .

كانت معركة الشمال الانتخابية شديدة الالتهاب نظراً لتوازن القوى بين العائلات الشمالية . لذلك كانت نتائج المعركة رهناً بدرجة تدخل القوى الخارجية خلال الحملة الانتخابية رفعت لائحة كرامي عدة شكاوى (١٠) للبعثة البريطانية في بيروت ضد تجاوزات الفرنسيين في الشمال .

● برقية بتاريخ ١٨ آب تتهم دومنيك الذي يتولى منذ مدة في مكتبه وبيته تأليف قائمة أطلق عليها الصبغة الحكومية .

● برقية بتاريخ ٢١ آب يتهمون فيها اليوزباشي فؤاد صباغ ونصري أبو شمعون اللذين يطوفان في القرى لتأييد لائحة توفيق عواد (١١) .

● برقية بتاريخ ٢٢ آب تعترض على ممارسات توفيق عواد وترشيح الشيخ نديم الجسر دون أن تسبق ذلك الاجراءات القانونية (*) .

مع اشتداد المعركة الانتخابية في الشمال وتهديد لائحة كرامي قام المفتي مصطحباً عمر الداعوق بزيارة Helleu واشتكوا من التدخل المستمر للرسميين الفرنسيين في الحملات الانتخابية . وطلب المفتي وضع حد لنشاطات توفيق عواد (١٢) .

(٩) F.O. 226 doct 240 sans date (en langue française) .

(١٠) وقع برقيات الشكاوي كل من: عبد الحميد كرامي - بطرس الخوري - سعيد المنلا - نقولا غصن - سليمان العلي - حميد فرنجية

(١١) F.O. 226 doct 240 le 21 Aout 1943 .

(١٢) Idem le 26 Aout 1943 .

(*) كل البرقيات حملت تواقيع: عبد الحميد كرامي - بطرس الخوري، سعدي المنلا - نقولا غصن، سليمان العلي - حميد فرنجية.

في العاصمة بيروت لم يلحظ تدخل سافر في تشكيل لوائح المرشحين على غرار المحافظات الأخرى. ويمكن ايعاز ذلك لظروف عدة: إن المفوضية الفرنسية لا تريد عكس الصورة الواضحة عن تدخلها في المناطق على دائرة بيروت كونها واجهة لبنان على العالم الخارجي وكونها مقراً للبعثات الأجنبية ، إضافة إلى تركيبة مجتمع العاصمة يختلف عن مجتمع الجبل والريف من ضعف للعصبوية العائلية وكذلك لصعوبة مسكه والسيطرة عليه لتعدد الانتماءات على اختلافها فيه . في هذه الأجواء من التنافس بين المرشحين للفوز بالمقاعد النيابية أولاً وآخراً دون ما عداه من هموم ، توجه هؤلاء بنداءات إلى طوائفهم لما في ذلك من مخاطر على وحدة الأرض والشعب في مقابل تغييب كامل لهموم الوطن والمواطن . لذلك كان المرشحون حريصين على صدور بيانات من طوائفهم ولو باسماء وهمية (١٣) على شاكلة :

«إن الشباب المسيحي الماروني يفتخر بوجود الوطني الكبير الشيخ توفيق عواد بالحكومة الحالية ويؤيده تأييداً تاماً متمنياً للبنان كل خير وتوفيق» .

«إن شباب الاصلاح المسلم الشيعي في هذا البلد . . . يؤيد بكل قواه مرشحه - مرشح الشباب المسلم الشيعي المتحرر من قيود الزعامة المتحجرة والمنبثق من صميم الشباب الحر الأبي ألا وهو الشاب العصامي والمحامي الألمعي الاستاذ محسن سليم . . .»

في محافظة الشمال وبالتحديد طرابلس حيث الأكثرية ما زالت على تمسكها بالوحدة السورية واجهت المرشح توفيق عواد ولائحته مشكلة نيل اصوات تلك الفئة وهو المعروف بتعصبه الطائفي وولائه للانتداب الفرنسي . لذلك توجه اليهم بالنداء التالي :

«بيان إلى الضمير الاسلامي الشريف» .

«إنني وكل مخلص لمصلحة وطنه العزيز ، احتقر أساليب استغلال العاطفة الدينية واتخاذها ستاراً وفرية لارواء الأغراض الشخصية والوصول للمطامع السياسية الحزبية . . . واذا أبوا الاصرار والاسترسال في غيهم فليعلم وليشهد العالم أجمع أنني أكن من الاحترام والتقدير للاسلام والمسلمين ما لا يكنه هؤلاء المستغلون المتاجرون . وفي ذلك بلاغ لقوم يعقلون» .

كذلك شملت الحملة الانتخابية في محافظة الشمال توزيع بيانات تفضح سرقات

(١٣) كل البيانات الصادرة بمناسبة انتخابات العام ١٩٤٣ موجودة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت .

المرشحين . وجاء في احداها «قائمة فيها سرقة ، بطرس الخوري يسرق دواليب الكاتشوك» .

خلال الحملة الانتخابية عرضت الكتلة الدستورية الخطط العامة لسياستها في مهرجان أقيم في كازينو عين سعادة وجاء فيه :

١ ـ استقلال لبنان وسيادته .
٢ ـ وحدة الأراضي اللبنانية في حدودها الحاضرة [١٤] .

أما أميل اده فقد أعلن رسمياً ولادة الكتلة الوطنية في ١٩ آب ١٩٤٣ ببرنامجها الذي وزع على الصحف ويتضمن ١٣ بنداً [١٥] .

وقد طرحت في المناطق الاسلامية مسألة الوحدة العربية والنضال المشترك مع البلدان العربية وان الانتخابات ستحدد مصير الانتداب وجلاء الجيوش الأجنبية . خلال لقاء انتخابي عقده رئيس النجادة جميل مكاوي في منزل محمد بيضون في الأشرفية أعلن «منذ خمس سنوات رسمنا خطة واتبعنا طريقه بتعزيز استقلال لبنان العربي والعمل على دخوله وتأكيد عزته ضمن دولة تضم العراق ومصر وبقية البلدان العربية المستقلة . . .» [١٦] .

يمكن تفسير عبارة الاستقلال والسيادة ، التي وردت في بيانات المرشحين ، تبعاً للمناطق اللبنانية والطوائف التي تسكنها . في المناطق ذات الأكثرية الاسلامية اعتبر الاستقلال والسيادة بخروج جيش الانتداب وكل الجيوش الغربية ليكون لبنان فاعلاً في محيطه العربي . في جبل لبنان كانت كلمة الاستقلال تقرن بانفصال لبنان نهائياً عن محيطه بضمانات تحميه من خطر الابتلاع العروبي والاسلامي .

إلى جانب اللوائح الانتخابية التي كان لها حظ وافر في النجاح برز عدد من المرشحين المنفردين يحدُوهم تعزيز وضعهم على المسرح السياسي على أمل فرض وجودهم في لوائح انتخابية مقبلة . اختلفت طروحات هؤلاء عن طروحات المرشحين التقليدين حيث كانت تتضمن نقداً للنظام الطائفي والاقطاعي ودعوه للاصلاح الاجتماعي والسياسي ولافساح المجال لمرشحي الشباب التقدمي [١٧] .

---

(١٤) Courrier du levant le 2 Aout 1943 No 16 2ème année.

(١٥) انظر الكتلة الوطنية ص .

(١٦) جريدة الهدف ١٩ حزيران ١٩٤٣ بيروت .

(١٧) Voir Maalouf, Rouchdi: Le parlement modèle en 1943 (Brochure) .

من الأحزاب العلمانية لم يتقدم للانتخابات إلا مرشحو الحزب الشيوعي . في هذه الفترة شهد الحزب التفافاً جماهيرياً حول طروحاته السياسية والاجتماعية لنضاله المعادي للنازية والفاشية فضلاً عن الصورة الخلابة لانتصارات الثورة البلشفية في موسكو ودحر جيوش هتلر واقامة النظام الاشتراكي . قدم الشيوعيون أكثر من مرشح في مختلف المناطق اللبنانية . فقد نال فرج الله الحلو ٩٠٦٠ صوتاً في جبل لبنان واحرز مرشح بيروت عمر فاخوري ٢٠٤٦ صوتاً [١٨] .

تقدم المرشحون الشيوعيون ببرنامج انتخابي تمحور حول النقاط التالية :

- استقلال لبنان وحريته الوطنية .
- اقامة نظام جمهوري دستوري صحيح .
- تأمين الحريات الديمقراطية العامة على كل الأصعدة .
- تسوية العلاقات بين لبنان والدول الحليفة على مبادىء العدل والمساواة .
- انعاش الزراعة وتعميم الري وحماية الفلاحين وكذلك تشجيع الصناعة الوطنية وحماية الرأسمال الوطني .
- وضع قانون للعمل يسوي العلاقات بين العمال واصحاب العمل على أساس الانصاف والمصلحة الوطنية» [١٩] .

لم يتقدم الحزب السوري القومي بمرشح للانتخابات نظراً للارتباك الذي وقعت فيه القيادة اذ أن زعيم الحزب ما زال في منفاه القسري في الأرجنتين في حين كان يوجد بعض من قادته في السجن لدعوتهم للعصيان المدني . لكن اتخذ الحزب موقفاً بتأييد مرشحي الكتلة الدستورية نظراً لعلاقة القرابة التي تجمع بين نعمة ثابت الذي يقوم بمقام الزعيم وكميل شمعون . وقد جنى الحزب ثمار هذه العلاقة عندما منح ترخيصاً رسمياً عام ١٩٤٤ يوم أصبح كميل شمعون وزيراً للداخلية .

كان للطريقة التي شكلت فيها لوائح المرشحين إلى جانب التدخل البريطاني والفرنسي اثر واضح بعدم ظهور مفاجاءات على صعيد النتائج . فالطريقة التي اتبعت في تشكيل لائحة احمد الأسعد في الجنوب ضمنت لها الفوز بأكملها . أما في منطقة الشمال فقد احتلت غالبية لائحة عبد الحميد كرامي مقاعد في البرلمان بفضل قوة التدخل البريطانية التي اعتقلت منافسه

---

(١٨) جريدة صوت الشعب ١ و ٢ أيلول ١٩٤٣ .

(١٩) بيان الحزب الشيوعي اللبناني في ١٥ آب ١٩٤٣ .

راشد المقدم لبضعة أيام قبل الانتخابات بتهمة تجارة المخدرات وقدمته إلى المحاكمة دون أن يستطيع الفرنسيون الدفاع عنه [٢٠] . في جبل لبنان فاز في الدورة الأولى أكثرية مرشحي الكتلة الوطنية . كانت نتائج الجبل منتظرة للأسباب التالية :

- إن أكثرية سكان جبل لبنان هم من الطائفة المارونية ومن مؤيدي الانتداب الفرنسي تاريخياً ومرشحهم اميل اده .

- تحتل الطائفة الدرزية المكان الثاني من حيث العدد في جبل لبنان . هذه الطائفة رشحت كمال جنبلاط على لائحة اميل اده . وفي ٢٣ آب ١٩٤٣ وزع بيان يحمل توقيع شيخ عقل الطائفة حسين حمادة «يؤيد الكتلة الوطنية اللبنانية ورئيسها» [٢١] .

في بيروت حقق مرشحو كبار العائلات نجاحاً في الدورة الأولى باستثناء صائب سلام مما دفع بالمفتي محمد توفيق خالد للتدخل من أجل انجاحه ووزع باسمه البيان التالي : «نزولاً على ارادة صاحب السماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الأكبر والزعيمين الكبيرين عبد الحميد افندي كرامي ومحمد عمر بك بيهم والكثيرين من وجوه الطائفة الاسلامية الكريمة والاصدقاء المخلصين وكافة الطبقات اجتمعنا في هذا النهار السبت الواقع في ٤ أيلول في دار سماحة المفتي الأكبر وتداولنا في الشؤون الحاضرة التي تتناول الوضعية العامة ووضعية المرشح السني في بيروت فوجدنا أن مصلحة الأمة فوق كل مصلحة وكرامتها وتوحيد صفوفها هو فوق كل اعتبار آخر فقررنا أن يكون مرشح واحد بيننا وانتدبنا لهذه المهمة الأخ صائب سلام ليكون نائباً في المجلس النيابي العتيد آملين من ابناء الطائفة كافة أن يلتفوا حول نائبها الكريم الذي يحمل الروح الاسلامية الحقة ويمثل القومية العربية خير تمثيل في هذا الوطن العزيز» [٢٢] .

سبق هذا البيان توزيع منشور تحت عنوان «مفتي الجمهورية الأكبر يقول : «ليس بين المسلمين مرشحيهم ووجهائهم وعامتهم من عارض في قضية الشرف والوجدان والكرامة» [٢٣] . كان ذلك إعلاناً صريحاً بأن المفتي لا يفرق بين المرشحين المسلمين . لكن الواقع اثبت أن الأقوال كثيراً ما تكون مختلفة على صعيد التنفيذ ، مما يكشف مدى العلاقة المصلحية التي تربط رجال الدين في لبنان مع الزعامات فيه .

(٢٠) Mourkos Michel : la vie éléctorale au Liban (1843 - 1970) P 60 Beyrouth 1970 .

(٢١) بيان يحمل تاريخ ٢٣ آب ١٩٤٣ (موجود في مكتبة الجامعة الأميركية) .

(٢٢) بيان بدون تاريخ .

(٢٣) بيان وزع في صيف ١٩٤٣ توقيع المفتي محمد توفيق خالد .

من جهة أخرى حث سامي الصلح المسلمين في بيروت للتصويت لمرشح الأرثوذكس جبران التويني لأنه «أول من نادى تحت قبة الندوة النيابية بضرورة الوحدة الاقتصادية والثقافية بين لبنان والأقطار المجاورة ولم يسمع عنه أنه استغل كرسي النيابة أو بدر منه عملٌ يلطخ سمعته ذلك لأن الخدمة العامة كانت هدفه والمصلحة غايته» [٢٤] .

عملياً لم تحدث نتائج الانتخابات تغييراً في الوجوه السياسية اللبنانية . الأكثرية المطلقة للنواب الفائزين كانوا اعضاء سابقين في المجالس السابقة ومن انصار الانتداب الفرنسي . أما الجديد في الانتخابات فكان نجاح مرشحين جدد ومن أنصار الوحدة السورية ، كعبد الحميد كرامي ورياض الصلح ، وكان هؤلاء أمام خيارين أما التخلي عن شعارات الوحدة التي رفعوها أو ايجاد قاسم مشترك للعيش المشترك في الكيان اللبناني .

(٢٤) ملحق جريدة (البصير) ٢ ايلول ١٩٤٣ بيروت .

الفصل الثاني

انتخابات رئاسة الجمهورية وتعديل الدستور

يقول ريمون اده : «فور اعلان النتائج التشريعية اخذت الكتلتان الدستورية والوطنية تستعدان لخوض معركة رئاسة الجمهورية التي حدد اجراؤها في ٢١ أيلول ١٩٤٣ . اعطت التوقعات الأولية التي اجرتها الكتلة الوطنية أكثرية نيابية لصالح أميل اده الذي اخذ يستقبل وفود المهنئين ويقيم الاحتفالات في منزله إلى أن جاء يوماً الصحفي حنا غصن ، وهو مقرب من الكتلة الدستورية ، ليخبر نواب الكتلة الوطنية ان الجنرال سبيرس لا يعترف بشرعية انتخاب اميل اده في حال فوزه[١] .

وفي تقرير رفعته البعثة البريطانية في بيروت إلى لندن جاء فيه «من الواضح أن اميل اده ينوي تولي الرئاسة رغم الاعتراضات المشروعة التي يدلي بها معارضوه وحجتهم مضمون المادة ٤٩ من الدستور اللبناني . . . يبدو أن لو سمح له بالترشيح فان له فرصة كبيرة في الفوز نظراً لبراعته الشهيرة في تأمين أصوات النواب لما يكثر لهم من وعود بتفضيلهم واعوانهم في المستقبل في الادارة اللبنانية . وقد أعلمت عدداً من المتسائلين حول وجهة نظرنا بأن انتخابه سيكون غير شرعي وعلينا أن نرفض الاعتراف به»[٢] .

اذن كشفت انتخابات الرئاسة في لبنان عن مدى اهتمام بريطانيا باخراج فرنسا من المشرق . فقد دعمت المعارضة اللبنانية حتى فرضت على المفوضية الفرنسية اجراء انتخابات وبالتالي امنت نجاح مرشحين لها . ولتأمين فوز مرشح للرئاسة معادٍ للانتداب الفرنسي راح سبيرس يدفع بالنواب المترددين للأخذ بمشورته ووضع حد لضغوطات المفوضية الفرنسية عليهم والتي كانت على معرفة تامة بمواطن الضعف عندهم وبخاصة شغفهم باحتلال مراكز وزارية وتفضيلهم واعوانهم في احتلال مراكز في الادارة .

---

(١) مقابلة جرت مع ريمون اده بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٧٧ في برانس أوتيل باريس .

(٢) F.O. 226 doct 240 le 10 Septembre 1943 .

من جهة أخرى نشطت المفوضية الانكليزية في بيروت في جمع المعلومات المحيطة باجواء معركة الرئاسة وتشعباتها[٣] . وحسب مصدر بريطاني .

وجدت المفوضية الرغبة عند أيوب ثابت في الترشيح لمنصب الرئاسة . وقد تشجع بكلام اميل اده بأنه لو قرر لسبب ما ألا يرشح نفسه فانه سيدعمه باعتباره أفضل المدافعين عن الحقوق المسيحية والوحدة اللبنانية . لكن تبقى مشكلة تواجه ثابت هو خلافه مع الزعماء المسلمين في مشكلة المرسومين ٤٩ و ٥٠ . وسبب آخر كان يواجه ثابت انه من الأقليات فلو انه فاز في الرئاسة سيعطى حكماً مركز رئاسة الحكومة للموارنة وهذا يحرم السنة من هذا المنصب . لذلك ترى البعثة البريطانية ان فوز بشارة الخوري بالرئاسة لا يتحقق إلا اذا أبعد اميل اده لأن رياض الصلح يفضله على الخوري ؛ لكنه سيدعم هذا الأخير لو رأى نجاح اللعبة المحاكة ضد رئيس الكتلة الوطنية . وتفضل البعثة البريطانية ، في حال انتخاب مارونياً لرئاسة الجمهورية ، اسناد رئاسة الحكومة إلى أحد ثلاثة زعماء من الطائفة السنية : رياض الصلح ، عبدالله اليافي وسامي الصلح . لكنها كانت تفضل رياض لأنه يعتمد عليه أكثر من أي شيء ممكن ليتبع سياسة وطنية !

في هذا الظرف جدد النواب الشيعة طلبهم باسناد رئاسة المجلس لطائفتهم . حينئذ تحفظت المصادر البريطانية على هذا الطلب باعتباره غير مناسب للمرشحين لهذا المنصب وللأسباب التالية :

ـ تراهن البعثة ان عادل عسيران سيخاصم جميع النواب بظرف خمسة عشر يوماً .

ـ احمد الحسيني ضعيف وغير مثقف . . .

ـ تعتبر البعثة ان صبري حمادة وابراهيم حيدر من رجال العصابات .

ويختتم التقرير البريطاني بالقول يمكن أن يتولى أي نائب رئاسة المجلس النيابي اللبناني باستثناء الشيعي .

في عدة مناسبات أعرب ممثل بريطانيا في بيروت عن استعداده لدعم أي مرشح ماروني لرئاسة الجمهورية في لبنان عدا مرشح فرنسا اميل اده . وبات من المؤكد عند كل الطامحين بهذا المركز معرفة رأي بريطانيا بذلك بعد أن اثبت البريطانيون مقدرتهم على فرض

---

(٣) Idem.

قراراتهم . في ٨ أيلول ١٩٤٣ أبلغ رئيس الجمهورية المؤقت بترو طراد الكابتن عرب بأنه جاهز ليلفت اهتمام الرأي العام اللبناني إلى المادة ٤٩ من الدستور شرط أن يكون هو البديل للرئاسة ، وانه لا يقوم بتلك الخطوة إلا اذا نال وعداً بمساندته من سبيرس[٤] . في ١١ أيلول رفع بشارة الخوري رسالة إلى الجنرال سبيرس تتضمن عرضاً قانونياً لا يعترف بشرعية انتخاب إميل اده لرئاسة لبنان ، وذلك بالاستناد إلى المادة ٤٩ من الدستور اللبناني .

بعدما تأكد حقيقة الموقف البريطاني المعارض لانتخاب اميل اده لمنصب الرئاسة الأولى في لبنان ساد الارتباك أوساط الكتلة الوطنية . فقصد وفد يمثلها ، يضم : امين السعد ، كمال جنبلاط ، غبريال المر واسعد البستاني ، للقاء الجنرال سبيرس الذي أكد لهم عدم شرعية ترشيح اميل اده للرئاسة .

من ناحية أخرى جرت محاولات للنيل من سمعة اميل اده بين اللبنانيين ، ولاستغلال ذلك في المفاوضات بين البعثة البريطانية والفرنسية حول اختيار المرشح للرئاسة في لبنان . فقد تلقى الجنرال سبيرس البرقية التالية من البقاع : «نحن الموقعين ادناه بذيله نعلن ان قسماً من أراضي الاستاذ اميل اده في عانا البقاع كان مزروعاً حشيشة عام ١٩٣٩ وما سبقه وقد اجري حول ذلك تحقيقٌ ووقع محضرٌ بهذا ولا نعرف النتيجة»[٥] .

في الواقع كانت السلطات الفرنسية في لبنان عاجزة عن مواجهة المناورات البريطانية ولجم قوة المعارضة المحلية لوجودها . لذلك سعت هذه السلطات بشتى السبل الممكنة لتجنب مواجهة مفتوحة مع الانكليز ، وطرحت فكرة التعاون المشترك وتبادل الرأي في مسألة انتخاب رئيس للبنان .

اعتبر البريطانيون ذلك فرصة لهم لتحقيق ما يريدون . فقد عرض الجنرال سبيرس على المفاوض الفرنسي استعداده للتخلي عن بشارة الخوري مقابل تخلي الفرنسيين عن اميل اده ، وبالتالي يرشح كميل شمعون . أمام هذا الاختيار فضل الممثل الفرنسي أن يكون بشارة الخوري مرشح إجماع[٦] . باعتبار أن كميل شمعون «أنشط عملاء لندن في لبنان» . ترافقت الاستعدادات لتأمين اجماع نيابي على ترشيح بشارة الخوري بلقاءات مع

---

(٤) Idem .

(٥) الامضاء ابراهيم اسكندر دحروج ـ شحادة عبدالله معكرون .

F.O 226 doct 240 le 21 Septembre 1943 .

(٦) Fabre, Alfred: Deuil au levant p. 218 - 219 Paris 1950 .

النواب لمعرفة ثمن مساندتهم له . فقد طالب التيار العروبي الاسلامي بايجاد صيغة لاقتسام الحكم بين الطوائف اللبنانية وهذا ما عرف «بالميثاق الوطني» . كذلك سلم بانتخاب صبري حمادة (شيعي) لمنصب رئاسة المجلس . وبذلك تحقق ذلك المطلب الذي طالما نادى به النواب الشيعة منذ عام ١٩٣٧ .

في ٢٣ أيلول انتخب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية اللبنانية بأكثرية ٤٤ صوتاً ووجدت ثلاث أوراق بيضاء وتغيب نواب الكتلة الوطنية كمال جنبلاط ، اسعد البستاني ، جورج عقل ، احمد الحسيني ، عبد الغني الخطيب ، جميل تلحوق وأيوب ثابت .

فور اعلان فوزه القى بشارة الخوري خطاباً عرض فيه الخطوط العامة لعهده ، وخاصة من مسألة الانتداب والتعاون مع البلدان العربية ، وقال : «. . . فأسأل الله ، عز وجل ، أن يعيننا على خدمة هذا الوطن اللبناني المستقل ، المتمتع بسيادة كاملة غير منقوصة ، مهما كانت التضحية في سبيل هذه الخدمة كبيرة ، هذا الوطن اللبناني الذي نضع حبه فوق كل شيء ، والذي يجب أن يظل للبلدان العربية المحيطة به جاراً أميناً واخاً صادقاً ، تربطه بها روابط تعاون يسوده الوفاء والاخلاص . . .» (٧) .

كان خطاب الخوري أمام النواب مؤشراً على استمرار المعركة مع الانتداب الفرنسي والمتعاونين معه حتى التسليم بالسيادة الكاملة وبتعاون أوثق مع المحيط العربي .

معركة تعديل الدستور ونتائجها .

أتبع الانتصار الذي تحقق بفوز المعارضة للفرنسيين ، بالسلطتين التشريعية والتنفيذية بتحد آخر لسلطة الانتداب وذلك بتسمية رياض الصلح رئيساً للوزراء وبدون استشارة الفرنسيين . كان ذلك مؤشراً على أن المعارضة اللبنانية للانتداب ماضية في مسعاها لتحقيق اهدافها في سيادة لبنان واستقلاله . قبل أن يقدم رياض الصلح على القاء بيانه الوزاري أمام البرلمان لنيل الثقة بحكومته التقى برجال الصحافة أدلى لهم بالتصريح التالي : «اننا ندخل مرحلة نضال في سبيل الاستقلال . ومن البديهي أن يكون للمجلس أولاً ولكم وللرأي العام القسط الأوفر في معالجة مواضيع الاستقلال ، وسأعمد على توسيع حريتكم لتعاونوا حكومتي في هذا النضال . . .» (٨) .

---

(٧) الخوري، بشارة: مصدر مذكور الجزء الثاني ٢٨٩ .

(٨) تقي الدين، منير: ولادة الاستقلال ص ٣٥ بيروت ١٩٥٣ .

ومارس رياض الصلح ما قاله فعلاً فرفض تقليداً جرت عليه الحكومات السابقة بأن تزور كل حكومة إثر تأليفها المفوض السامي . وفور تسلمه مهماته أصدر تعميماً الزم فيه استعمال اللغة العربية في كل المعاملات التي تجري في دوائر الدولة اللبنانية . وهكذا اخذت اللغة العربية تحتل اهمية في المدارس بعد أن كانت لغة ثانوية . ونظراً لما لرياض من تقدير وثقة بشخصه لدى الحكومة السورية توصل معها إلى اتفاق في أول تشرين الأول يتعلق بمكتب المصالح المشتركة للبلدين والتي كانت تحت الاشراف المباشر للمفوضية العليا الفرنسية . ففي ٢٠ و ٢٥ كانون الأول وعلى التوالي تلقى جان هيللو رسالتين متطابقتين في المضمون واحدة من حكومة بيروت والأخرى من زميلتها في دمشق يطلبون تحويل المفوضية العليا إلى ممثليه دبلوماسية والتخلي عما أسند اليها من سلطات السيادة على البلدين (٩) .

في السابع من تشرين الأول ١٩٤٣ عقد المجلس النيابي اللبناني جلسة للاستماع للبيان الوزاري . ركز في البيان على التمسك باستقلال لبنان بما يؤمن سياسة وطنية كاملة . ولتثبيت هذا التوجه اقترح رياض الصلح في بيانه تعديل الدستور اللبناني وذلك بالغاء مواد فيه تتعارض وبناء الاستقلال فيما يختص بعلاقة لبنان مع الدول العربية لحظ البيان التوجه التالي «لبنان ذو وجه عربي يستسيغ الخير النافع في حضارة العرب . . . ان اخواننا في الأقطار العربية لا يريدون للبنان إلا ما يريده ابناؤه الأباة الوطنيون . نحن لا نريده للاستعمار مستقراً وهم لا يريدونه للاستعمار اليهم ممراً ، فنحن وهم إذاً نريده وطناً عزيزاً مستقلاً سيداً حراً» (١٠) .

في البداية لم تلجأ المفوضية الفرنسية إلى سياسة العنف تجاه التوجهات الاستقلالية للحكومة اللبنانية بل كانت تصفها باللادستورية . كانت المفوضية تتجنب تدهوراً أكثر في العلاقات اللبنانية الفرنسية والتي من الممكن أن تقود إلى توسيع شقة الخلاف بين الدولتين ويكون من نتيجتها ابتعاد الحكومة اللبنانية كلياً عن سياستها . اتبعت المفوضية الفرنسية سياسة المساومة مع الحكومة اللبنانية فطرحت ابدال الانتداب بالمعاهدة المعقودة عام ١٩٣٦ والتي لم يصادق عليها البرلمان الفرنسي . وبدون طائل حاول المفوض السامي هيللو اقناع الحكومة اللبنانية بعرضه . وعندما فقد الأمل طلب تأخير أمر تعديل الدستور لحين عودته من الجزائر واخذ مشورة لجنة التحرر الوطني الفرنسي تجاه المطالب اللبنانية .

---

(٩) Furon, Raymond: le proche - orient (Syrie, Liban, Jordanie, Iraq...) P.201 Paris 1957 .

(١٠) زيادة، بيار: التاريخ الدبلوماسي للبنان مصدر مذكور وثيقة رقم ٤٢ .

في هذا الوقت رفعت مذكرة إلى الجزائر حول الوضع السياسي في الشرق ويحتمل أن يكون مرسلوها فرنسيين كانوا يعيشون في لبنان . تطرح المذكرة عدة حلول بهدف «صون المصالح وهيبة فرنسا» ، هي :

١ ـ الحصول على موافقة بريطانية لسحب الجنرال سبيرس من بيروت .
٢ ـ احترام بريطانيا لإتفاقات (ديغول ـ تشرشل وديغول ، ليتلتون) التي حددت دور السلطات الفرنسية والبريطانية في الشرق .
٣ ـ توقيع معاهدة مع لبنان تضمن مستقبل المصالح الفرنسية (١١) .

في ٢٥ تشرين الأول صرح أيف شاتنيو للصحف أن اللجنة الوطنية في الجزائر «تنكر على الحكومة والبرلمان في لبنان تعديل الدستور دون الاتفاق مع ممثل فرنسا» (١٢) .

رأت الحكومة اللبنانية أن كل تراجع في موقفها سيعقبه تراجعات أخرى وتسترجع السلطات الفرنسية نفوذها مع اصدقائها التقليديين . في نفس اليوم لتصريح شاتنيو اجتمع مجلس الوزراء اللبناني وقبل تحدي قرار اللجنة الوطنية الفرنسية في الجزائر واصدر في ختام اجتماعه بياناً وزع على الصحف :

«ولما كان مجلس الوزراء يعتبر أن تعديل الدستور حق من حقوق السلطات الدستورية اللبنانية ، وفقاً لأحكام المادة ٧٦ وما يليها من الدستور ، فلقد قدمت الحكومة الآن إلى المجلس النيابي مشروع تعديل الدستور في بعض مواده التي تتعارض مع استقلال لبنان التام المعترف به ، ذلك المشروع الذي كان مجلس الوزراء قد باشر درسه عملاً بالبيان الوزاري وتأميناً لتنفيذ سير الاستقلال بصورة عملية» (١٣) .

في حين سارع رئيس المجلس صبري حمادة لتحديد جلسة لاقرار مشروع تعديل الدستور تحركت المفوضية الفرنسية في بيروت باتجاه منع حصول اجتماع المجلس . فارسلت المبعوثين لدى رئيس الجمهورية لثنيه عن تنفيذ قرار الحكومة لكنها واجهت الفشل . عندها تدخلت لدى النواب للتغيب عن حضور الجلسة حتى لا يحصل النصاب القانوني للتعديل وهو ثلثا عدد النواب . كان مصير هذا التحرك الفشل حتى أن نواب الكتلة الوطنية انقسموا

(١١) Note sur la situation politique au levant, sans date, sans signature, une seule page. Bibliothèque de documentation internationale contemporaine Nantère France .

(١٢) Voir General Catroux: Dans la battaille de la mediterranée o.p. cité P. 404.

(١٣) تقي الدين، منير: مصدر مذكور ص ٤٧ .

بين مؤيد ومعارض لعمل الحكومة .

أمام اصرار الحكومة اللبنانية على موقفها من التعديل سارع جان هيللو بالعودة إلى بيروت بعدما أبلغ تلفونياً بأن جلسة المجلس النيابي ستنعقد في ٨ تشرين الثاني . وكان أيف شاتينو قد طلب من الحكومة اللبنانية تأجيل انعقاد المجلس لمدة يومين لحين وصول هيللو لأنه يحمل عرضاً وافقت عليه اللجنة الوطنية في الجزائر وبالتالي يجب أن لا تضع سلطات الانتداب الفرنسي أمام الأمر الواقع وإلا ستحتفظ بكامل حرية التصرف وما تراه مناسباً . في نفس اليوم اعطت الحكومة اللبنانية ردها السلبي على طلب شاتينو وعقد مجلس النواب اجتماعه المقرر لتعديل الدستور والذي شارك فيه ٥٢ نائباً .

مع بداية الجلسة جرت محاولة لعرقلة التعديل عندما طلب نواب الكتلة الوطنية إحالة الأمر على لجنة خاصة لدرسه مما يكسب الانتداب الوقت . اخفقت المحاولة كغيرها من المحاولات وخرج اميل اده وتبعه النائب أمين السعد . وباجماع النواب الحاضرين نجح مشروع التعديل كما طالبت به الحكومة ونشر في الجريدة الرسمية في عدد خاص على أن يعمل به ابتداء من ٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

لم تتوقف معركة تعديل الدستور لأن معرفة ردة الفعل الفرنسية كانت تنتظر ما يحمله جان هيللو من تعليمات من اللجنة الوطنية في الجزائر . فور وصوله إلى بيروت في ٩ تشرين الثاني عقد اجتماع لمساعديه العسكريين والمدنيين لدراسة الوضع المستجد في لبنان . وفي ١٠ تشرين الثاني سحبت المفوضية الفرنسية الدعوة التي وجهت إلى الحكومة اللبنانية للمشاركة في ذكرى توقيع الهدنة في الحرب العالمية الأولى . كانت هذه المؤشرات تدل على أن الفرنسيين يعدون خطة حاسمة لوقف اندفاع الحكومة اللبنانية في معارضتها لوجود الانتداب . لم يكن الأمر خافياً على قلم الاستخبارات البريطاني وحتى على اعضاء الحكومة اللبنانية وقد انتشرت الشائعات على كل المستويات . ففي عشاء أقامه الجنرال سبيرس على شرف ملك يوغوسلافيا في ١٠ تشرين الثاني وبحضور جان هيللو ووزير خارجية لبنان سليم تقلا طلب الأخير من سبيرس سبر أغوار الموقف الفرنسي وصحة ما يروج من شائعات. وجاء النفي قبل هيللو لكل ما يقال حول ردة الفعل الفرنسية . ولم تمض إلا ساعات على هذا النفي حتى كانت القوات الفرنسية تعتقل رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وبعض الوزراء وتودعتهم قلعة راشيا .

لم تجرؤ سلطات الانتداب الفرنسي على إذاعة ما فعلته خوفاً من ردة الفعل الجماهيرية . ولم يتطرق هيللو في بيانه من إذاعة راديو الشرق إلى اعتقال المسؤولين اللبنانيين بل اعتبر قرار تعديل الدستور خطراً ليس على المصالح الفرنسية فقط بل على لبنان أيضاً . وتابع هيللو بيانه بالتشكيك بوطنية رياض الصلح واعتبر عمله خدمة للمخططات الألمانية التي أشادت بما قام به .

لم يسمع الشعب اللبناني بخبر اعتقال زعمائه إلا من خلال الاذاعات الأجنبية .

أسند هيللو السلطة التنفيذية إلى إميل اده على أن يشكل حكومة تكون مسؤولة أمام المندوب السامي الفرنسي (١٤) . بقي اده ثلاثة أيام يحاول دون جدوى لإيجاد سياسيين يتعاونون معه في الحكومة . فاضطر إلى تسمية وزرائه من كبار الموظفين والمدراء العامين في الوزارات ، لكن بعضهم رفض قبول التعيين . ثم لجأ اميل اده إلى سياسة الترغيب على أمل كسر طوق العزلة التي وجد فيها ، فأمر بفتح الأسواق التجارية . تزامن ذلك مع اصدار أمر بتشكيل لجنة للتعويضات الفورية في حال تعرض المحلات إلى عمل تخريبي من قبل المعارضين لسياسته (١٥) . فقد اعترف الجنرال كاترو في مذكراته بالعزلة التي كان يعيش فيها اميل اده في السراي الكبير وذلك عندما وصل بيروت لحل الأزمة اللبنانية (١٦) . في مقابل ذلك تواجهت الاجراءات الفرنسية بمعارضة على المستويين الرسمي والشعبي . فقد تشكلت حكومة مؤقتة في بشامون برئاسة حبيب أبي شهلا وعضوية شكيب ارسلان. ان أول ما بادرت به هذه الحكومة هو رفع مذكرة إلى ممثلي الدول الأجنبية في بيروت بشأن الوضعية الجديدة التي احدثتها اجراءات المفوض السامي في لبنان والطلب من حكوماتهم على اصدار استنكار لها . وعلى الصعيد الاداري اتخذ حبيب أبي شهلا التدابير التالية :

● الطلب من عموم مأموري وموظفي الجمهورية اللبنانية بالامتناع عن تأدية اعمالهم تحت ظل حكومة اميل اده غير الشرعية .

● إصدار أمر إلى أمين صندوق الخزينة اللبنانية بمنع دفع أي مبلغ من أموال الخزينة إلا بالاستناد إلى أمر تصدره الحكومة الشرعية ومركزها المؤقت في بشامون (١٧) .

---

(١٤) Le journal la Syrie et le proche - orient le 16 Novembre 1943 Paris .

(١٥) جريدة استفهام ؟ انصار الانتداب ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(١٦) General Catroux: Dans la bataille de la Mediterranée O.P. cité P. 415.

(١٧) تقي الدين، منير: مصدر مذكور ص ١٢٢ - ١٢٣ .

خلال تلك المرحلة ، اخترق عدد من النواب الاجراءات العسكرية المتخذة حول مبنى البرلمان وعقدوا اجتماعاً تقرر على اثره رفع مذكرة إلى ممثلي الدول الأجنبية والعربية المعتمدة في لبنان وجاء فيها :

١ ـ منح الثقة بالاجماع لحكومة بشامون المؤقتة والموافقة على جميع التدابير التي اتخذتها .

٢ ـ الاحتجاج على الاعتداء الغاشم التي اقدمت عليه السلطة الفرنسية ضد السلطة الشرعية في لبنان .

٣ ـ عدم الاعتراف برئيس جمهورية مفروض بقوة السلاح وضد ارادة الأمة (١٨) .

بعدها توالت اجتماعات النواب خارج مبنى المجلس لتعذر الوصول اليه . واتخذت بيوت قيادات العمل الوطني مقراً لإجتماع ممثلي الشعب : مدرسة الحكمة ـ منزل سامي الصلح ـ منزل صائب سلام ـ منزل مفتي الجمهورية اللبنانية(١٩).

ردة الفعل الشعبية

عندما تأكد أمر اعتقال الرسميين اللبنانيين أمّ منازلهم القادة السياسيون والدينيون يتقدمهم مفتي الجمهورية اللبنانية والمطران مبارك لاظهار تضامنهم مع عائلاتهم واستنكاراً لما حدث . وشلت حركة الادارات الرسمية والخاصة وطافت المدن الكبرى بيروت ـ طرابلس ـ صيدا ـ النبطية مظاهرات تطالب بالافراج عن المعتقلين في راشيا . واحرقت دواليب الكاوتشوك لتحول وحرية تحرك الآليات الفرنسية لقمع المظاهرات . ولأول مرة يلتقي معظم اللبنانيين على طلب الاستقلال والسيادة لوطنهم . فبلغت ذروة التصدى للاجراءات الفرنسية ما انبثق عن المؤتمر الوطني(١٩مكرر) من قرارات. عقد المؤتمر في ١٢ تشرين الثانى وشارك فيه مختلف الاتجاهات السياسية . وقد توصل المشاركون على دعم استقلال لبنان وشرعية حكومة رياض الصلح . وشكلت لجان تهتم بالقضايا المالية والدعاية والاعلام لحين عودة الشرعية اللبنانية .

كما قرر أنصار الشرعية اللبنانية اختراق التعتيم الاعلامي الذي فرضته السلطات الفرنسية على الوكالات الأجنبية والمحلية . اتخذت المبادرة باصدار جريدة استفهام (؟) لتكون صلة الوصل بين انصار الشرعية والمواطنين . تولى توزيع الجريدة متطوعون ينتمون إلى

---

(١٨) زيادة، بيار: مصدر مذكور ص ٢٥٦

(١٩) جريدة استفهام ؟ انصار الاستقلال ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(١٩) مكرر أنظر منير تقي الدين مصدر مذكور ص ١٥٠ .

مختلف المناطق . صرح أحدهم لنا بأن الجريدة كانت باشراف تقي الدين الصلح الذي اتخذ مقراً له منزل القنصل العراقي عبد الجليل الراوي في الأشرفية لأنه يتمتع بالحصانة الدبلوماسية [٢٠] .

جريدة «استفهام» ازعجت السلطات الفرنسية لما تحمله من اخبار وتوجهات للمواطنين لذلك اوعزوا إلى مناصريهم اللبنانيين باصدار جريدة تحمل نفس الاسم والشعار . في عددها السابع الصادر في ١٩ تشرين الثاني دعت استفهام انصار الشرعية المواطنين للتمييز بين الجريدتين . بعد ذلك توجت جريدة استفهامهم بالعبارة التالية : «ليسقط الخائن اميل اده كولسيلنغ لبنان» [٢١] .

ركزت جريدة «استفهام» الناطقة باسم الموالين للفرنسيين اخبارها على الشعارات السابقة التي طالما سمعها اللبنانيون . «ان الحوادث تستهدف بالذات الكيان اللبناني واذابته في الوطن العربي» . وابرزت بشكل بارز تعليق نسبته لاذاعة القاهرة وجاء فيه «نطالب بتدخل دول الحلفاء والدول العربية لشجب التدخل الفرنسي في لبنان في وقت يستعد هذا البلد للمباحثات في سبيل الوحدة العربية» [٢٢] .

في ظل هذه الحوادث ظهرت اسماء تنظيمات بين مؤيدة ومعارضة للانتداب . في ١٧ تشرين الثاني وزع بيان باللغة العربية بامضاء «الشباب اللبناني» تحت عنوان «أيها المواطنون الاباة لا تنسوا الأمة الفرنسية الكريمة وما لها من الأيادي البيضاء ومن الجميل على الوطن المحبوب» [٢٣] .

في ١٩ تشرين الثاني نشرت جريدة استفهام الشرعية اللبنانية بياناً «للشباب الوطني اللبناني» يؤيد شرعية حكومة رياض الصلح [٢٤] .

الملاحظ أن الشعارات التي رفعها المؤيدون للمعتقلين في راشيا اتسمت بالحذر من كل استغلال بحيث تلتقي حولها كل الفئات . في هذا الاطار لا يمكن التقليل من الدور

(٢٠) مقابلة جرت مع تقي الدين الصلح في ٢٥ شباط ١٩٧٨

(٢١) جريدة استفهام ؟ أنصار الاستقلال ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(٢٢) جريدة استفهام ؟ انصار الانتداب ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(٢٣) F.O. 226 doct 241 le 14 Novembre 1943 .
وجد على الصفحة الثانية من البيان مدون بقلم رصاص اسمي روبير أبيلا وموريس بكر .

(٢٤) جريدة استفهام ؟ أنصار الاستقلال ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

البريطاني والعراقي والمصري في ايجاد هذه اللحمة اللبنانية عبر التأثير على بعض القوى الفاعلة على الساحة الوطنية .

ردة الفعل الأجنبية والعربية

أكثر من ردة فعل وعلى كل المستويات سجلت في البلدان العربية ، فقد جابت المظاهرات بغداد والقدس والقاهرة معلنة تضامنها مع نضالات الشعب اللبناني من أجل الحرية والاستقلال . وباجماع اعضاء البرلمان السوري أعلن هؤلاء وقوفهم إلى جانب حكومة لبنان الشرعية واستنكروا الاجراءات التعسفية الفرنسية . ومن القاهرة بعث الملك فاروق برقية إلى رئيس الجمهورية اللبنانية المعتقل ختمها بالعبارة التالية : « . . . ان هذه الساعات تمر بالشعوب وتمضي ، لكن الشعوب تبقى برجالها وسيبقى شعب لبنان» [٢٥] كذلك تناولت الصحف المصرية احداث لبنان باهتمام بالغ . فكتبت جريدة المصري «مما لا جدال فيه ان الألمان كانوا ينفقون الأموال الطائلة للدعاية في البلدان العربية ضد الحلفاء أما لجنة التحرر الفرنسية فقد قدمت لألمانيا بفظائعها في لبنان خدمات لا تنسى فهل يجهل الفرنسيون أن العرب في جميع الأقطار العربية يستنكرون فظائعهم في لبنان العربي» [٢٦]. ثم افتتحت الجريدة اكتتاباً لشهداء وجرحى لبنان كانت حصيلتها في الاسكندرية وحدها ٦٥ جنيهاً مصرياً . وساهمت اذاعة القاهرة والقدس في إبراز حقائق الأحداث اللبنانية للرأي العام اللبناني والعربي مما اضطر سلطات الانتداب الفرنسي في بيروت لاصدار بيانات لتكذيب الاذاعتين [٢٧] . من جانبها لعبت الحكومة العراقية دوراً بارزاً خلال الأحداث . ففتحت سفارتها في بيروت لتكون ملجأ للسياسيين اللبنانيين الملاحقين من قبل المفوضية الفرنسية . فيما قدم السفير العراقي باسم حكومته احتجاجاً إلى هيللو يطالبه بوقف اعمال العنف وعودة الحياة السياسية للبنان إلى ما قبل نشوب احداث ١١ تشرين الثاني . أما الأمير عبدالله في شرقي الأردن فقد بعث برسول خاص يحمل رسالة إلى البطريرك الماروني يرغب اليه تدخله لفك أسر المعتقلين الرسميين في راشيا [٢٨] .

على الصعيد الأجنبي تأتي بريطانيا في طليعة الدول التي مارست تأثيراً على فرنسا نظراً

(٢٥) نفس المصدر ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(٢٦) نفس المصدر ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(٢٧) جريدة استفهام ؟ انصار الانتداب ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(٢٨) Revue de la Syrie et leproche - orient 16 Novembre 1943 .

لتواجدها العسكري على الأرض اللبنانية . وكشف منير تقي الدين أحد الذين انضموا إلى حكومة بشامون بأنهم كانوا على اتصال دائم مع الجنرال سبيرس في بيروت يستشيرونه في كل شيء (٢٩) .

أخذ التدخل البريطاني لدى الفرنسيين الأحرار اشكالاً تتناسب وتطور الأحداث . يوم اعتقال السياسيين اللبنانيين ارسل سبيرس مذكرة احتجاج إلى هيللو يستنكر فيها الاجراءات الفرنسية بحق رئيس الجمهورية اللبنانية واعضاء حكومته (٣٠) . في ١٧ تشرين الثاني أبلغ Makinc الذي شغل منصب Macmillan ، طيلة فترة غيابه ، مذكرة إلى عضو لجنة التحرير الفرنسية في الجزائر Massigli طالباً اجتماعاً فورياً بين ممثلين لبريطانيا وفرنسا ولبنان يخصص لبحث تسوية احداث ١١ تشرين الثاني وإلى عزل هيللو من منصبه (٣١) .

كذلك احتلت الأحداث اللبنانية حيزاً مهماً من اهتمامات الصحافة البريطانية كتبت الديلي هرالد «لقد ارتكبت لجنة التحرر الفرنسية أكبر خيانة ضد الحلفاء ، فعملت في البلاد العربية في نصف ساعة ما لم تعمله الدعايات الألمانية بخمس سنوات» (٣٢) .

ومن مراجعة تصرفات لجنة التحرير الفرنسية في الجزائر حيال الأزمة اللبنانية بأنها لم تكن تتصور تدهوراً في العلاقات الفرنسية اللبنانية إلى هذا الدرك . وانها لم تكن على علم كاف بكل ما يجري في لبنان إلى حد افلات الأمور من يديها . تعتبر مصادر البعثة البريطانية في بيروت أن سناريو الأحداث بأكملها هو من فعل أشخاص هم : Helleu و Beclem ، و Gauthier و Beognen و Legalopin . الأولان لا اذى مباشر منها لكنهما كانا يقفان تحت تأثير مستمر لأناس أكثر منهما ذكاءً وهما بذلك يعتبران خطراً في بلد ذا أهمية استراتيجية . كان Gauthier يدرك مدى خطورة انتهاز الخدمات الأمنية كاداة للسياسة ، أما Beognen فكان شخصاً بدون ضمير فبعد أن ساند فيشي انضم إلى الفريق المقابل لأنه ظن أنه باستطاعته أن يحقق اطماعه بطريقة أخرى (٣٣) .

يضيف المصدر البريطاني أن الضابط الفرنسي جينادري قد أشار مرات عديدة إلى خطر اسناد وظائف في دول الشرق لأشخاص ذوي سوابق مثلهم .

---

(٢٩) مجلة الحوادث ٢٧ كانون الأول ١٩٧٩ بيروت .

(٣٠) General Catroux: Dans la bataille de la mediterranée O.P. cité P 417.

(٣١) General de Gaulle: Mémoires de guerre tome II P. 198 Paris 1973 .

(٣٢) جريدة استفهام ؟ انصار الاستقلال ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(٣٣) F.O. 226 doct 242 le 25 Novembre 1943 .

في بداية نشوب الأزمة اللبنانية انقسم المسؤولون الفرنسيون في الشرق حول معالجة اجراءات الحكومة اللبنانية من مسألة تعديل الدستور . صبيحة ١١ تشرين الثاني استلم جينادري امراً خطياً بدون توقيع يحرم عليه مغادرة منزله . فتوجه فوراً إلى مقر المفوضية العليا الفرنسية ليستوضح أمر الرسالة أو من أمر بارسالها اليه لكن لم يعطه احداً جواباً مرضياً . ثم وصله بعد فترة قصيرة من ذلك اليوم أمراً مشابهاً موقعاً من Gauthier يتعلق بزوجته . وفي صباح اليوم التالي طوق مفوضان من الأمن العام اللبناني منزله كما فرض على Lepissier الاقامة الجبرية في منزله . وقد علم جينادري أن الأمن العام تلقى الأوامر باطلاق النار على سيارته وعلى سيارة Lepissier بدون انذار اذا حاولا مغادرة منزليهما . ولم يطلق سراح الاثنين من الاقامة الجبرية إلا عند قدوم الجنرال كاترو إلى بيروت لحل الأزمة .

تعزو المصادر البريطانية أسباب الفوضى في قيادة القوات الفرنسية في المشرق إلى «بقاء جيش في منطقة واحدة مدة طويلة . وهذا ينطبق على الأخص بجيوش المستعمرات الذين يأتمرون بضباط مدموغين بطابع (لا وطني) (*) والذين عاجلاً ام آجلاً ينغمسون ويعبثون في الأمور السياسية . أما الضباط ذوي الرتب العالية فقد سيطرت الفوضى الكاملة بين صفوفهم لأن بعضهم هيأت له الظروف الظهور والشهرة وفشل البعض الآخر» (٣٤) .

في ظل التدهور المستمر للأوضاع في لبنان قررت لجنة التحرر الفرنسية في الجزائر تشكيل لجنة مصغرة من ثلاثة هم : ديغول ، كاترو ومسيغلي بهدف ايجاد حل لأحداث ١١ تشرين الثاني في لبنان . كلفت هذه اللجنة الجنرال كاترو بالذهاب إلى بيروت مع تعليمات بعدم تحميل هيللو ومعاونيه مسؤولية ما حصل علانية ورفض تشكيل لجنة تحقيق فرنسية بريطانية لأن ذلك سيعني قبول اقتسام السيادة على لبنان . اذن كان على كاترو «الوصول إلى إعادة العمل بالدستور وبحكومة نقبلها» (٣٥) .

كانت الأزمة اللبنانية قد عرضت في ١٦ تشرين الثاني أمام الجمعية الوطنية الفرنسية الاستشارية في الجزائر حيث تقدم ديغول بمداخلة جاء فيها «ان تعديل الدستور بواسطة حكومة الصلح كان يهدف وضع فرنسا أمام الأمر الواقع . هذا التصرف لم يكن بالمستطاع قبوله لا من قبل المندوب السامي ولا من لجنة التحرر الفرنسية لأنه سيغير من جانب واحد

(*) Anti - natisse.

(٣٤) Idem .

(٣٥) General de Gaulle : OP cité p. 597.

قانونا دوليا لا يحق للحكومة اللبنانية تعديله . فضلاً عن أن الاضطرابات الحاصلة هناك ستربك الوضع السياسي والاستراتيجي في هذه المنطقة التي هي حالياً مسرح للعمليات العسكرية للحلفاء» (٣٦) .

وفي الوقت الذي وجهت لندن احتجاجاً إلى لجنة التحرر الفرنسية ضد تصرفات قواتها في لبنان كانت تعد خطة جاهزة للتنفيذ في حال لم يفرج عن السياسيين اللبنانيين في راشيا . تشير الخطة إلى أن اعلان الأحكام العرفية ستكون الخطوة الأولى . وفي ذات الوقت يوضح للفرنسيين بأن لندن ستعترف بالوزراء المعتقلين كحكومة لبنان الشرعية ، وان ما يبرر ذلك التخوف من أن تتأزم الامور في لبنان لحد لا يمكن السيطرة عليها .

ولاظهار حسن النية البريطانية تجاه لجنة التحرير الفرنسية تشير الخطة «اذا اعيد الوزراء اللبنانيون إلى مناصبهم نظن أنه يتحتم علينا عندئذ الضغط عليهم بكل حزم ليتفاوضوا معنا ومع الفرنسيين للوصول إلى تسوية مرضية للتعايش» (٣٧) .

في ١٦ تشرين الثاني وصل الجنرال كاترو إلى بيروت بعدما أجرى في القاهرة مباحثات مع الوزير البريطاني لشؤون المستعمرات كاسي الذي حث على حل الأزمة اللبنانية خوفاً من الكارثة . عند وصوله بيروت وجدها الجنرال كاترو مدينة ميتة ، المحلات مقفلة ، لا وجود لأناس في الشوارع إلا لدوريات الأمن الفرنسية . على طول الجدران كانت الصور العديدة للجنرال ديغول ممزقة في حين لم تمس صور رئيس الوزراء البريطاني تشرشل (٣٨) .

اعتبرت القوى الوطنية اللبنانية وصول الجنرال كاترو فرصة مناسبة للاعلان عن وجهة نظرها وذلك عبر الاعلان عن مقررات المؤتمر الوطني العام :

١ ـ لا مفاوض عن اللبنانيين ولبنان إلا الحكومة الشرعية .

٢ ـ استمرار المقاومة بشتى اشكالها وبمختلف الأساليب حتى تعود الأوضاع السياسية إلى ما كانت عليه قبل قيام اعتداء القوة الغاشمة على الاستقلال وحكام البلاد الرسميين الشرعيين .

تزامن وصول كاترو إلى لبنان مع صدور جريدة استفهام انصار الانتداب الفرسي التي

(٣٦) Archive contemporaine de documentation internationale (Pharos) Juin 1945 No 22 nouvelle serie doct N 110.

(٣٧) F.O. 226 doct 242 le 234 Novembre 1943.

(٣٨) General Catroux: Dans la bataille de la mediterranée op. cité P. 414 - 415 .

حملت العنوان التالي : «البطريرك الماروني لا يرض عن فرنسا بديلاً» . فيما ركزت اجهزة الأعلام الفرنسية على أن زيارة كاترو إلى بيروت لا تعني التراجع أمام المطالب اللبنانية . أعلن ذلك نائب القائد العام للقوات الفرنسية الجنرال Chadebec في مؤتمر صحفي عقده في القاهرة وجاء فيه «ان فرنسا لم تبحث مرة عدم منح الاستقلال لسوريا ولبنان . لقد وعدنا بذلك ونحن الوحيدون الذين منحنا استقلالاً في هذه الحرب . ونحن جاهزون لانجاز هذا الأمر غير انه توجد هنالك ثلاث نقاط لا تراجع عنها :

أولاً : لقد استلمنا الانتداب من جمعية الأمم . والانتداب لا يتنافى مع الاستقلال غير أننا مسؤولون أمام جمعية الأمم عن الشروط التي يطبق بموجبها الاستقلال . مع أن هذه الفكرة قد دعمها السيد ريشارلو وزير الدولة البريطانية أمام مجلس العموم منذ ١٥ يوماً ولا ننوي أن نعتكف خلف هذا الأمر ، ولكن سنؤدي يوماً ما حساباً من اعمالنا أمام جمعية الأمم .

ثانياً : ومنذ أن أخذت فرنسا تطبق انتدابها على سوريا ولبنان كان لها مصالح تستوجب تفاهماً ودياً مخلصاً بين فرنسا ولبنان من اجل الدفاع عن هذه المصالح . وعدا ذلك نحن مسؤولون حيال دول أخرى .

ثالثاً : وأخيراً نحن في حرب وخلاصة النظرية الفرنسية هي التالية : ان قسماً يمكن منحه في الحال وان قسماً آخر لا يمكن منحه إلا بعد مدة معينة ومفاوضات وهنالك أمور لا يمكن تحقيقها إلا بعد الحرب . وبخاصة موقف الجيوش اللبنانية والسورية حيال الجيوش الفرنسية . . .» (٣٩) .

من جهتها أعلنت اذاعة فرنسا من الجزائر نقلاً عن مصدر في لجنة التحرر الفرنسية «ان جان هيللو حمل إلى بيروت مقررات تعطي الحكومة اللبنانية كثيراً من النقاط الواردة في معاهدة ١٩٣٦ . لكن تجاوز رياض الصلح ذلك وضع فرنسا أمام سياسة الأمر الواقع» (٤٠) .

رافق التصعيد في الموقف الفرنسي غموضاً في موقف البطريرك الماروني . الصحف المؤيدة للفرنسيين نشرت تصريحاً له جاء فيه «ان اللبنانيين رغم تعلقهم باستقلالهم وحرصهم

(٣٩) جريدة استفهام ؟ أنصار الانتداب ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(٤٠) Le Journal la Syrie et le proche - orient le 16 Novembre 1943 .

على كرامتهم القومية لا يرضون عن حماية فرنسا بديلاً»[٤١] في اليوم التالي أكد راديو الشرق الأدنى ، تحت الاشراف البريطاني ، أن رئيس الكنيسة المارونية احتج لدى السفير البريطاني على خرق استقلال لبنان من قبل الفرنسيين . وانه يدعم حكومة رياض الصلح الوطنية . ذلك ما أثار دهشة المستشارين الفرنسيين دافيد والجنرال موكلاك اللذين التقيا البطريرك واعلن أمامهما تأييده لموقف المفوضية الفرنسية . وقد علق الاثنان على الأمر بالقول : «يحتمل أن يكون هناك بطريركان للموارنة»[٤٢] .

عملياً لم تكذب بكركي الخبرين المنسوبين اليها بل كانت تستقبل الرسل من كل الأطراف . ويحتمل أن البطريرك عريضة لم يكن باستطاعته فعل غير ذلك . فأنصار اميل اده سيروا المظاهرات إلى بكركي تأييداً للفرنسيين .وتلك الجماهير نشأت على حب فرنسا ، والفضل في ذلك بالدرجة الأولى إلى البطاركة في غرس هذا الحب في نفوسهم . عامل آخر أسهم في التردد أن البطريرك عريضة لم يكن في وارد التسامح مع الجنرال كاترو الذي تجاوزه عام ١٩٤١ وسمى الفرد نقاش لرئاسة الجمهورية اللبنانية . وبالتالي اراد افهامه بضرورة استمرار الصلة التقليدية بين المفوضية وبكركي في تقرير مصير لبنان واختيار حكامه .

بدأ الجنرال كاترو الاتصال بكل الفرقاء لحل الأزمة وذلك في ظل اضراب شامل وبعدما سحبت سلطات الانتداب قواتها العسكرية من الشوارع واعادت الاتصالات التلفونية التي قطعت مع بداية الأحداث . افتتحت جولة الاتصالات بالبطريرك الماروني فكان في استقباله في بكركي البطاركة وجمهور غفير حملوه على الأكف إلى المكان الذي كان ينتظره فيه البطريرك . وحسب ما كتبته جريدة البشير تحدث عريضة إلى الجنرال وقاله له : «لا تظن أن الذين استقبلوك هنا بهذه المظاهرة وحملوك يعبرون عن عاطفة صادقة ورأي مجرد . ان معظمهم من موظفي الأمن العام ، ومن لم يكن منهم ، فهو رجل قد استأجروه وجروه إلى هذه الدار ليخدعوك وليوهموك أن في البلاد من هو راضٍ عن الحال .

. . . وثق أخيراً انه لم يرض لبناني عن الحكومة الشرعية بديلاً . ولن يرضى بغير رجوع جميع رجال الحكم ، إلى ما كانوا عليه ، وجميع الأوضاع إلى حالها السابق ، وانا في طليعة الجميع وخير لكم أن تسرعوا ومرور الوقت خسارة لكم وربح لغيركم»[٤٣] .

---

(٤١) Idem.

(٤٢) Idem.

(٤٣) تقي الدين، منير: مصدر مذكور ص ١٨٤ .

وتابع الجنرال كاترو استشاراته فشملت كلاً من مفتي الجمهورية اللبنانية وعدداً من الشخصيات السياسية لمختلف الطوائف . فقد استفسر كل منهم عن الحل الذي يرتئيه لأنهاء الأزمة . أجاب المفتي : «إني لا أرى غير حل واحد هو الرجوع إلى رجالات الحكومة الشرعية المنبثقة عن إرادة الأمة . لا مفاوضة جدية إلا مع الرئيس الأول وحكومة رياض الصلح . هذا رأيي ورأي الأمة كلها وهو الأول والأخير»[٤٤] .

تكونت القناعات لدى الجنرال كاترو بضرورة فتح باب المفاوضات المباشرة مع الزعماء المعتقلين في راشيا بعدما لمس شبه اجماع لبناني على الاعتراف بقيادتهم . وفي ١٨ تشرين الثاني عرض كاترو في أول لقاء مع بشارة الخوري حلاً للأزمة يرتكز على نقطتين :

١ ـ استقالة حكومة رياض الصلح حفظاً لكرامة فرنسا .

٢ ـ حل المجلس النيابي واجراء انتخابات جديدة .

جاء رد بشارة الخوري متفقاً والاجماع في الكلمة حول شعار الوحدة الوطنية التي تجلت لأول مرة في تاريخ الكيان اللبناني . «انه لا يسعني اجابة أي مطلب من المطلبين ذلك انني رئيس دستوري . أضف إلى هذا أنني وافقت على كل سطر من سطور البيان الوزاري الذي نال الصلح رئيس الوزارة ثقة المجلس النيابي على أساسه ، والذي اقترحته على المجلس وفقاً لسلطتي الرئاسيةالمستمدةمن الدستور . والمجلس عينه أقر المشروع المقترح مني برضى الحكومة ومعرفتها ، فكيف يكون بوسعي والحالة ما ذكرت ، أن أقيل الوزارة وأحل المجلس ، وأنا متضامن معها في جميع تلك التدابير»[٤٥] .

يبدو أن التدخل الفرنسي لحل الأزمة جاء متأخراً . فقد التقى شبه اجماع لبناني على شعارات لا يمكن التراجع عنها ، رفض الانتداب والعودة إلى الحياة الدستورية . فضلاً عن ان الفرنسيين ارتكبوا منذ بداية الأزمة خطأ حين اظهروا بدون مبرر عدم موافقتهم على تصريح الحكومة اللبنانية عن نيتها بتعديل الدستور في الوقت الذي كان يفضل معالجة هذه المسائل في إطار دبلوماسي محض . وان كان أعضاء الوزارة اللبنانية ردوا بسرعة على التصريحات الفرنسية وعدلوا الدستور تبقى ردة الفعل المعتدلة من جانب الانتداب افضل لمصلحتهم من اتخاذ قرارات متسرعة . كما حصل في ١١ تشرين الثاني .

---

(٤٤) جريدة استفهام ؟ أنصار الاستقلال ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

(٤٥) الخوري، بشارة: مصدر مذكور جزء ثاني ص ٤٥ .

نجم عن ردة الفعل الفرنسية المتسرعة بمعالجة الأزمة اللبنانية وكذلك التأخر في ايجاد حل سريع لها ، إفساح المجال لتدخل بريطاني مباشر . فقد ارسلت لندن ٥٠ دبابة متمركزة في قناة السويس على جناح السرعة لتأخذ مراكز لها قرب مطار بيروت الدولي [٤٦] . تلازم الاجراء مع وصول وزير المستعمرات البريطاني كاسي للمرة الثانية إلى بيروت ، في ١٩ تشرين الثاني ، وسلم انذاراً إلى الجنرال كاترو بضرورة إيجاد حل للأزمة اللبنانية خلال ثلاثة أيام [٤٧] . في اليوم التالي شدد وزير خارجية سوريا جميل مردم على ضرورة عودة الحياة الدستورية إلى لبنان وذلك اثناء لقاء له مع الجنرال كاترو . وجد هذا الأخير ان استمراره في دبلوماسيته هذه والتي لا تختلف عن الذهنية الفرنسية عند دخولهم الشرق ، دون استيعاب المستجدات على الساحة ستزيد من عزلتهم وأعوانهم ، خاصة ان التهديد البريطاني كان جدياً . يضاف لذلك أن الفرنسيين كانوا أمام خيارين أما القبول بالمطالب اللبنانية أو مواجهة مسلحة مع اللبنانيين وبمساندة بريطانية . والخيار الأخير يستحيل على الفرنسيين السير به لفترة طويلة لأن جهود لجنة التحرر الفرنسية في الجزائر تنصب بشكل أساسي للقضاء على حكومة فيشي . هذا ما اقتنع به أخيراً الجنرال كاترو عندما أرسل برقية إلى اللجنة في الجزائر تعقيباً على التهديد البريطاني :«سنصبح بدون اعتبار إذا تركنا بريطانيا تحرر الشخصيات الحكومية اللبنانية وتعيد الحياة الدستورية . رغم التصرف المشين للطلب البريطاني اعتبر انه من واجبنا القيام بمبادرة شجاعة وترميم ما ينتظره لبنان منا ـ . . .» [٤٨] . دلت كل المؤشرات ان إطالة الأزمة مع لبنان تعني معركة مفتوحة مع البريطانيين ولا تكون النتيجة لصالح الفرنسيين . لكن كاترو كان في حيرة من أمره فهو لا يريد إدانة المسؤولين الفرنسيين لما قاموا به في بيروت حفاظاً على معنويات القوات الفرنسية هناك وعلى حلفائها من اللبنانيين . فضلاً عن أن كل تراجع فرنسي سيعقبه تراجعات أخرى والتجربة القصيرة مع بداية دخول جيش الحلفاء عام ١٩٤١ اثبتت صحة هذا الانطباع .

في ٢١ تشرين الثاني تلقى الجنرال كاترو اقتراحات لحل الأزمة اللبنانية من لجنة التحرر الفرنسية من الجزائر وتتضمن عدة نقاط :

١ ـ الاسراع في تسوية احداث ١١ تشرين الثاني .

(٤٦) علم الدين، وجيه : تاريخ استقلال لبنان وسوريا ١٩٢٢ ـ ١٩٤٣ ص ٢٩٢ . بيروت ١٩٧٦ .

(٤٧) General Catroux : OP. cité P. 420 .

(٤٨) General de Gaulle : OP. cité P. 601 Tome II .

٢ ـ يجب أن تتم التسوية بين ممثلي لبنان وفرنسا واستبعاد كل تدخل بريطاني في الأمر .

٣ ـ استمرار حالة الانتداب وبالتالي استمرار التزاماتنا فيما يتعلق باعلان الاستقلال الذي سيكرس قيام معاهدة لبنانية ـ فرنسية .

٤ ـ عودة الحياة الدستورية مشروطة بتوفر امكانياتها وبالتالي اعتبار كل تصويت للبرلمان يتعارض مع شروط الانتداب سيعتبر لاغياً من جانب المفوض السامي الفرنسي .

٥ ـ انطلاقاً من هذه الأسس توافق اللجنة على حل الأزمة [٤٩] .

اكد صلابة الموقف اللبناني الداخلي عدم واقعية التصلب الفرنسي . في ٢٢ تشرين الثاني أي يوم نهاية الانذار البريطاني افرج عن رئيس الجمهورية اللبنانية وبعض اعضاء حكومته ليمارسوا وظائفهم على رأس السلطة . كذلك استدعي هيللو إلى الجزائر وحل مكانه إيف شاتنيو الذي أعلن من راديو الشرق عودة العمل بالدستور اللبناني والغاء القرارات التي اتخذها سلفه يوم ١١ تشرين الثاني .

وفي الأيام التالية التي أعقبت الافراج عن الزعماء اللبنانيين راح الجنرال كاترو يكثف الاجتماعات معهم بهدف التوصل إلى عقد معاهدة تحالف بين لبنان وفرنسا . لكن دون جدوى بل أعلنت الأوساط اللبنانية الرسمية عن رغبتها بعدم توقيع أية معاهدة قبل نيل الاستقلال التام والناجز مما يسمح بمفاوضات تحالف على قدم المساواة مع الآخرين . هذا يعني أن لا عودة إلى نظام الانتداب ولا قبول بمعاهدة ١٩٣٦ .

شهدت هذه المرحلة المهمة من تاريخ لبنان الحديث أفول السيطرة الفرنسية في الشرق العربي وصعود نجم الدور البريطاني حتى أصبح في نظر اللبنانيين عامة وجزء كبير من مسلميه خاصة المنقذ لهم من الاستعمار الفرنسي [٥٠] .

(٤٩) idem .

(٥٠) انظر الملحق رقم ٤ .

الميثاق الوطني عام ١٩٤٣

إن للميثاق الوطني الذي نظم ما سمي بالصيغة اللبنانية قوة الدستور المكتوب . وكل ما يعرف عن ولادة هذا الميثاق ورد في تصريحات لشخصيات سياسية لبنانية شاركوا في صنعه أو عايشوا فترة ولادته . ما قيل في الميثاق حصل في فترات كان لبنان خلالها يمر بأزمة حادة تهدد مصيره ككيان وكشعب . حينئذ لعبت العواطف والميول دوراً ، بحسب الموقع السياسي للمتحدث عن الميثاق ، في تغليب وجهة نظر هذا الفريق أو ذاك الفريق . كثر التداول في حقيقة الميثاق الوطني اثناء الانتفاضة المسلحة عام ١٩٥٨ ضد نظام كميل شمعون الذي قبل بدخول لبنان في مشروع الرئيس الأميركي ايزنهاور الخاص بالشرق الأوسط . وفي مرحلة لاحقة طرح موضوع الميثاق الوطني على بساط البحث بين فريق يريد تجديد صيغته وبآخر يصر على بقاء الصيغة لأنها برأيه مرتبطة باستمرار الكيان اللبناني . كان ذلك عندما أصبح العامل الفلسطيني المسلح في السبعينات يرمي بثقله على سير الأحداث في لبنان وأخذ فريق من اللبنانيين ينتصر لهم ولوجودهم المسلح ولحقهم بالقيام بعمليات عسكرية من الأراضي اللبنانية . تزامن الصراع المسلح في لبنان العام ١٩٧٥ مع ظهور دراسات كثيرة لتحليل خلفيات ذلك الصراع وكيفية الخروج من نيرانه . فقد تناولته مراكز أبحاث متعددة وكذلك تناولته الصحافة العربية والعالمية . وقد نشر أكثر من كتاب وبحث ، وبمعظم اللغات، عن الأزمة اللبنانية والميثاق الوطني، حتى بات من الصعب التمييز بين ما اتفق عليه واضعوا الميثاق وما أضيف عليه[1] .

تجمع كل المصادر على أن واضعي الميثاق هما بشارة الخوري ورياض الصلح . لكن يتضح من تتبع سير الأحداث في لبنان منذ ولادته حتى العام ١٩٤٣ ان مجهود الرجلين جاء

(١) انظر الجسر، باسم ميثاق ١٩٤٣ بيروت ١٩٧٨.

تتويجا للقاءات مختلفة بين اللبنانيين لايجاد صيغة للتعايش في الكيان اللبناني . اتصفت تلك اللقاءات بوضع حلول آنية لأن القناعات بالتعايش لم تكن ناضجة بين اللبنانيين كما صارت إليه عام ١٩٤٣ .

يقول صبري حمادة أول رئيس مجلس نيابي للبنان المستقل «إن الكلام عن الميثاق يعود بنا حتماً إلى العام ١٨٦٣ يوم أنشىء أول مجلس إدارة بجبل لبنان . ولما جاء الفرنسيون حافظوا على غلبة عدد المسيحيين على عدد المسلمين في المجالس النيابية اللبنانية التي أعقبت ولادة لبنان وأصبح برتوكول ١٨٦٤ صالحاً في الشكل والمضمون»(٢) .وتعددت آراء الباحثين حول المنطلقات الأولى في أسس الميثاق الوطني . يرجع جورج ديب ذلك للعام ١٩٣٦ عندما وضع عادل الصلح كراساً بعنوان «مشكلة الانفصال والاتصال» تعقيباً على مقررات مؤتمر الساحل في ١٠ آذار(٣) . من جهة أخرى يرى الدكتور ادمون رباط في مؤتمر الطوائف المسيحية في بكركي في ٦ شباط ١٩٣٦ أصل الميثاق الوطني حيث اتحدوا في المطالبة باستقلال لبنان ضمن حدوده الحاضرة وتخلى المسلمون عن الارتباط بالوحدة السورية . وفي مكان آخر يعتبر أن الشعارات التي رفعت في مؤتمر بكركي عام ١٩٤١ تشكل «سبباً لما سيؤلف متأخراً الميثاق الوطني»(٤) .

لقد عثرنا في مجلة العرفان نقلاً عن الشيخ احمد عارف الزين أن يوسف السودا دعا خلال تشرين الثاني ١٩٣٨ ، في منزله ببيروت نخبة من المثقفين وتلا الميثاق الوطني ويتلخص « . . . في استقلال لبنان التام وتوثيق عربي الاخاء والمساواة وان تكون اللغة العربية وحدها اللغة الرسمية وتوحيد الثقافة وتحقيق استعمال الحريات والعمل على إلغاء الامتيازات . وقد خطب الدكتور ادريس ونصري المعلوف ويوسف السودا وكانت كلماتهم تدور حول الانضمام للحلف العربي» . ويضيف الشيخ الزين الذي كان حاضراً الاجتماع «ان الميثاق لم يشر بشيء لقضية الحلف العربي»(٥) .

عام ١٩٤٣ حصلت ظروف مستجدة استدعت اتفاقاً بين اللبنانيين . فقد اثبتت الأحداث التي اعقبت توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية أن الكتلة الوطنية الممسكة بزمام السلطة في دمشق انشغلت في صراعاتها الداخلية عن القضايا الوحدوية في مقابل تمسك

(٢) ملحق جريدة النهار ١ كانون الثاني ١٩٧٥ ص ٦٦ .
(٣) مجلة فلسطين الثورة تشرين الثاني ١٩٧٥ ص ٢٣ عدد ٥ .
(٤) Rabbath. E: La formation historique du Liban politique et constitutionnel O.P. cité P. 447.
(٥) مجلة العرفان مجلد ٢٨ جزء ٧ ص ٧٦٢ صيدا .

فرنسي ببقاء الكيان اللبناني كما رسم حدوده الجنرال غورو فضلاً عن أن معظم القيادات الاسلامية وخاصة في بيروت غدت مقتنعة أكثر من أي وقت مضى بالكيان اللبناني كنظام سياسي واقتصادي . إلى جانب ذلك حملت الانتخابات التشريعية في لبنان إلى البرلمان قيادات سياسية تقليدية مجربة لمختلف الطوائف ، وكانت تظهر ميلاً للتعايش بين اللبنانيين . اذن كان شاغلها التوفيق بين المنطلقات الخاصة لمصالحها . وكان اهتمام انصار الكيان اللبناني ينصب على استمرار ارتباطهم بالغرب الذي كرس لهم امتيازات اقتصادية وسياسية . بالمقابل اهتم أنصار الوحدة السورية بضرورة التعامل والانتماء إلى المحيط العربي لأنه يؤمن تماسك المجتمع قومياً ويمنع الهيمنة الخارجية . بدون شك ان الوجود العسكري لبريطانيا في لبنان إلى جانب هيمنتها على سلطة القرار في البلدان العربية ورغبتها بضم لبنان وسوريا إلى دائرة الجنيه الاسترليني ، وفر المناخ المناسب لايجاد شروط التعايش في لبنان . فقد وعت فئة من البورجوازية تحدوها الرغبة في الحكم أولاً والمنفعة الاقتصادية ثانياً ضرورة تطوير صيغة التعايش في لبنان . بالمقابل وجد انصار الوحدة السورية تحول فئة من قيادة الموارنة عن مواقعها الأصلية لتمد جسور التعاون معها على أمل اخراج الفرنسيين الذين كانوا ركيزة التيار المتعصب من المسيحيين اللبنانيين .

انطلاقاً من هذه القناعات بدأت محاولات ما يسمى الميثاق الوطني لتنظيم العلاقة بين الطوائف الدينية في لبنان .

حسب ما أورده بشارة الخوري في الأسباب المستجدة التي أدت إلى الميثاق كان الهدف تأكيد استقلال لبنان . أما كاظم الصلح الذي ينسب إليه مساهمة كبرى في التقريب بين وجهة نظر الفرقاء اللبنانيين فيقول في مقابلة صحفية عن كيفية وضع الميثاق «جاء بشارة الخوري إلى مكتبي في جريدة النداء واجتمع برياض الصلح ، ولم يكن بينهم ثالث ، وانتهيا بعد ذلك إلى ما يسمونه اليوم «الميثاق الوطني» ؟ كلا التفاهم حسبما كنا نراه هو تطوير العلاقة بين الأطراف المعنية وتحويل لبنان من دولة ليس لها طابع واضح إلى دولة عربية مثل بقية الدول العربية ، وهذا ما جرى عليه التفاهم ، وهذا هو حقيقة الميثاق»(٦) . من جهة أخرى كتب تقي الدين الصلح في مجلة العربي الكويتية في أزمة لبنان والميثاق «ان الهدف لم يكن البحث فقط عن اتفاق بين اللبنانيين ، والاستقلال ، لكن نجاح لبنان في علاقاته مع المنطقة العربية ، نجاح يكون في صالح تلك المنطقة»(٧) .

(٦) ملحق جريدة النهار أول كانون الثاني ١٩٧٥ ص ٦٧ .
(٧) مجلة العربي آذار ١٩٧٨ ص ١٣ الكويت .

ومن منطلق آخر يعتبر كمال جنبلاط «ان الهدف المباشر لهذه التسوية «الميثاق الوطني» السعي لجذب أضخم كثرة عددية شعبية ومعنوية بغية مواجهة الاحتلال الأجنبي وتخليص لبنان من سيطرة الانتداب الفرنسي» (٨) . كما اتضح أن هناك اختلافاً في الهدف الذي استوجب صياغة الميثاق سيتضح بالتالي اختلافاً في تفسير بعض من مضمونه .

وحسب ما جاء في مقابلة اجراها يوسف يزبك مع بشارة الخوري وهو الشاهد الوحيد في قضية الميثاق أن الاتفاق في مسألة الكيان اللبناني يتلخص بالنقاط التالية :

١ ـ الاستقلال الكامل والحقيقي بالنسبة لبلدان الغرب وكل بلدان الشرق .
٢ ـ لا وصاية ولا حماية ، لا وضعية خاصة لصالح أية دولة .
٣ ـ التعاون إلى أقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة .
٤ ـ الصداقة مع كل البلدان الأجنبية التي تعترف باستقلالنا الكامل وتحترمه (٩) .

أما عن علاقة لبنان بالبلدان العربية فيقول بشارة الخوري «لبنان ذو وجه عربي ولغة عربية . جزء لا يتجزأ من العالم العربي ، يملك مميزات خاصة . رغم عروبته لم ينقطع عن الروابط الثقافية والحضارية مع الغرب ، بحيث أن تلك الروابط بالضبط لتقوده إلى التقدم الذي ينشده» (١٠) .

من جهة أخرى يقول كمال جنبلاط في مضمون الميثاق «فكرة الميثاق مبهمة بحد ذاتها ، ككل اتفاق شعبي يوضع في مثل هذه الظروف الملحة ، وقد لا يتعدى فيه المعنى صور اللفظ ، ولأن الزعماء السياسيين الذين وضعوه كانوا لا يقصدون تركيزه إلى مفاهيم وطنية واضحة وانما انحصر همهم في تقديم فكرة قاسم مشترك وعرضها على ذهنيات الجماهير كي تجذبها مما يمكن أن يكون فيها من مضامين سحرية باطنة» .

على أنه يمكن أن يتلخص الميثاق بأنه ، في مقابل اعتراف الحركة الوطنية العربية بكيان لبنان المستقل ، يتبنى الصف الانعزالي المؤيد والفريق الوطني المسيحي المقابل ، صفة لبنان العربية ويوافق على دخوله في الجامعة العربية وعدم انحيازه لأية دولة اجنبية كبرى . وما لبث فيما بعد الجناح اللبناني الانعزالي المعارض لفكرة الاستقلال والمتمثل لكتلة إميل اده أن قبل بدوره بالميثاق على ضوء الكسب الملموس الذي لاحظه الجميع في موالاة المحمديين في شبه

(٨) جنبلاط كمال : في مجرى السياسة اللبنانية بدون تاريخ ص ١١٧ بيروت
(٩) Rabbath. E: La formation historique du Liban op. cité P. 524 .
(١٠) Idem .

اجماعهم لفكرة الكيان اللبناني» (١١) .

يبقى أن نشير إلى أن هناك إجماعاً من السياسيين اللبنانيين على أن الميثاق لحظ توزيع الرئاسات الثلاث في لبنان بين أكبر ثلاث طوائف : الموارنة ـ السنة ـ الشيعة . في عام ١٩٤٦ لم تحترم هذه الصيغة اذ انتخب حبيب باشا السعد (ارثوذكسي) رئيساً للمجلس النيابي ضد المرشح الشيعي . وفي دلك يقول المؤرخ يوسف يزبك بأن الميثاق تضمن اتفاقاً مبدئياً على توزيع الوظائف في السلطة والادارة وبالتساوي بين الطوائف دون تحديد (١٢) .

إن الاختلاف الذي أشرنا اليه لم يلغ ما كرس على أرض الواقع من نظام الطائفية السياسية الذي هو امتداد تاريخي لبنود برتوكول ١٨٦٤ . وهذا النظام أعاق إلى اليوم بلورة شعور وطني يعيش لبنان في ظله ويلغي الولاء للطائفة على حساب الوطن .

(١١) **جنبلاط، كمال:** مصدر مذكور ص ١١٩.
(١٢) **الجسر، باسم:** مصدر مذكور ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

الحالة السياسية في لبنان بعد الاستقلال

بعد تسليم فرنسا باستقلال لبنان وعودة حكومته الشرعية لممارسة صلاحياتها فيه أصبحت الكتلة الدستورية القوة السياسية الأولى .وراحت المراهنات على بشارة الخوري ورياض الصلح تزداد لإنقاذ اللبنانيين من مستنقع الطائفية ولافشال مناورات الانتداب المتعددة للعودة بلبنان إلى سابق عهده تحت السيطرة الفرنسية . فور العودة إلى الحياة الدستورية طلبت الحكومة اللبنانية والسورية من الجنرال كاترو الغاء المفوضية الفرنسية وتحويلها إلى هيئة دبلوماسية ، خلال شهر كانون الأول ١٩٤٣ التقى رئيس الحكومة رياض الصلح مراسلي الصحف المحلية وذلك في أول تصريح عام بعد حوادث ١١ تشرين الثاني وقد لخص أمامهم افكاراً من خطاب سبق ان القاه في صيدا قال فيه «أعلن جهاراً ، بايمان وثقة باستقلال لبنان الشامل وسيادته المطلقة بحدوده الحالية . واضيف بأن لبنان كان بلداً ذا وجه عربي ويؤمن بضرورة أقصى التعاون بينه والبلدان العربية . هذه حقيقة يجتمع حولها كل اللبنانيين . ان لبنان يقوم على دعامتين :

١ ـ اتحاد كل ابنائه لأية طائفة انتموا .

٢ ـ اعتراف عصبة الأمم والبلدان العربية المجاورة به» .

فيما يتعلق بالشائعات حول مشروع حكومي بسحب الجنسية اللبنانية من الأرمن نفى رياض الصلح صحة ذلك وأضاف «أكن كل تقدير واحترام لإخواني الأرمن . نؤكد أنهم يقدرون أكثر منا الاستقلال لأن في ماضيهم ناضلوا من اجل استقلالهم وبذلوا أكبر التضحيات» (١)

في ٢٣ كانون الأول توصل الجنرال كاترو والحكومتين اللبنانية والسورية لوضع اتفاق

(١) Journal la Syrie et le Proche - orient le premier Decembre 1943 .

أساسي ينقل بموجبه بعض الصلاحيات الإدارية من أيدي الفرنسيين إلى اشراف إدارة البلدين .

مع هذا بقيت مسألة أساسية تواجه النظام اللبناني الذي خرج منتصراً في معركته ضد الفرنسيين وسجل لأول مرة التقاء جمهور واسع من اللبنانيين ومن كل الطوائف لحماية المكاسب الوطنية . تلك خطوة أساسية لا تقل في أهميتها عن خطوة انجاز الاستقلال وهي ترسيخ التحالف بين اللبنانيين على ثوابت وطنية . في الواقع تم انجاز الاستقلال وذلك بالغاء المواد الدستورية المتعلقة بسلطة الانتداب . لكن بقيت مهمة إزالة الأرث الاستعماري المنتشر في أكثر من دائرة من دوائر الوظائف العامة والخاصة على قاعدة الانتماء الطائفي ، ان الغاء الارث الانتدابي من الدستور لا يعني آلياً وقف ممارسة تأثير فرنسا على الوضع الداخلي في لبنان لأنها ما زالت تحتفظ بقواتها العسكرية ومؤسساتها الثقافية وهي ركائز أساسية في عملية بدء البنيان الجديد .

إن التقاء اللبنانيين حول حكومة الصلح لا يعني بالضرورة اقفال كل الأبواب بوجه مجموعات لبنانية لها مصلحة بتثبيت الانتداب الفرنسي . واذا كانت تلك المجموعات قليلة واظهرت أنها كانت مشلولة خلال حوادث ١١ تشرين الثاني فانها تبقى مستعدة وعلى الدوام وفي أية مناسبة تسمح لها للتنسيق مع السلطات العسكرية الفرنسية المتواجدة والتي تحاول إعادة مسك السلطة في لبنان بشتى السبل ، ومراهنة بالدرجة الأولى على انقسام اللبنانيين طائفياً .

في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٣ تلقت وزارة الخارجية البريطانية تقريراً من بعثتها في بيروت حول مخطط فرنسي لاحداث فتن طائفية في عدة مناطق لبنانية . «علم وزير الداخلية كميل شمعون ، بواسطة أحد معاونيه ، هذا اليوم ، انه تلقى تقريراً - يحاول التأكد منه - ان سيارتين فرنسيتين محملتين بالأسلحة قد ارسلتا إلى أنصار اميل اده في جبيل . وقد علم من عدة مصادر أن الفرنسيين يقومون بجهود أكثر من السابق لاثارة المشاكل بين المسلمين والمسيحيين . الطريقة هي رشوة بعض المسلمين للتفوه بعبارات تحريضية ضد المسيحين ثم لفت انتباه المسيحيين وخاصة الموارنة إلى تلك الحالة المنذرة بالعواقب الوخيمة . وكان لهذه الخطة بعض النجاح الأولي بسبب المشاركة القوية لرئيس الأساقفة الماروني الأسقف بستاني .

أبلغ الضابط السياسي في البقاع بأن قنبلة قذفت على كنيسة مارونية قرب زحلة من قبل أحد الدروز المتظاهرين بالعمل ضد «النفوذ الفرنسي» .

إن هذه الوسائل غير مناسبة مع عقلية دروز لبنان لأنهم في الواقع يشاركون المسيحيين في الدفاع عن الحكومة الشرعية خلال الأزمة الأخيرة .

لقد كان هناك تحريض في زحلة (وهي مركز تأثير للرجعية المارونية) للقيام بمظاهرات ضد تسوية كاترو على أساس أن البريطانيين يعملون في سبيل الوحدة العربية» [2] .

مع مطلع الاستقلال اتبعت حكومة رياض الصلح سياسة مصداقة تتناسب وتطلعات الشعب اليها . فقد منحت موظفي الادارات العامة شهراً إضافياً وخفضت من ٥١ إلى ٤٠ قرشاً سعر كلغ القمح . ولأول مرة : الموظفون والعمال في بعض المصالح : سكة الحديد ، المرفأ ، شركة التبغ ، الترامواي وبنك سوريا . الخ . . . يستطيعون رفع مطالبهم وتأخذ الدولة ببعضها وتعمل على تحقيقها [3] .

إن أصعب ما واجه الحكومة الاستقلالية الأولى هو معالجة مواطن الضعف في شعبيتها في الأوساط المسيحية وخاصة في جبل لبنان والتي لا ترضى بزوال الانتداب وقد عبرت عن ذلك اثناء المظاهرات التي سيرتها إلى بكركي خلال احداث ١١ تشرين الثاني . في هذا الاتجاه حرص العهد الاستقلالي على التقرب من البطريرك الماروني وتأمين وقوفه إلى جانبه رغم ما في ذلك من خطورة تدخل رجال الدين في السياسة وخاصة في لبنان . ذلك ما مكن حكومة الصلح من فصل اميل اده عن النيابة دون ضجة ليس بتهمة الخيانة الوطنية بل لأنه قبل وظيفة عامة مع احتفاظه بالمقعد النيابي وذلك تماشياً مع المادة ٢٨ من القرار رقم ٢ الصادر في ٢ كانون الثاني ١٩٣٤ التي تتضمن «أن كل عضو من أعضاء المجلس النيابي يعين أو يرقى إلى وظيفة عامة ذات راتب يعد منفصلاً عن المجلس» .

نتج عن فصل إميل اده اضعاف كتلته الوطنية مما دفع بعدد من اركانها للانفصال عنه منهم لأسباب وطنية وبعضهم وجد وضع الكتلة في المعارضة يحول دون تحقيق المنافع والخدمات له ولانصاره .

أما من بقي في الكتلة فقد أعلن عن تأسيس حزب سياسي (حزب الشعب) في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٤ وكان أبرزهم النواب غبريال المر ومحمد العبود . تصدرت أهداف الحزب المواضيع التالية :

---

(٢) F.O. 226 doct 242 le 27 Novembre 1943 .

(٣) جريدة صوت الشعب ١٦ شباط ١٩٤٤ .

١ ـ المحافظة الشاملة والمطلقة على اسقلال لبنان وسيادته الوطنية .

٢ ـ خطة للاصلاح في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية [٤] .

خلال المرحلة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٦ تجنب أنصار اميل اده من النواب الدفاع عن سياسة الانتداب بصورة علنية وذلك في محاولة فهم لفك العزلة السياسية التي فرضت عليهم أثر أحداث ١١ تشرين الثاني . بالمقابل ركزت هذه المجموعة اهتماماتها على مراقبة النشاط الحكومي وابداء معارضتها الشديد لنهج الحكومة في السياسة العربية .

كل ذلك لم يحل دون ظهور عناصر أخرى مؤيدة للانتداب في الأوساط اللبنانية والاعلان عن نفسها في عدة مناسبات حتى وصل الأمر بها حدَّ المشاركة في الانتفاضة على الحكم اللبناني بالتعاون مع الفرنسيين .

كانت المناسبة فوز مرشح المعارضة يوسف كرم في الانتخابات الفرعية في محافظة الشمال في شهر نيسان ١٩٤٤ . أثناءها راح أنصار الانتداب الفرنسي يعدون لمظاهرة ترافقه يوم دخوله إلى البرلمان اللبناني . في ٢٧ نيسان دخلت العاصمة اللبنانية سيارات متعددة من جسر بيروت ترافق سيارة النائب ووجهتها نحو ساحة الشهداء حيث انضم اليهم جموع يحملون العلم اللبناني القديم ويافطات كتب على احداها «يعيش ابن البطل اللبناني يوسف كرم» نزل النائب الجديد من سيارته فاطلق مناصروه النار ابتهاجاً فيما حمل فريق من مؤيدي الانتداب علماً فرنسياً لوضعه على مدخل البرلمان . كان ذلك ايذاناً باطلاق عيارات نارية من جميع الأطراف ومنهم رجال الأمن ، حاول أنصار الحكومة نزع العلم الفرنسي في حين كان ضابط فرنسي يحاول تثبيت علم آخر أكبر منه لكنه أصيب بطلقة نارية اردته قتيلاً [٥] . انتهى الصدام بسيطرة الحكومة على الموقف وبدخول يوسف كرم جلسة المجلس النيابي ليعلن استنكاره لما حدث ودعمه «للبنان العربي المستقل» [٦] .

في بلاغ رسمي للحكومة اللبنانية حمل مسؤولية ما حدث للفرنسيين فيما تناولت الصحف اللبنانية الحادث بشن حملة عنيفة على رجال الانتداب رغم أن الجنرال الفرنسي Beynet رفض أمام رئيس الجمهورية اللبنانية كل التهم التي تشير إلى اشتراك الفرنسيين في حوادث ٢٧ نيسان . وقد اثبتت الحكومة اللبنانية انسجاماً في موقفها تجاه مناورات الانتداب

(٤) Courrier du levant le 24 Janvier 1944 .

(٥) Idem le premier Mai 1943 .

(٦) Rabbath. E: la formation historique du Liban p. cité 478 - 479.

الفرنسي عندما اجرت انتخابات المركز الشاغر بوفاة النائب سليم تقلا . فقد فشل مرشح حزب الكتائب الياس ربابي بفارق كبير بالأصوات أمام المرشح فيليب تقلا الذي حظي بدعم الحزب السوري القومي .

لم تدم لفترة طويلة الثقة الشعبية بعهد بشارة الخوري إذ بقيت شهوة الحكم دون ما عداها عند السياسيين اللبنانيين علة لبنان والمانع الوحيد دون إكمال المسيرة الوطنية . فقد فجر وزير الداخلية كميل شمعون الانسجام الحكومي لأنه رفض ان يكون أسير تحالف الخوري والصلح فضلاً عن أن علاقته المميزة مع البريطانيين تساعده في تحقيق تطلعاته في رئاسة لبنان . بالمقابل كان الفرنسيون على معرفة تامة بتحركات كميل شمعون المناهض لسياستهم وبايعاز من لندن . عندها اشترطوا موافقتهم التخلي عن بعض المصالح للحكومة اللبنانية بابعاد شمعون عن موقع السلطة . وحصل عملياً أول تعديل وزاري بعد الاستقلال حيث فقد كل من كميل شمعون وعادل عسيران حقيبته الوزارية .

بعد هذا التاريخ سنرى أن السياسيين الذين اتفقوا لوضع نهاية للانتداب الفرنسي لم ينجحوا في ادارة الدولة اللبنانية على أسس وطنية . وبرز الصراع داخل الكتلة الدستورية بسبب تسلط رئيس الجمهورية وطموحات الزعامات السنية لتولي رئاسة الحكومة . ويشير بشارة الخوري في مذكراته إلى حالة من هذا الصراع : «نالت سياسة رياض الصلح الخارجية استحساناً عاماً في جميع الأوساط الوطنية ولقيت ما يقارب الإجماع في المجلس النيابي ، غير أن سياسته الداخلية لم تكن كذلك . ووقف له بالمرصاد بعض خصومه السياسيين، وأكثرهم من طائفته ومزاحميه على كرسي الرئاسة ، منهم عبد الحميد كرامي وصائب سلام وعبدالله اليافي وسعدي المنلا يدعمهم هنري فرعون . وقد أسسوا فيما بينهم حزباً سياسياً اطلقوا عليه اسم «حزب الاستقلال» وتجنبوا أن ينتخبوا له رئيساً لئلا يثيروا المشاكل بين عبد الحميد كرامي ومتزعم الحزب الحقيقي . ألف هذا الحزب لانتزاع الحكم من رياض على رغم من تأييده الظاهر له» [٧] .

مع أن ذلك كان من قناعات بشارة الخوري فقد تخطى دور البرلمان وطلب من رياض الصلح تقديم استقالته ليكلف عبد الحميد كرامي بتشكيل حكومة جديدة .

بعد ذلك شهدت تلك المرحلة دوراً مميزاً لرئيس السلطة التنفيذية في لبنان عبر استئثاره بكل السلطات واصبح مصير الحكومات يشبه إلى حد كبير مصير الوزارات أيام المفوضية

(٧) **الخوري، بشارة**: حقائق لبنانية مصدر مذكور ص ١١١ الجزء الثاني .

العليا الفرنسية . وهكذا لم يسمح عمر الوزارات القصير بتنفيذ ما وعدت به في بياناتها الوزارية بل بقيت عرضة لشهوات السياسيين ورئيس الجمهورية اللبنانية . في ١٦ آب ١٩٤٥ تنال حكومة عبد الحميد كرامي ثقة البرلمان ولكنها تجبر على تقديم الاستقالة في اليوم التالي لأن رئيسها انتقد الوضع الدستوري والشكوى من تشابك الصلاحيات ومن التبرم من طغيان رئاسة الجمهورية على رئاسة الحكومة .

خلف حكومة كرامي وزارة برئاسة سامي الصلح الذي عرف في الأوساط الاسلامية بانتقاده اللاذع للنظام اللبناني لأنه انتقص من حقوق المسلمين في الوظائف العامة وخاصة الوظائف المهمة، وقد واجهت حكومته مصاعب في تأمين المواد التموينية وارتفاع غلاء المعيشة أمام المواطنين .

في مطلع شهر نيسان ١٩٤٦ شهدت بعض القطاعات اضرابات عمالية مما اضطر الحكومة لتحقيق بعض المطالب لقطاع السكة الحديدية وعمال الريجي . وخلال شهر أيار أعلن عدد من النواب ولادة «كتلة الاصلاح» وأبرز ما جاء في برنامجها تصغير الدائرة الانتخابية وجعلها على نطاق القضاء . في حين رفضت الحكومة هذا الطرح واعتبره النائب هنري فرعون لا يؤمن الوئام بين الطوائف .

في ١٩ أيار تفاقم الجدل بين المعارضة والحكومة في جلسة المجلس النيابي حتى وصل الأمر للاشتباك بالايدي بين النواب وإلى اخراج كمال جنبلاط من قاعة المجلس . في ٢٢ أيار تقدم سامي الصلح باستقالته دون أن يتوصل إلى معالجة «مسألة حقوق المسلمين» وبقيت بالتالي الهموم الطائفية اسفيناً في جسم النظام اللبناني يهدد وجوده في كل مناسبة .

لم تكن حال حكومة سعدي المنلا أفضل حالاً من سابقتها حكومة سامي الصلح . فلم يكن بوسعها معالجة الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي أخذ يعاني منها عهد بشارة الخوري . وشكل ذلك فرصة سانحة لانصار الانتداب من اللبنانيين لتجميع صفوفهم استعداداً لخوض معركة رئاسة الجمهورية المقبلة . وكانوا قد اصدروا مجلة لهم في باريس دعيت «صوت لبنان» . حملت المجلة في عددها الأول من حزيران ١٩٤٦ على البرلمان اللبناني وعلى الإنفاق المالي لبعض الزعماء اللبنانيين من خزينة الدولة .

على صعيد الوضع الاجتماعي رفع عمال سكة الحديد ، المرفأ والريجي مطالب إلى حكومة المنلا بتحسين وضعهم المعيشي. ولما لم تستجب الحكومة لمطالبهم أعلنوا الأضراب في قطاعاتهم . عندها صرف ٢٤ عاملاً من شركة الريجي وأصر وزير الداخلية صائب سلام

على إرغام بعض العمال على العمل في معمل فرن الشباك التابع للريجي وتحت حراسة رجال الدرك . كان ذلك ايذاناً بالمواجهة بين العمال المنتصرين لزملائهم المصروفين ورجال الأمن الذين اطلقوا النار على العمال عندما حالوا دون وصول أحد إلى مستودعات الدخان فسقطت العاملة وردة إبراهيم قتيلة مع عدد من الجرحى .

مصاعب أخرى واجهت حكومة المنلا وأدت إلى انقسام بين نواب الشمال وذلك عندما وقع اختيار الحكومة على عبد العزيز شهاب محافظاً للبنان الشمالي دون موافقة عبد الحميد كرامي . تبع ذلك صدام في طرابلس بين أنصار كرامي واعضاء حزب النداء القومي الذي يرأسه قبول الذوق . بينما كانت حكومة سعدي المنلا تواجه هذه المشاكل كان رئيس الجمهورية بشارة الخوري منهمكاً في إرضاء أكبر عدد من النواب لتأمين تجديد رئاسته حتى أنه دعم ترشيح حبيب أبي شهلا لرئاسة مجلس النواب خلافاً للميثاق الوطني الذي حصر المنصب بالطائفة الشيعية . كان هدف بشارة الخوري التخلص من حكومة المنلا وتشكيل حكومة «جبابرة»[٨] . برئاسة رياض الصلح لإجراء انتخابات مؤيدة لتجديده في الرئاسة الأولى .

---

(٨) نفس المصدر ص ٢٧٨ .

الفصل الخامس

جلاء فرنسا عن لبنان بين مؤيديه ومعارضيه

بعدما اجبرت فرنسا على التسليم باستقلال لبنان في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، راحت تغتنم الفرصة لتفريغ هذا الاستقلال من مضمونه الحقيقي وذلك بالسعي لاعتراف شرعي بتواجدها العسكري فيه . وكان تفاهم الحكومتين اللبنانية والسورية على انجاز السيادة التامة لكلا البلدين قد تم بدعم من تيار جماهيري كبير ليحبط المخطط الفرنسي بعد مواجهة سياسية وعسكرية عنيفة . ومع بداية شهر كانون الثاني ١٩٤٥ جابت المدن السورية مظاهرات تطالب بوضع القوات الخاصة في المشرق ، والمؤلفة من لبنانيين وسوريين وبأمرة فرنسية تحت أمرة حكومتي بيروت ودمشق . وكذلك الدعوة لبدء مفاوضات بهدف جلاء الجيوش الأجنبية من بريطانية وفرنسية .

في أعقاب ذلك تظاهرت في العاصمة اللبنانية جموع من الطلاب والشباب تدعو لإضراب عام لتحقيق المطالب نفسها التي رفعها اخوانهم السوريون . وخوفاً من الفريق اللبناني الملتحق تاريخياً بالسياسة الفرنسية سارعت الحكومة اللبنانية لقطع الطريق على أي صراع داخلي وطلبت من المنظمات السياسية وضع حد للاضراب العام خوفاً من استغلاله لغير صالح القضية المطروحة .

وجاء في بيان صادر عن وزارة الداخلية بتاريخ ١٥ كانون الثاني من ذلك العام «تشكر الحكومة اللبنانية الشعب والطلاب لنبل مشاعرهم وحماسهم الوطني . وتذكرهم بأنها تعمل بنشاط في سبيل تسلم امرة القوات الخاصة» (١) وتأكيداً على جدية قرار الحكومة أبلغ وزير الخارجية هنري فرعون البرلمان بأن الحكومة طلبت إلى ممثل فرنسا تسليمها أمرة القوات الخاصة اللبنانية . وهكذا أجهض الانسجام داخل الحكومة اللبنانية كل محاولة استغلال للفريق المؤيد لفرنسا . ويعود الفضل في ذلك للتيار الجماهيري من اللبنانيين والمتمثل

---

(١) Courrier du levant le 30 Janvier 1945 N 41 .

باحزاب وشخصيات المؤتمر الوطني الذي تشكل في اثناء خوض معركة الاستقلال . فضلاً عن الدعم البريطاني العسكري والسياسي للجم أية مغامرة عسكرية فرنسية محتملة . وكانت الحكومة اللبنانية على قناعة من صدق الموقف البريطاني . فالحسابات البريطانية آنذاك كانت في إطار الصراع مع فرنسا لتجيير المواجهة مع الفرنسيين لخدمة مخططاتها للاستئثار بالسيطرة على الشرق .

وسيتضح في سياق بحثنا أن معالجة مسألة القوات الخاصة والجلاء لم يقتصر على مسؤولي بلدي المشرق وباريس بل شملها الصراع البريطاني ـ الفرنسي . وقد أشار الجنرال ديغول في مؤتمره الصحافي في ٢٥ كانون الثاني إلى جوهر هذا الصراع بقوله : «إن لفرنسا مصالح عامة ووضعية تقليدية يجب أن نحافظ عليها . الحالة كثيرة الحساسية لأكثر من سبب أولاً مسألة الشرق دائماً حساسة ، وفي كل مناطقه وليس فقط في سوريا ولبنان ، بل اعتقد أيضاً في العراق ، شرقي الاردن ، السودان ، فلسطين وايران . فالشرق منطقة حيث المسألة المطروحة بالغة التعقيد والحساسية . . . إن مسألة الشرق هي مسألة اقتسام النفوذ بين الدول الكبرى»[٢] .

وأخيراً اتهم بريطانيا بأنها وراء الاضطرابات في سوريا ولبنان .

وجاء الرد البريطاني على تصريح ديغول في مداخلة لرئيس الوزراء تشرشل أمام مجلس العموم برفض الاتهامات الفرنسية التي تقول بأن البريطانيين يرغبون باحلال النفوذ الانكليزي مكان النفوذ الفرنسي في بلدي المشرق . وأخيراً اعترف بالوضع الخاص لفرنسا في سوريا ولبنان[٣] .

وفي الواقع أن الصراع البريطاني ـ الفرنسي على أرض لبنان أدى إلى إرباك الموقف السياسي والعسكري للفرنسيين وبالتالي خدم إلى حد ما نضال الوطنيين فيه .

في ٨ أيار احتفلت القوات الفرنسية وانصارها في بيروت بذكرى انتصار الحلفاء على المحور في الحرب الأولى وذلك برفع الأعلام الفرنسية من دون غيرها مرددين هتافات استفزازية ضد المطالبين باستقلال لبنان . وشارك جنود فرنسيون بثياب مدنية تحملهم

(٢) Archives contemporaines de documentation internationale (Pharos) document No 110 Juin 1945 N 22 .

(٣) المصدر نفسه .

الشاحنات بالتجوال في الشوارع هاتفين «يعيش ديغول ان البلد (لبنان) هو لك» واعقبت ذلك مظاهرة لـ ٢٠٠ جندي فلسطيني تابعين للفرقة ١٦ البريطانية حملوا صور الحاج أمين الحسيني واخذوا ينتزعون الأعلام الفرنسية من الشوارع ودخلوا مقراً للفرنسيين واحدثوا فيه تخريباً وعلى أثر ذلك انقسمت الأوساط اللبنانية بين مبرر للممارسات الفرنسية ومعارض لها . وقد عكست الصحف اللبنانية على اختلاف اتجاهاتها صورة هذا الانقسام وقد حملت الصحف المعارضة للانتداب : «بيروت» ، «النضال» ، «الشرق» و «الديار» . جهاز المخابرات الفرنسية وعملائه مسؤولية ما حصل في العاصمة[٤] ، كما أبرزت تنديد النائب لحود «اميل» من الكتلة الدستورية في البرلمان اللبناني بحملة الاعلام الأجنبية من دون العلم اللبناني وحملهم مسؤولية تدهور الأحداث في بيروت[٥] .

وبالمقابل جاءت تعليقات الصحف المؤيدة لسياسة الفرنسيين : «البشير» و «الحديث» بانتقاد تصرفات العسكريين الفلسطينيين فيما اعتبرت مشاركة اللبنانيين مع الفرنسيين في المظاهرة ما هو إلا تأييد عضوي للحلفاء ولفرنسا خصوصاً[٦] .

وتحسباً لتصاعد النقمة الجماهيرية ضد تواجد فرنسا العسكري في الشرق عززت باريس قواتها في هذه المنطقة وذلك بإرسال ١٢٠٠ جندي سنغالي إلى بيروت انزلوا في ظل اجواء من الاستنكار والدعوة للاضراب العام من أجل سحبهم بينما التأم المجلس النيابي في جلسة يوم ١٧ أيار فتوالى على الكلام ثلاثة نواب من الكتلة الدستورية لحود ، أبو جودة والفرزلي شاجبين انتهاك فرنسا للسيادة اللبنانية وطالبوا بدعوة جامعة الدولة العربية لبحث الأمر ، وقد اثنى رئيس الحكومة عبد الحميد كرامي على مواقف النواب معتبراً التصرف الفرنسي يهدد الاستقلال ومصالح هذه الدولة العظمى في لبنان . من جهتها دعت الصحف المؤيدة للفرنسيين إلى الهدوء مع الدعوة لفتح مفاوضات ودية مع فرنسا ، واعتبرت ان التواجد العسكري الفرنسي لا يمكن بأي حال أن يشكل خطراً على استقلال لبنان . أما جريدة «الاتحاد العربي» فقد ذهبت أبعد من ذلك واعتبرت ان الوجود الفرنسي يشكل ضمانة للاستقلال[٧] .

(٤) M.A.E.F. service d'information et de presse No 211 - 25 de la revue de la presse Libanaise et Syrienne du 11 au 18 Mai 1945.

(٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر .

(٧) نفس المصدر .

تلازمت التعزيزات العسكرية الفرنسية مع رفع مطالب حملها الجنرال بينيه إلى كل من الحكومتين اللبنانية والسورية تدعوهما لبدء مباحثات لوضع معاهدة تنظم بصورة نهائية ، العلاقات بينهما وبين فرنسا في ما يختص بالمصالح الثقافية والدينية والاقتصادية مع إمكان اعطائها بعض القواعد في الشرق ، كما هو وضع بريطانيا ، وكما تسعى اليه الولايات المتحدة من اجل تهيئة المناخ لتعاون استراتيجي بين الدول الثلاث العظمى في هذه المنطقة (٨) .

رفض سوري ـ لبناني :

رفضت الحكومتان اللبنانية والسورية المقترحات الفرنسية ورأتا أن لا جدوى من بدء مباحثات مع الفرنسيين في ظل التعزيزات العسكرية لأنها تشكل عامل ضغط على سير أية مباحثات. فضلاً عن أن «فيدرالية فرنسا المحاربة»، في المشرق اعتبرت أن موقف حكومتها يتعارض والمفهوم الديمقراطي لفرنسا . وفي ٢٢ أيار رفعت هذه الفيدرالية برقية إلى الجنرال بينيه جاء فيه« . . . ان السياسة الفرنسية المتبعة تؤدي إلى المأزق وان الفرنسيين في المشرق يرفضون التعاون معه وذلك ما ترتئيه أكثرية الشعب الفرنسي» .

وقع هذه البرقية رابطة حقوق الانسان ، العصبة المناهضة للفاشية الفرنسية في المشرق ، صديق الحرية ، جمعية العمال المدنيين في الجيش ، Paul Lepissier , Pierre Robin, Maxim , Rodisson, Paulette Molperly , charles BroncaBronca (٩) . . .

وفي وقت كانت الحكومة اللبنانية تواجه التوتر في العلاقات مع فرنسا كانت حريصة على تماسك الوضع الداخلي لمواجهة مؤامراتها وعملائها في لبنان . وفي ٢٣ أيار ، توجهت الحكومة بنداء إلى الشعب للإهتمام بشؤونه اليومية وافساح المجال أمامها للإهتمام بالدفاع عن استقلال لبنان . أما في سوريا فقد نجح المتظاهرون في احتلال مراكز عسكرية فرنسية في حلب، حما، حمص مما اضطر الجنرال بينيه إلى أن يوفد الكونت ostrory إلى باريس للوقوف على رأيها تجاه تدهور الأوضاع . ومن جهة اخرى اعطى الأوامر بقصف المدن السورية بالمدفعية من دون تمييز وقد ووجهت الوحشية الفرنسية بحملة استنكار عالمية وعربية فيما وافقت المنظمات السياسية في لبنان على اقتراح للمؤتمر الوطني باعلان الاضراب العام لمدة اسبوع بينما اعلنت حكومتا الأردن والعراق تضامنهما مع الموقف اللبناني والسوري . واعتبر

---

(٨) Revue «en terre de l'islam» 20année , troisième trimestre 1945 3 ème série N 13 Alger.

(٩) Journal Libération le 12 Juin 1945 Paris.

الأمير فيصل وزير الخارجية السعودية بان فرنسا ارتكبت عدوانا غاشما على سوريا . وعلى رغم ما حصل نقلت وكالة «رويتر» تصريحاً للجنرال بينيه قال فيه : «ان الخروج من المأزق في المشرق يقع على عاتق حكومتي بيروت ودمشق اللتين يتوجب عليهما الشروع باتخاذ الخطوات الأولى على طريق الحل» (١٠) .

وهذا التصعيد العسكري مع التصلب السياسي كانا مؤشراً على نوايا فرنسا العدوانية تجاه سوريا ولبنان . فما أجبرت عليه من الاعتراف باستقلال البلدين كان خلال فترة لا يسمح فيها الوضع الداخلي الفرنسي تحت الاحتلال الألماني بالتحرك بحرية في المستعمرات ، إلى جانب أن الإنكليز كانوا يحاولون استغلال هذا الوضع ليتمددوا استعمارياً على حساب المستعمرات الفرنسية . لكن بعد دحر الألمان عن باريس واستقرار الوضع فيها لصالح حكومة ديغول ، اتجهت هذه الحكومة نحو المستعمرات لإعادة ترتيب أوضاعها . وقد كشف بيان صادر عن اجتماع للحكومة الفرنسية بعد مناقشتها لتقرير قدمه وزير الخارجية جورج بيدو، بوضوح حقيقة الموقف الفرنسي الاستعماري تجاه بلدان المشرق اذ جاء فيه «عندما اعترفت فرنسا باستقلال لبنان وسوريا في العام ١٩٤٣ وضعت تحفظاً من أجل الحفاظ على مصالحها الثقافية والاقتصادية والعسكرية في هذه المنطقة حيث هي موجودة منذ قرون وطالما أن مصالحنا لا يعترف بها ، فإن سوريا ولبنان تبقيان قانونياً تحت النفوذ الفرنسي بفضل الانتداب الذي منحته لها عصبة الأمم . ولا يحق إلا لمنظمة عالمية أخرى سحب هذا الحق» (١١) .

المواجهة العسكرية مع السوريين

أعقب التصلب السياسي الفرنسي تصاعد المواجهة العسكرية مع السوريين في أكثر من مدينة فتدخل الطيران لأول مرة إلى جانب القصف المدفعي موقعاً ٢٠٠ ضحية خلال ٢٤ ساعة . حينئذ حاولت بريطانيا استغلال الموقف عبر اظهار تأييدها للسوريين وذلك بارسالها تهديداً بالتدخل المباشر اذا لم توقف فرنسا اعمالها العسكرية . وقد ورد ذلك في برقية بعث بها ونستون تشرشل إلى الجنرال ديغول . أما الحكومة السوفياتية فقد أصدرت بياناً في ٢ حزيران ١٩٤٥ عبرت فيه عن قلقها إزاء ما يجري في المشرق وطلبت من حكومات فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والصين اتخاذ اجراءات رادعة وضرورية لوقف تدهور الأوضاع

---

(١٠) Archives contemporaines de documentation internationale (Pharos) document 124 Juillet 1945 N 25 .

(١١) Idem .

في هذه المنطقة في حين حملت جامعة الدول العربية فرنسا مسؤولية ما يحصل من دمار وخسائر في سوريا ولبنان واعتبرت أن التواجد العسكري الفرنسي يشكل تهديداً دائماً لسكان البلدين (١٢) .

في لبنان حاولت القوى المناصرة لسياسة فرنسا أن تعطي لنفسها حقاً على حساب الشرعية اللبنانية وذلك بتبرير تصرفات فرنسا وحقها في ما تطالب به . عندها ردت احزاب وشخصيات المؤتمر الوطني بدعم موقف الحكم اللبناني عبر اتخاذ القرارات التالية :

١ ـ وقف كل المباحثات حتى انسحاب القوات الفرنسية .
٢ ـ تشكيل لجنة تحقيق دولية لتقدير الخسائر التي الحقت بسوريا .
٣ ـ الحكومة والبرلمان اللبنانيان هما صاحب الحق بالتكلم باسم الشعب اللبناني .
٤ ـ رفع هذه المطالب بالطرق الدبلوماسية إلى ممثلي الدول الحليفة والبلدان العربية (١٣) .

أمام موجة التضامن العالمي والعربي مع مواقف الحكومتين اللبنانية والسورية ضد السياسة الاستعمارية راح الفرنسيون في لبنان يعملون على احداث انقسام طائفي من خلال المرتبطين بهم من المسيحيين بعدما صوروا لهم أن وجودهم مرتبط ببقاء فرنسا العسكري في المشرق وفي الواقع أخذت صورة النضال الوطني التي تجلت في معركة الاستقلال ومعركة الجلاء في لبنان تطمس لتبرز صورة الصراع الطائفي وتهدد صيغة ١٩٤٣ .

التهديد بتغيير الصيغة

وهكذا ، لم يحل حصول الاتفاق بين الأكثرية اللبنانية في العام ١٩٤٣ على لبنان مستقل ونهائي للجميع دون إعادة التوتر الطائفي وتهديد الكيان أرضاً ومؤسسات . فالميثاق الوطني لم يترجم شعوراً وطنياً للانتماء لهذا الوطن لبنان بقدر ما فصل على مقياس مصالح زعماء الطوائف . وفي ظل فقدان الحس الوطني يبقى الدفاع عن الوطن ضد أخطار خارجية أو داخلية أمراً صعباً وذلك لانتفاء الدافع للتضحية . واذا ما عدنا لمواقف بعض القيادات المسيحية اللبنانية المعارضة للانتداب الفرنسي يتبين أنها لم تكن نتيجة قناعات برفض السيطرة الأجنبية بقدر ما أملتها ظروف المفوضية الفرنسية التي لم تستطع تحقيق كل رغبات تلك القيادات في كراسي الحكم على كثرتها. إلى جانب أن سيطرة انكلترا المتواجدة عسكرياً على

(١٢) Idem document 124 bis .
(١٣) Journal «L'Orient» le 30 Mai 1945 .

أرض لبنان وعلى الأسواق العربية حيث المجال الحيوي لنشاط البورجوازية اللبنانية دفع بتلك القيادات للارتباط بالبريطانيين والتخلي عن الفرنسيين. وهكذا كانت تلك القيادات تعطي الولاء للقوى الخارجية حسب ما تمليه مصلحتها دون الاهتمام بمصلحة الوطن العليا. وانطلاقاً من تلك المعطيات تعاملت بريطانيا مع معارضي الانتداب في العام ١٩٤٣ ودفعتهم بما تملك من قوة عسكرية على الأرض للتمادي في المواجهة مع الفرنسيين إلى أقصى الحدود.

واجه الفرنسيون موقف الحكومة اللبنانية المعادي لتواجدهم العسكري بإثارة مؤيديهم وعلى رأسهم البطريرك الماروني للجم سياسة الحكومة باعتبار ان كل تقليص من نفوذ فرنسا في المشرق هو تهديد للامتيازات المسيحية التي حصلوا عليها إبان فترة الانتداب . وعندما طرحت مسألة انشاء جيش وطني لبناني على حساب جلاء الجيوش الأجنبية اعترض البطريرك ومما قاله : «لا أرى فائدة بجيش خارج اعتبارات الأمن الداخلي ، لأنه يستحيل على جيشنا ، وان كان كثير العدد ، مواجهة بلد كبير سيواجهنا . أجد في المعاهدات الدولية أفضل وسيلة للمحافظة على استقلالنا» (١٤) .

ومما يلاحظ أن تصريح البطريرك يخدم المطالب الفرنسية التي رفعها الجنرال بينيه إلى الحكومة اللبنانية ومما يذكر من تصريحات البطريرك بعدما شرعت حكومة رياض الصلح في تقوية العلاقات مع العالم العربي التي اعتبرها تهديداً خطيراً للوجود المسيحي ، قوله في كراس باللغة العربية وزع في أوائل العام ١٩٤٥ في بيروت تحت عنوان ! «وطن قومي للنصارى في الشرق الأوسط» : «ان الحل المعقول للاضطراب السائد في البلدين السوري واللبناني لا يمكن أن يكون إلا في حشد الجماعات التي تدين بمبادىء متماثلة ، روحية وأدبية ، تحت سماء واحدة ، ترى ما أشد التناقض بين النصارى والمسلمين في الشرق فهناك حضارتان مختلفتان في الأساس تدين بهما جماهير مختلطة بعضها ببعض منذ ١٣ قرناً مع أن العقائد والأجيال متناقضة وعلى طرفي نقيض . . .

إن في لبنان وسوريا حالياً ، نحواً من مليون مسيحي ، فإذا صار حشدهم في بلد كلبنان ، بناء على تنظيم يتناسب وحالة سكانه ، ومنحت الدول هذا البلد صفة خاصة بحيث يكون حصناً منيعاً للحريات الانسانية كلها وطبقاً للمعتقد المسيحي ، في هذه الحال يمكن لهذه الأقليات المسيحية أن تتمتع بحياة حرة وتعالج شؤونها السياسية والاجتماعية طبقاً

(١٤) Courrier du Levant le 13 Janvier 1944 N 42 .

لشعورها الخاص من دون خطر ، منها أو عليها ، من جراء مجاورتها لشعوب اسلامية»(١٥) .
هذا الفكر السائد عند بعض القيادة المسيحية سهل لفرنسا أن تجند اعداداً كبيرة من المسيحيين اللبنانيين والسوريين في قمع الاضطرابات في المدن السورية . وعندما اضطرت القوات الفرنسية للتراجع عن مواقعها تحت ضربات الوطنيين السوريين تركت المجندين المسيحيين يواجهون مصيرهم لوحدهم حتى أصبحوا عرضة لهجمات الأهالي هم وكل من كان على علاقة بالفرنسيين ولا سيما المرسليون وأصحاب المعاهد الدينية في مناطق الجزيرة وحوران وجبل الدروز ، فهرب أكثرهم إلى لبنان . في حين طبقت الحكومة السورية مضمون مرسوم أقره البرلمان في ١٧ أيار ، بفرض عقوبات مشددة على كل من خدم لصالح دولة أجنبية على الأرض السورية ولم يستجب لندائها بالانضمام إلى صفوف المقاومة الشعبية .

كان لتلك الحوادث صداها في لبنان ، فجال المطران تبوني على رؤساء الطوائف المسيحية يحثهم على اتخاذ موقف إزاء ما يحدث في سوريا . وفي الأثر عقد مؤتمر مسيحي في بكركي لتأييد مطالب فرنسا وقاطعه الرؤساء الروحيون للروم الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس . وقد اتخذ المؤتمر الذي عقد في ٢١ أيار ١٩٤٥ المقررات الآتية :

١ ـ تأييد استقلال لبنان وسيادته التامة .
٢ ـ التعاون الصادق مع الدول المجاورة .
٣ ـ حفظ العلائق الودية مع الدول الحليفة التي اعترفت باستقلال لبنان وسيادته ، راجين من دولة فرنسا وباقي الدول الحليفة تأييد استقلال لبنان .
٤ ـ توطيد الالفة والسلام بين جميع الطوائف والعناصر اللبنانية .
٥ ـ تأييد حكومتنا اللبنانية في كل الأمور العائدة لخير لبنان وازدهاره .
٦ ـ عقد معاهدة مع دولة فرنسا تتفق ومصالح لبنان ومصالح فرنسا . وتكليف البطريرك مار انطون بطرس عريضة أن يتابع اهتمامه لتحقيق هذه الأماني . وقد تقرر في حينه إيفاد المونسنيور يوحنا الحاج لمقابلة الرئيس بشارة الخوري ليتدخل لدى حكومة دمشق لتبديد الخوف عن المسيحيين والافراج عن مساجينهم(١٦) .

بعدها تتالت التصريحات لأوساط مسيحية تصب في خانة التأييد للوجود الفرنسي في لبنان . فقد بادر البطريرك الماروني إلى الاعلان ان الجلاء الفرنسي عن لبنان سيكون له نتائج

(١٥) **البطريرك عريضة، أنطوان:** وطن قومي للنصارى في الشرق الأوسط ١٩٤٥.
(١٦) Journal L'orient le 30 Mai 1945 .

سيئة على الشعب المسيحي وطالب بتوقيع معاهدة فرنسية لبنانية . أما رئيس الكتائب بيار الجميل فلم يجد خطراً في توقيع المعاهدة مبرراً ذلك «نحن نستطيع توقيع معاهدة مع أي كان شرط أن تكون مصالحنا مصانة»(١٧) . لكن الدعم الشعبي اللبناني وكذلك السوري لموقف الحكومة اللبنانية طوق الضغوطات عليها من أجل تعديل سياستها تجاه الانتداب ، في وقت رأت احزاب وشخصيات المؤتمر الوطني أن كل امتياز يعطى لفرنسا سيعطى حتماً لبريطانيا في لبنان . وتطلب الموقف آنذاك العمل على تماسك الوضع الداخلي بعدما برز في الأفق تصلب اسلامي تقوده منظمة النجادة في مقابل التصلب المسيحي .

فرنسا ودور المغتربين

وكعادتها قبل الحرب الأولى عندما قامت بتجنيد عدد من المغتربين لخدمة مشاريعها في المشرق ، عادت فرنسا ، بعدما تأزم وضعها في لبنان هذه المرة ، ودفعت بالمقيمين اللبنانيين في فرنسا لدعم مواقف الموالين لسياستها في لبنان . ففي ٢٨ حزيران ١٩٤٥ صدر في باريس بيان باسم اللبنانيين يعبرون فيه عن تمسكهم بالاستقلال والسيادة لوطنهم في إطار الصداقة التقليدية مع فرنسا التي يجب تمتينها(١٨) . وفي أوائل تموز من العام نفسه أوفد البطريرك الماروني مبعوثاً له المونسنيور عقل للاتصال بالمغتربين لتنظيم أوضاعهم في إطار تصورات الكنيسة ومقررات مؤتمر بكركي .

كانت المحطة الأولى للمبعوث عقل في باريس حيث اعدله استقبال حار . والتقى الجنرال ديغول ناقلاً إليه رسالة من البطريرك عريضة وتباحث واياه في شأن مهمته . كما خصصت له الاذاعة الفرنسية مقابلات عدة تمحورت مواضيعها حول مهمته ودور المغتربين لدعمها . فيما أفردت مجلة «لبنان» الصادرة في العاصمة الفرنسية حيزاً وساعاً لتغطية نشاطات المونسنيور عقل ومما كتبت «جاء اختيار المبعوث عقل موفقاً لأنه خادم أمين للبنان . . . يملك في اعماقه أسرار مشاكل المشرق فضلاً عن أن ولاءه لفرنسا كبيراً . . . وما يريد الحصول عليه المونسنيور عقل هو أن تعطي الدول الحليفة ضمانة عالمية تحفظ استقلال لبنان وانتداب فرنسا لإنجاز هذه الضمانة التي بدونها لا يحقق لبنان الاستقلال التام»(١٩) .

(١٧) Correspondance d'orient Juillet 1945 Page 11 .
(١٨) Archives contemporaines de documentation internationale le 28 Juin 1945 N 1532 .
وقع البيان باسم الجالية اللبنانية : سليم عطار ـ حليم ملحمة ـ الأب حايك .
(١٩) Revue la voix du Liban Aout 1945 Paris .

وخلال إقامة عقل في باريس سمى لجنة تأسيسية لبنانية تكون ممثلة للبطريركية المارونية في المواقف السياسية .

نداء من البطريرك

تزامن التحرك الماروني في باريس مع نداء وجهه البطريرك في ١٥ تموز إلى رئيس الجمهورية بشارة الخوري جاء فيه «في هذا الظرف الحرج حالياً أجد من واجبي أن أبدي برأي حول ما طلبته الحكومة الفرنسية المؤقتة في لبنان .

سؤالان يطرحان حول الموضوع :

١ ـ لماذا تتردد الدولة اللبنانية في ابرام هذا الاتفاق ؟
٢ ـ لماذا لايكون هذا الاتفاق امتيازاً لفرنسا ؟

ويتابع البطريرك يعرض «ما فعلته فرنسا في خدمة لبنان» منذ ١٨٦٠ حتى زمن الانتداب ليخلص إلى القول «ما من دولة تملك في لبنان مصالح ثقافية واقتصادية مثل فرنسا ، فمن غير العدل بأن تعامل على قدم المساواة مع الآخرين» (٢٠).

وفي إطار الحملة ذاتها بعث البطريرك عريضة برسالة إلى صحيفة (لوموند) الفرنسية يستنهض فيها الرأي العام العالمي لدرء «الأخطار المحدقة بالمسيحيين في الشرق» وقد جاء فيها : «... لا أخفي عليكم قلقي على مستقبل المسيحيين في الشرق الأوسط . ونظراً لتصارع الطوائف في الماضي والحاضر ونظراً للعدد القليل من المسيحيين في الشرق ونظراً لأن لبنان هو الملجأ الوحيد للمسيحيين ولأن استقلال لبنان لا يصان إلا من قبل فرنسا ، التي دائماً اهتمت بمصالحه الحيوية ، لا يمنع من أن تكون فرنسا مدعومة في تدخلها الانساني من قبل القوى الحليفة الأخرى . أقول ذلك وأكرر : أن مصلحة لبنان هي في التوصل إلى معاهدة مع فرنسا تحفظ مصالح البلدين من دون المس باستقلال لبنان . هذه تمنيات مسيحينا . واعتبر أن من الضرورة معرفة مشاعر مسيحيي الشرق في الوقت الذي تعمل القوى العظمى من أجل السلام المنتظر والسعادة لجميع الشعوب» (٢١).

مع هذا الوضع المتأزم في الداخل والتسابق الاستعماري لابقاء السيطرة الأجنبية على الشرق ، استغل كل من بريطانيا والأمير عبدالله في شرق الأردن حالة الانقسام في لبنان

(٢٠) Correspondance d'orient Juillet 1945 P.P 96 - 97 .

(٢١) Journal le Monde 20 Juillet 1945 paris .

وراحوا يعملون على بعث مشروع سوريا الكبرى بما يوجد حلاً للاستيطان الصهيوني في فلسطين وولادة وطن قومي مسيحي في جبل لبنان . وقد لاقى هذا المشروع تجاوباً في بعض الأوساط اللبنانية المسيحية ككتلة إميل اده والبطريرك الماروني . وقد أشارت جريدة «الغساسنة» الناطقة باسم منظمة الغساسنة في لبنان ، لهذا المخطط والمتعاطفين معه ومما كتبت : «عجيب أمر غبطة البطريرك الماروني الذي يبعث الرسل إلى الملك عبدالله ويتقرب اليه ويرسل أقاربه لينقلوا إلى جلالته التحية والمودة . في حين أن عاهل شرق الأردن مزمع على تحقيق سوريا الكبرى وما قد يلحق بتنفيذ هذا المشروع من اقتطاع بعض الأراضي اللبنانية . وفي الوقت الذي يقف اللبنانيون والسوريون يقظين ساهرين على سلامتهم يأخذ صاحب الغبطة بنسج حبال الصداقة بينه وبين الملك عبدالله للخنق لبنان الحاضر بحالته الراهنة والرجوع إلى لبنان المختزل لتحقيق أحلام فئة من السياسيين النفعيين . وهذا ما يفسر لنا سكوت «الكتلة» التي تتسمى بالوطنية عن مهاجمة المشروع ، ففي تحقيقه إحياء لأملها باسترجاع النفوذ وأن كان على أشلاء الجمهورية اللبنانية وابنائها المخلصين» (٢٢).

ومع تطور الأحداث في سوريا ولبنان أخذت تتوضح حقيقة المشروع الصهيوني ـ البريطاني ومدى تجاوب الفريق المؤيد لسياسة الفرنسيين معه من خلال تحركهم لتأمين موافقة دولية عليه . وحاول هؤلاء ممارسة ضغط على الحكومة الفرنسية للقبول بالمشروع وترافق ذلك مع حملة اعلامية تزعمها مدير صحيفة «الحديث» ايلي حرفوش . وقد عقد لهذه الغاية مؤتمراً صحافياً في باريس تكلم فيه باسم «اللبنانيين الحقيقيين» متهماً المسلمين بأنهم أعداء لبنان وان «الحل الوحيد حالياً هو إقامة لبنان كوطن قومي مسيحي . وان هذا الحل سيقود لحل المسألة الفلسطينية» (٢٣).

المطران مبارك والصهيونية :

تجدر الاشارة إلى أن هذه الفترة شهدت لقاءات متعددة لانصار الوطن القومي المسيحي مع دعاة الحركة الصهيونية . وقد ترافق ذلك مع كثرة التصريحات الصادرة عن هؤلاء في تأييد حق اليهود في فلسطين . ففي اثناء قيام اللجنة الاميركية البريطانية لتقصي الحقائق بشأن الصراع اليهودي ـ العربي في فلسطين نشرت صحيفة Palastine Post الصادرة

(٢٢) جريدة الغساسنة ١٨ أيار ١٩٤٧ بيروت العدد ٣ .

(٢٣) Ministere de l'information française (direction des informations) le 27 Aout 1945 hors - serie No 55.

في لندن تصريحاً للمطران مبارك جاء فيه «لو سمعت اللجنة صوت لبنان الحقيقي لكانت سمعت ذلك الصوت يعلن مؤازرة العمران اليهودي في فلسطين ومؤازرة الصهيونية باعتبارها شعاراً للتقدم لشعوب الشرق الأوسط كلها . . .

إن تقدم لبنان مربوط بتقدم فلسطين ونحن اللبنانيين المسيحيين نعلم ذلك وندرك أن الصهيونية تأتي بالتمدن لفلسطين وللشرق الأوسط كله . واني متحمس جداً للصهيونية لأني أحب الخير لفلسطين واذا احببتم أن تماشوا رغبات العرب المسلمين فيها . وإني أقول لكم بصراحة أنكم إذا قاومتم الصهيونية في فلسطين فان ذلك يعني إرجاع الشعب إلى حكم الهمجية وارجاع البلاد إلى حالة الفوضى والبرطيل كما كانت أيام حكم سلاطين بني عثمان» (٢٤) .

ولما تعاظمت الضجة على المطران مبارك استنكاراً بادر إلى تكذيب التصريح . وكان بالامكان تصديق ذلك لو أنها حالة منعزلة في سياسة الانعزاليين اللبنانيين . فخلال تلك المرحلة ، وفي حين اتخذت احزاب المؤتمر الوطني قراراً بمقاطعة الصهيونية في فلسطين ، نشرت الصحف تصريحاً للشيخ بيار الجميل يأسف لمقاطعة الصهيونية لأنها تجلب على لبنان في رأيه اضراراً اقتصادية بالغة ، ومما قال «لقد قبلوا بالمقاطعة مرغمين ولو ترك لهم الخيار لما قاطعوا الصهيونية» (٢٥) .

ولم يكن التعاطف مع الصهاينة والتنسيق حالة وحيدة في هذه المرحلة بل سبقتها لقاءات مع أكثر من مسؤول لبناني . ففي تقرير رفعه ممثل بريطانيا في بيروت إلى وزارة الخارجية في لندن «ان وفداً من الوكالة اليهودية زار الرئيس السابق الفرد نقاش لدعوته لزيارة تل أبيب . وفهم أن الزيارة رتبت بواسطة ابن عمه البرت نقاش الذي كان يعمل مع السيد غلرون . وهذا الأخير له اتصالات معروفة في الوسط اليهودي . خلال زيارته ، التقى الفرد نقاش في الناقورة مع مهندس في مصلحة مياه تل أبيب الذي قاد سيارته إلى تل أبيب . وخلال إقامة النقاش زاره أحد الصهاينة الذي صرح بأنه صديق شخصي للرئيس الأميركي روزفلت ، واقترح عليه أن يزور وابن عمه البرت الولايات المتحدة ليدرس مشاريع يهودية مختلفة تتعلق بمشاريع صناعية في لبنان وفي تخطيط ري يغطي جبل عامل والقسم الشمالي في فلسطين الذي تهتم به مصلحة مياه تل أبيب . هذا ما كان يقترح على الفرد نقاش خلال

(٢٤) فروخ ، عمر : من اجل الدفاع عن الوطن بيروت ١٩٤٦ ص ٢٦

(٢٥) جريدة التلغراف ٢ نيسان ١٩٤٦ .

وجوده في تل أبيب وابقي طي الكتمان خوفاً من ردة فعل المسلمين . بعد ذلك لم يبحث هذا الموضوع ولكن كان متوقعاً أن الاهتمامات الاسرائيلية ستبرز مخالبها مع الرئيس نقاش حتى تنفذ مخططها» (٢٦) .

مهمة عقل وانعكاساتها

بعدما زودت الحكومة الفرنسية المونسنيور عقل بالتعليمات اللازمة لخدمة سياستها انتقل من باريس إلى الولايات المتحدة الأميركية . وسبق ذلك تصريح أدلى به للاذاعة الفرنسية جاء فيه «ان فرنسا أعلنت استقلال لبنان واعترفت بهذا الاستقلال دول الشرق والغرب ، فتوسمنا الخير العميم لوطننا المفدى عن هذا الاستقلال لولا أن بعضهم عمل على استغلاله لفائدة فريق وضرر آخر . . . إننا نطالب باستقلال صاف بريء إلا إننا نريد أيضاً معاهدة مع فرنسا . . . أما اذا طالت الحالة الحاضرة في لبنان واصر بعض المتطرفين على جرنا إلى مستقبل مجهول ، يقطع كل علاقة لنا مع الأمم الغربية المحالفة ، ووضع مقدراتنا بين أيدٍ لا نأمن معها عن استقلالنا ، فاننا سنسأل الدول العظمى ان تجعل استقلالنا مكفولاً من جميع الدول على أن يعهد إلى فرنسا في تنفيذه ، وإلا جبنا الأرض من الشرق إلى الغرب رافعين ظلامتنا إلى الرأي العام العالمي بغية الدفاع عن حقوقنا والمحافظة على وطننا المقدس» (٢٧) .

إذن ما كان يريده دعاة الانعزال في لبنان هو استقلال بمفهومهم الخاص الذي يتعارض ومفهوم الاستقلال المطلق ، وهو قطع كل هيمنة أجنبية على مقدرات الوطن وان تكون السيادة المطلقة لبنيه يختارون ما يريدون في نظم الحكم .

انطلاقاً من هذه الذهنية وهذه النظرة إلى الحكم في لبنان كانت لقاءات المبعوث عقل بالجاليات اللبنانية في المدن الأميركية حيث أخذ يظهر لهم أن ما يجري في سوريا ولبنان يستهدف بالدرجة الأولى الوجود المسيحي في البلدين . وتولت صحيفة «الهدى» لصاحبها نعوم مكرزل نشر تصريحات عدة للمبعوث الماروني ، كما نظمت بعض الجمعيات اللبنانية لقاءات مع اعضائها . وكان مراسل صحيفة «اخبار اليوم» القاهرية في نيويورك قد بعث برقية تتعلق بمهمة المبعوث عقل جاء فيها «ان المونسنيور انطون عقل وصل إلى الولايات المتحدة وصرح للصحافيين بأنه سيتقدم إلى مجلس الأمن طالباً أن يحمي استقلال لبنان من

(٢٦) F.O 226 document 224 le 15 Mai 1943 .

(٢٧) خاطر ، لحد : مذكرات شاهد بيروت ١٩٥٠ ص ٣٨ - ٣٩ .

السيطرة الاسلامية . وان استقلال لبنان تهدده الدول الاسلامية المحيط به والتي تبغي أن تؤلف كتلة من مصر والمملكة العربية السعودية وايران والعراق وسوريا . فاذا تم ذلك فسوف يبتلع لبنان ويقضي على ديمقراطيته»[٢٨] .

وقد أثار ما صرح به عقل خلال لقائه بالمغتربين جدلاً بينهم وادى إلى انقسام في صفوفهم مما دفع بالحكومة اللبنانية إلى أن تطلب من وزيرها المفوض في واشنطن شارل مالك لسحب جواز سفر المبعوث عقل وان لا يعاد إليه إلا عند عودته إلى لبنان . ومن ثم تمنت على البطريرك الماروني قطع رحلة مبعوثه . لكن على رغم ذلك استمر عقل في مهمته وحضر مؤتمر «جمعية النهضة اللبنانية» الذي حضره ممثلون عن ٧٠ جمعية لبنانية تكلم فيه عقل عن مهمته طالباً الدعم لمواقف البطريرك . وكان أن جاءت مقررات المؤتمر لتؤيد مقررات مؤتمر بكركي وتستنكر الغاء جواز المبعوث انطون عقل وتكليف لجنة خاصة قوامها سلوم مكرزل والمحاميان جورج شعيا وجورج بطرس نجيم واسكندر انطون ، وضع نص احتجاج . وأخيراً تضمن البيان الختامي للمؤتمر رفع المقررات إلى مجلس وزراء الخارجية المنعقد في لندن والمراجع الأخرى[٢٩] .

أما ردة الفعل على مهمة عقل فصدرت من أصحاب الصحف العربية الصادرة في الولايات المتحدة الأميركية الذي توجهوا برسالة إلى البطريرك الماروني يستفسرون عن حقيقة مهمة مبعوثة جاء فيها «ان التصريحات الصحافية للمونسنيور عقل أقلقت كل ما هو من أصل لبناني نأسف بشدة لهذه التصريحات ونعتقد بأنها مجحفة بمصالح لبنان» .

الموقعون : إيلي أبو معدي صحيفة «السمير» فوزي بريدي صحيفة «الاصلاح» سعيد فياض صحيفة «البيان» يعقوب روفايل صحيفة «الاخلاق» وفريد غصن صحيفة «مرآة العرب»[٣٠] .

في إطار تلك التحركات الطائفية المتعارضة ومصلحة الوطن في السيادة والاستقلال رسم للكتائب دور لتضطلع به وذلك بتنظيم المغتربين واعطائهم دوراً في خدمة هذه الطروحات الطائفية على غرار الجمعيات اليهودية في الخارج لدعم الصهيونية في فلسطين . وكان أن نظمت الكتائب مؤتمرين للمغتربين الأول بين ٢١ و٢٣ أيلول ١٩٤٥ والثاني بين

(٢٨) فروخ، عمر : مصدر مذكور ص ٤٧ .
(٢٩) خاطر، لحد : مصدر مذكور ص ٩٤ .
(٣٠) Légation du Libanà Parisservice de Presse , Octobre 1945 .

٢١ و٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٦ . وتضمن المؤتمر الثاني المقررات التالية :

١ ـ المطالبة باجراء احصاء عام لاخواننا ما وراء البحار .

٢ ـ وضع تذاكر نفوس وسجلات في لبنان ومراكز المفوضيات والقنصليات اللبنانية للمغتربين اللبنانيين وأفراد عائلاتهم والاهتمام الجدي بتسليم التذاكر إلى أصحابها وبجعل هذه السجلات جاهزة على الدوام .

٣ ـ ارسال تعليمات للمفوضيات والقنصليات اللبنانية لاعطاء جوازات سفر مؤقتة للمغتربين الراغبين في الرجوع إلى الوطن والاكتفاء بشهادة محلية تثبت اصلهم اللبناني[٣١] .

وما يلفت النظر في هذه المقررات انها لم تشر من قريب أو بعيد لما كان يجري على أرض لبنان لإجبار فرنسا وانكلترا على جلاء جيوشهما عنه وكأن الحدث يجري على أراضي أخرى . إلى جانب أن العديد من اللبنانيين المقيمين ومن طوائف معينة محرومون من حقوق المواطنية اللبنانية بينما يهتم بأناس آخرين لخدمة أنصار الوطن القومي المسيحي في لبنان الذين يسعون لتسجيل مغتربين لبنانيين من طائفة معينة ليصار على أساسها ابراز كثرتهم العددية لضمان هيمنتهم الطائفية على مقدرات الوطن .

لكن ، على رغم هذه الأوركسترا المنظمة لأنصار فرنسا في لبنان لإضفاء الشرعية على الوجود العسكري الأجنبي فيه استمرت الحكومتان اللبنانية والسورية ، بدعم شعبي واسع ، تصران على مطلب الجلاء . في هذا الوقت راحت بريطانيا تظهر نفسها بمظهر الحيادي في عملية الصراع القائمة . أما في الحقيقة فكانت تسعى على اخراج فرنسا من الشرق ليتسنى لها تنفيذ مشاريع احلاف طرحتها على المنطقة بهدف تطويق الاتحاد السوفياتي (كالكتلة الشرقية وسوريا الكبرى) .

ولما أفشلت القوى الوطنية في العالم العربي مشاريع بريطانيا ، اضطرت الأخيرة لتوقيع اتفاق للجلاء العسكري ، في ١٣ كانون الأول ١٩٤٥ ، عن سوريا ولبنان . وقد لحظ الاتفاق امكانية بقاء قوات فرنسية في لبنان إلى أن تتوصل الأمم المتحدة لوضع ترتيبات للأمن في هذه المنطقة . كان ذلك عملية التفاف على مطلب الشعبين اللبناني والسوري بجلاء الجيوش الأجنبية عن بلديهما لأن الأمم المتحدة لم تكن مؤهلة لوضع سياسة امنية في أية منطقة من العالم خارج ما اتفق عليه في مؤتمر يالطا .

(٣١) جريدة العمل ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٦ عدد ٢٣٢ .

والمحتمل أن الاتفاق البريطاني الفرنسي وقع تحت ضغط الجمعية الفرنسية البريطانية التي اتخذت مركزاً لها في باريس . وقد وضعت هذه الجمعية كراساً بعنوان «إتفاق ١٣ كانون الأول يسجل نهاية الخصام البريطاني الفرنسي في الشرق» . شدد مضمون الكراس على ضرورة توقيع اتفاق بوجه الخطر الروسي لأن موسكو تدعم الشعوب العربية بانتقادها للهجرة اليهودية إلى فلسطين وتدعم مطالب الجامعة العربية وتطالب لاصدقائها الجدد بالاستقلال التام . . . واذا أراد الفرنسيون والبريطانيون الاحتفاظ بالنفوذ التقليدي لبلديهما في الشرق الأوسط والأقصى وتجنب تدخلات جديدة ، يجب أن يدركوا أن اتباع سياسة جديدة ومشتركة هو ضرورة لكل من حكومة باريس ولندن» (٣٢) .

في لبنان رفض اتفاق ١٣ كانون الأول من مختلف القطاعات الشعبية . فقد اعتبرته الأغلبية النيابية متعارضاً مع ميثاق الأمم المتحدة وذلك أثناء جلسة للمجلس النيابي . وقال النائب حبيب أبي شهلا فيه «ان الحفاظ على السلام في سوريا ولبنان ليس مسؤولية فرنسا وبريطانيا لكنه مسؤولية الامم المتحدة» (٣٣) . من جهة أخرى أضربت المدن اللبنانية تجاوباً مع دعوة المؤتمر الوطني استنكاراً للاتفاق ، وأرسلت برقيات الاحتجاج أيضاً إلى كل من رئيس الجمهورية والبرلمان اللبناني . وفي ٦ كانون الثاني ١٩٤٦ صدر بلاغ رسمي لبناني برفض ابقاء قواعد عسكرية اجنبية على الأراضي اللبنانية وبعدم الموافقة على اعطاء وضعية خاصة لأية دولة كبرى لأن «الحكومة طلبت أكثر من مرة الجلاء الشامل والقريب لكل الجيوش الأجنبية المتمركزة في لبنان» (٣٤) .

أمام المماطلة البريطانية الفرنسية في موضوع الجلاء قررت الحكومتان اللبنانية والسورية عرض الأمر أمام مجلس الأمن الدولي . وفي شباط قدم مندوبو الدولتين شكوى بهذا الخصوص . خلال المناقشات، أعلنا أنه لا توجد دوافع عسكرية تصحح وضعية بقاء الجيوش الأجنبية في بلديهما المستقبلين ، وان اتفاق ١٣ كانون الأول يشكل تدخلاً في شؤون البلدين الداخلية ، لأن حكومتيهما لم تستشارا بموضوع الاتفاق ، بالمقابل أعلن المندوب الفرنسي أن وجود القوات الفرنسية البريطانية لا يسمى سيادة الدولتين لأن الدول التي تتمركز فيها جيوش أجنبية هي كثيرة وفي مؤتمر صحفي عقد لاحقاً أعلن المندوب الفرنسي أن هذه القوات

(٣٢) Comité Franco-Britanique note et question au comité de Londres le 12 Janvier 1946.

(٣٣) ن. هوفها نسيان : النضال التحرري الوطني في لبنان ١٩٣٩ - ١٩٥٨ مترجم بيروت ١٩٧٤ ص ٩٦ .

(٣٤) Archives internationales (Ephemerides) le 6 Janvier 1946 N 2554 .

ستبقى في الشرق لحين استتباب السلام الشامل . ولما فشلت كل المساعي ليتراجع لبنان وسوريا عن موقفهما تقدمت الولايات المتحدة الأميركية باقتراح يدعو بريطانيا وفرنسا ولبنان وسوريا للبدء مباحثات في أسرع وقت . قبل تقديم الاقتراح على التصويت طلب ممثلو لبنان وسوريا ادخال تعديل عليه وذلك بحصر المباحثات المقترحة فقط بشأن الجلاء دون غيره من المواضيع ووضع برنامج مفصل يحدد مهلة بدء ذلك . أصر المندوب الأميركي على اقتراحه الذي نال موافقة أكثرية الأعضاء لكن الفيتو السوفياتي أوقف العمل به وأوضح مندوب الاتحاد السوفياتي بأن الفيتو لا يطال مبدأ الجلاء بل الغموض في الاقتراح .

صدى المناقشات في مجلس الأمن انعكست في مداخلات النواب في البرلمان اللبناني . فقد أعلن النائب عبدالله اليافي أن الفيتو السوفياتي يتعارض مع مصالح البلد ، لكن الأكثرية النيابية لم تشاركه الرأي بل صوتت إلى جانب قرار تقدم به النواب ، جورج عقل - يعقوب الصراف - كمال جنبلاط ، بتقديم الشكر للدول التي دعمت شكوى لبنان في مجلس الأمن (٣٥) .

بهذا استطاعت القوى الوطنية الداعم لموقف الحكومتين اللبنانية والسورية في مسألة الجلاء على اجبار فرنسا وبريطانيا على فتح مباحثات في آذار ١٩٤٦ لسحب جيشيهما في غضون ٦ أسابيع .

وهكذا ، في ٣١ كانون الأول ١٩٤٦ ، تحقق جلاء آخر جندي اجنبي عن لبنان تحت إصرار الحكومة وكل الوطنيين على تمسكهم بالسيادة والاستقلال .

يبقى أن نشير إلى أن المطالب الطائفية التي رافقت موضوع الجلاء عن لبنان لم تكن إلا شعارات سابقة على وجود الكيان اللبناني واستمرت معه طيلة هذه المرحلة بينما اعرض المسؤولون اللبنانيون عن مواجهة المشكلة الداخلية وبالتحديد الطائفية بالجدية المطلوبة لاعطاء هذا الكيان مفهوماً وطنياً شأن الأوطان في العالم . ومن هنا بقي الخلل يضرب في الكيان اللبناني ويتعمق مع الزمن ويتحول فجوات وشروخاً تسربت خلالها هبات التفجير من المتضررين من عروبة للبنان ، وسيستمر ذلك ما دامت المصلحة الطائفية هي الأولى والأخيرة في هذا الكيان اللبناني .

(٣٥) ن. هوفها نسيان: مصدر مذكور ص ١٠١ .

الملاحق

ملحق رقم ١: البرنامج السياسي للحزب القومي الذي حصل بموجبه على ترخيص رسمي.

ملحق رقم ٢: مذكرة الشخصيات اللبنانية إلى ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني.

ملحق رقم ٣: مذكرة الكتلة الاسلامية إلى رئيس الجمهورية اللبنانية في ٢٠ تموز ١٩٤٢.

ملحق رقم ٤: مذكرة الجمعيات الاسلامية إلى الجنرال سبيرس.

ملحق رقم ٥: مهمات الشيوعيين في الحركة الوطنية العربية.

ملحق رقم ١

البرنامج السياسي
للحزب القومي

وهو البرنامج السياسي الذي تقدم به الحزب القومي إلى الحكومة اللبنانية والذي على أساسه نال رخصة قانونية بالعمل بتاريخ ٢ مايو ١٩٤٤:

اسم الحزب : الحزب القومي .

مركزه : بيروت .

فروعه : في كل محافظات وأقضية الجمهورية اللبنانية .

غايته : استقلال لبنان والعمل على اصلاح المجتمع اللبناني والقضاء على مفاسده بترقيته إلى مستوى ثقافي عصري ونضوج سياسي يتناسب مع روح المدنية الحديثة ، ودعم هذا الاستقلال على الأسس الآتية :

١ - فصل الدين عن الدولة .

٢ - إزالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب .

٣ - الغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الانتاج ، وانصاف العمل وصيانة مصلحة الأمة والدولة .

٤ - إيجاد نظام عصري للأحوال الشخصية .

٥ - وضع برنامج للتربية والتعليم تستهدف فيه المبادىء والاصلاحات المنوه عنها أعلاه ويتفق مع حاجات المجتمع اللبناني الاقتصادية والثقافية والنفسية ، وينتهي باعداد النشء اللبناني لتحمل المسؤوليات السياسية وممارسة الحقوق المدنية . ويكفل نمو نضائله الأخلاقية ، وتربيته على حب الوطن وجعل التعليم الابتدائي اجبارياً ، وانتخاب المؤهلين لمتابعة العلوم العليا والفنية .

٦ - إنشاء دائرة خاصة في وزارة الخارجية للعناية بالمهاجرين وشؤونهم وعلاقاتهم بالوطن وانماء روابطهم به عن طريق نشر الثقافة القومية بينهم . ويكون من صلاحيات هذه

الدائرة حماية مصالحهم وتشجيعهم للعودة إلى البلاد باعطائهم امتيازات اقتصادية تضمن صيانة ثرواتهم .

٧ ـ إن علاقات لبنان الاقتصادية والسياسية الخارجية والدفاعية بسوريا وفلسطين وشرق الأردن تقوم على أساس احترام المبدأ الاقتصادي القائل باكتمال الدورة الاقتصادية ضمن حدود هذه الأقطار . ولذلك فان هذه العلاقات تتم بناء على الخطوط الآتية :

أ ـ الغاء الحواجز الاقتصادية .

ب ـ التعاون التام في مختلف فروع الاقتصاد والسياسة الخارجية والدفاع .

ج ـ السعي لتوحيد برامج التعليم .

٨ ـ تخضع علاقات لبنان بالأقطار العربية الشقيقة لمبدأ أن لبنان قطر عربي . فتقوم هذه العلاقات على أساس التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي في كل ما يعود بالخير على هذه الأقطار جميعاً .

٩ ـ العمل على تمتين عرى الصداقة والتحالف بين لبنان والأمم الديموقراطية عن طريق توثيق وانماء الروابط الثقافية بينه وبين الديمقراطية الكبرى .

١٠ ـ إن الهيئة الادارية والسياسية العليا للحزب تسمى المجلس الأعلى .

١١ ـ ينتخب المجلس الأعلى لجنة للاهتمام بالشؤون الادارية تسمى مجلس العمد .

١٢ ـ لقد انتخب السيد نعمة ثابت رئيساً للمجلس الأعلى ، وهو المسؤول تجاه الحكومة والسلطات .

١٣ ـ انتخب السيد أسد الأشقر نائباً للرئيس والسيد ولسن مجدلاني اميناً للصندوق .

١٤ ـ نظام الحزب ديمقراطي وكل قراراته تتخذ بأكثرية الأصوات في المجالس المختصة .

١٥ ـ إن المجلس الأعلى الحالي المؤسس للحزب القومي يستمر في إدارة الحزب وسياسته مدة سنتين يضع خلالها القانون الداخلي للحزب الذي بموجبه ستحدد طريقة انتخاب اعضاء هذه المؤسسة وسواها من المؤسسات الحزبية .

ملحق رقم ٢

مذكرة الشخصيات اللبنانية إلى ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني (١)

استناداً إلى البيانات التي أدلى بها تكراراً المستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية وكذلك إلى الرسائل المتبادلة بين الجنرال ديغول زعيم الفرنسيين الأحرار والمستر لتلتون وزير الدولة البريطاني في ٧ آب ١٩٤١ ، تلك الرسائل التي تعترف باستقلال دولتي سوريا ولبنان ، من غير أن يؤثر على الاستقلال ما ورد فيها عن الأولوية الفرنسوية تجاه بقية الدول الأوروبية .

واستناداً إلى التصريح المشترك المعلن على اثر مؤتمر الاطلنطيكي، والذي أعلن به السيدان روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأميركية وتشرشل رئيس الوزارة البريطانية حق الشعوب في تقرير مصيرها . واستناداً إلى المثل الأعلى الديمقراطي الذي نادى به الحلفاء باعتباره هدفاً أساسياً من أهداف الحرب التي يخوضون غمارها .

ونظراً إلى كون استقلال دولة سوريا المعلن في دمشق ، والذي اعترفت به حكومة صاحب الجلالة البريطانية لا يحتوي على أي تحفظ كان إلا ما تقضي به ظروف الحرب الاستثنائية المؤقتة .

ولما كان التصريح باعلان الاستقلال اللبناني يختلف عن نص الاستقلال السوري باشارته في بيان ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١ إلى روح معاهدة سنة ١٩٣٦ ونصها ، وهي معاهدة لم توضع قط موضع التنفيذ .

ولما كانت أهم مميزات الاستقلال هي أن يفسح المجال للبلد المستقبل حتى يتفاوض بحرية تامة في سبيل عقد معاهداته، ولما كان بيان ٢٦ تشرين الثاني قد انتقص هذا المبدأ بوصفه نصاً من شأنه أن يربط مصير لبنان منذ الآن .

(١) F.O 226 doct 309. sans date.

١ ـ نطالب للبنان استقلالاً فعلياً يتمكن به من تقرير مصيره بحرية تامة .

٢ ـ نعلن منذ الآن انه لا يمكن أن يتقيد لبنان في علاقته الخارجية ، سياسية كانت أم اقتصادية ، إلا عن طريق مجلس ينتخب انتخاباً حراً بواسطة حكومة منبثقة عن هذا المجلس .

نرسل هذه المذكرة إلى حكومات الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا العظمى وفرنسا الحرة ، بصفة كونها صاحبة البيانات التي أشار اليها أصحاب التواقيع :

١ ـ المونسنيور اغناطوس مبارك	مطران الطائفة المارونية في بيروت
٢ ـ المونسنيور مكسيموس صايغ	مطران الروم الكاثوليك في بيروت
٣ ـ المونسنيور بولس المعوشي	مطران الطائفة المارونية في صور
٤ ـ بشارة الخوري	رئيس وزراء سابق
٥ ـ الأمير خالد شهاب	رئيس مجلس نواب ورئيس وزراء سابق
٦ ـ سليم تقلا	محافظ بيروت ، نائب ووزير سابق .
٧ ـ جبران تويني	صاحب جريدة النهار ووزير سابق
٨ ـ الأمير مجيد ارسلان	نائب ووزير سابق
٩ ـ كميل شمعون	نائب ووزير سابق
١٠ ـ نجيب عسيران	نائب رئيس مجلس نواب سابق
١١ ـ صبري حمادة	نائب ووزير سابق
١٢ ـ فريد الخازن	نائب سابق
١٣ ـ رشيد جنبلاط	نائب سابق
١٤ ـ ابراهيم عازار	نائب سابق
١٥ ـ محي الدين النصولي	صاحب جريدة بيروت نائب سابق
١٦ ـ الدكتور الياس عاد	نائب سابق
١٧ ـ رشيد بيضون	نائب سابق
١٨ ـ توفيق عواد	نائب سابق
١٩ ـ زخيا طوبيا	نائب سابق
٢٠ ـ عادل عسيران	وجيه وملاك
٢١ ـ جورج كرم	وجيه وتاجر
٢٢ ـ ندرة عيسى الخوري	وجيه وتاجر

٢٣ ـ عزت جنبلاط	وجيه وملاك
٢٤ ـ توفيق وهبي	صاحب جريدة آسيا
٢٥ ـ جورج بستاني	صاحب بنك
٢٦ ـ حبيب كيروز	صاحب صناعة

ملحق رقم ٣

مذكرة الكتلة الاسلامية إلى رئيس الجمهورية اللبنانية
في ٢٠ تموز ١٩٤٢

لفخامة رئيس الجمهورية المحترم

يعرض موقعو هذه المذكرة ما يأتي :

إن المسلمين بلبنان الذين كانوا ولا يزالون يحرصون على الوحدة الشاملة والاستقلال التام لزموا منذ إعلان لبنان الكبير السياسة السلبية حتى إذا ما اعتزم الجانب الافرنسي الاعتراف بالاستقلال بمعاهدة سنة ١٩٣٦ فكر بعض رجالاتهم بتجربة سياسة التعاون على شروط سجلت رسمياً في ملاحق المعاهدة وذلك بالرسالتين رقم ٦ و ٦ مكررة اللتين وجهتا من فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية إلى فخامة المفوض السامي وايدهما مندوب فرنسا وثبتها بجواب مؤرخ في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦ وجهه إلى المرحوم سليم علي سلام بصفته رئيس المؤتمر الاسلامي في ذلك الحين وقد تضمنت هتان الرسالتان البنود الآتية :

١ ـ تمثيل مختلف عناصر البلاد في مجموع وظائف الدولة تمثيلاً عادلاً .

٢ ـ توزيع النفقات ذات الفائدة العمومية بنسبة عادلة بين مختلف المناطق .

٣ ـ توحيد النظام المالي بأسرع ما يمكن وعلى كل حال قبل وضع المعاهدة موضع التنفيذ .

٤ ـ تطبيق برنامج اصلاحات ادارية يحتوي على : ١ ـ اعطاء البلديات صلاحيات أوسع .
٢ ـ انشاء مجالس محافظات لها حق درس المسائل ذات الفائدة المحلية .

وقد ثبت لدى المسلمين بعد التوقيع على المعاهدة ببيروت أن تلك العهود والوعود التي قطعتها الحكومة اللبنانية لهم انما كان القصد منها بلوغ معاهدة لا سبيل اليها إلا بموافقة نصف سكان هذا الساحل . وان السفينة اللبنانية التي تستهدف سياسة معلومة لا تفتأ جارية جادة في سبيلها فعادوا إلى السياسة السلبية وظهرت اثار ذلك بين الخاصة والعامة في مؤتمرات ومظاهرات مختلفة .

وكان أول بوادر الاحتجاج أن اجتمع المجلس القومي الاسلامي ووجه مذكرة إلى المسيو إيفون دلبوس وزير الخارجية الفرنسية يشكو بها بشدة النكول بالعهود التي وردت ببعض ملاحق المعاهدة ويعرب عن القلق الذي يساور المسلمين بسبب ذلك وعن استمرار الاجحاف اللاحق بحقوقهم مستشهداً من التقرير الذي تلاه الشيخ بشارة الخوري رئيس اللجنة البرلمانية يومئذ ، ووجه فيه نظر الحكومة الفرنسية إلى روح القلق الذي يسيطر بصورة خاصة على الأوساط الاسلامية بسبب عدم تنفيذ الملاحق رقم ٦ و ٦ مكررة .

ثم وجه المجلس القومي الاسلامي مذكرة ثانية باسم طلاب الوحدة السورية إلى فخامة الكونت دي مارتل المفوض السامي يعرب فيها عن مضار التجزئة ويشير إلى أن ٨٢ بالمئة من موارد لبنان تجبى من المناطق الملحقة به على حين ان النفقات يصرف جلها في مناطق أخرى ويذكر التأثير السيء الذي كان لاستقلال السلطة الافرنسية بالموارد الجمركية ثم ينتهي بطلب الوحدة وتحقيق العدل والانصاف .

وقد لزم المسلمون السكون على مضض ومرارة اذ تبين لهم أنه مهما بذل لهم من عهود ووعود فان ذلك يبقى بعيداً عن مسمع القابضين على زمام السلطة . وظل الحال على هذا المنوال إلى أن تبدلت الظروف واعترف الحلفاء بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤١ باستقلال البلاد فتجدد الأمل إزاء التصريحات الرسمية الجديدة التي صدرت عن شخصيات سياسية دولية مسؤولة تلك التصريحات التي ترمي كلها إلى الاعتراف بسيادة البلاد واستقلالها وانصاف جميع العناصر .

ففي الرسالة التي وجهها فخامة الجنرال كاترو ممثل فرنسا الحرة إلى فخامتكم بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤١ وأعرب فيها عن أماني اللبنانيين قال : ـ وهم أي اللبنانيين يصرون على أن تتوفر ضمن نطاق المجموعة اللبنانية مساواة في الواجبات والحقوق بين الأشخاص وتوزيع منصف للتكاليف والمنافع بين الطوائف وأخيراً احترام مصالح المناطق .

وفي البيان الذي نشره مندوب فرنسا الحرة يوم اعلان استقلال لبنان في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤١ وعد بما يأتي .

وتضمن الحكومة اللبنانية المساواة في الحقوق المدنية والسياسية بين سائر تبعتها بدون أي تمييز وتؤمن توزيعاً عادلاً بين مختلف عناصر البلاد للمراكز العليا ولمجموع وظائف الدولة .

وقد تفضلتم فخامتكم جواباً على رسالة مندوب فرنسا الحرة بقولكم : «لي الشرف أن

أقبل بالمهمة التي تقترحون وسأسعى في تحقيق هذه الأماني».

ثم اثبتم بخطابكم يوم اعلان هذا الاستقلال اعتزامكم تأمين تمثيل المناطق والطوائف على قدر الامكان تمثيلاً يتوافر فيه أكثر ما يمكن من العدل واشراكها بالمسؤولية العامة وجعل مساهمتها في إدارة الدولة فعليه أكثر فأكثر . وقد أيدت بريطانيا العظمى بلسان رئيس وزرائها ووزير خارجيتها وغيرهما هذه الضمانات في مناسبات مختلفة .

ونحن يا فخامة الرئيس نعتقد بأن العهود التي قطعتموها على نفسكم ستوفون بها . ومع هذا فليس بوسعنا أن نخفي عنكم أن المسلمين الذين ما زالوا يرون الدوائر اللبنانية تتجاهل هذه العهود أصبحوا في ريبة من كل وعد فاستطالوا الأشهر السبعة التي انقضت على اعلان الاستقلال . لذلك رأينا من المفيد أن نرفع اليكم هذه المذكرة التمهيدية في الوقت الذي باشرت فيه الحكومة اجراء تنظيمات وتشكيلات جديدة في مختلف الدوائر لنشير فيها بايجاز إلى الاجحاف الواقع على المسلمين في لبنان .

يؤلمنا يا صاحب الفخامة أن يدور البحث في مذكرتنا هذه حول الطائفية ولكنا لم نجد إلى تحاشي ذلك سبيلاً ودستور هذه البلاد انما وضع على هذا الأساس فنرجو أن لا تحمل صراحتنا هذه محل التعصب على حين أننا اذا تعرضنا في ابحاثنا للطائفية فانما نفعل ذلك مكرهين لا مختارين .

وبعد فمن المعلوم أن عدد الطوائف الاسلامية يزيد على نصف سكان هذا الوطن اذا استثنينا اللاجئين اليه ويناهز نصف مجموع السكان إذا أحصينا هؤلاء الغرباء اللاجئين فقد تبين من الاحصاء الأخير الذي حصل عام ١٩٣٢ ان مجموع سكان لبنان الوطنيين يبلغ ٧٩٣٣٩٦ : المسلمون منهم ٣٨٦٤٦٩ والمسيحيون منهم مع اللاجئين ٣٩٦٩٤٦ فيظهر من هذا أن الطائفتين في هذا البلد متكافئتان بالعدد . ونعتقد بأنه اذا عمدت الحكومة إلى احصاء جديد نزيه يتبين لها بأن عدد المسلمين أوفر من سواهم لأسباب اجتماعية رغم ازدياد عدد اللاجئين في هذه السنوات العشر ورغم استمرار تدفق اللاجئين حتى الآن على غير مصلحة البلاد مع العلم أن هناك عدداً غير قليل من المسلمين المقيمين في البلاد منذ عشرات السنين كالأكراد مثلاً منعت ولا تزال تمنع عنهم الجنسية اللبنانية في الوقت الذي كانت ولا تزال تمنح لغيرهم بكل سخاء وترغيب وبحق وبغير حق كل ذلك بغية جعل المسلمين في مقام الأقلية وأنا سنطبع كتاباً أبيض نتوسع فيه بتبيان الاجحاف الواقع على المسلمين بلبنان بتأثير سياسات مقصودة مستنداً إلى الأرقام . أما الآن فاننا نقتصر على هذه المذكرة

التمهيدية مكتفين بالفات نظر فخامتكم إلى ناحيتين لا بد من الاشارة اليهما .

الأولى الاشتراك في الحكم .

الثانية توزيع المنافع .

الاشتراك في الحكم

يبدو لنا ولكل منصف أن هناك خطة متبعة بلبنان يقصد منها تقليص ظل المسلمين تدريجاً من الحكم اللهم إلا في الوظائف الثانوية وان هناك سياحة تفصيل طائفي ترمي إلى جعل الصلاحيات والوظائف الرئيسية ذات السلطة والحل والربط محصورة بطائفة دون اخرى . والدليل على ذلك أن الذين اخرجوا من الموظفين المسلمين فوجاً بعد فوج بذرائع مختلفة حل محلهم سواهم من غير ابناء طائفتهم وكثيراً ما خرجت بعض الوظائف من حوزة المسلمين اذا ما نقل أصحابها إلى وظائف أخرى وان أكثر المتدرجين في الوظائف من غير المسلمين طالما اصبحوا في مدة قصيرة فوق زملائهم المسلمين مرتبة على ما لترفيع الموظفين من قواعد وقوانين فضلاً عن أن المسلمين قلما يمثلون في اللجان وان هناك قوانين كقانون التقاعد وقانون الانتخابات وضعت على أسس يراد بها تأييد تلك الخطط .

فكان من مغبة ذلك أن الدوائر الرئيسية في الحكومة اللبنانية أصبحت خالية من المسلمين أو كادت ، فدواوين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة ووزارة العدلية والبرق والبريد والصحة والنافعة والداخلية والمعارف والتجارة والإعاشة وغيرها حرم على ابناء المسلمين أن يتبوأوا كغيرهم مقاعدها الرئيسية .

أما المالية التي تعد خمسة رؤساء دوائر فانها احتفظت لحسن الحظ برئيس دائرة واحد من المسلمين هذا واذا اتفق وجود مأمور مسلم أو اثنان في مديرية ما في الوظائف الرئيسية فلا يكون له من الميزات والصلاحيات ما لسواه .

وكان من جراء هذه السياسة ان رزحت الخزينة تحت أثقال رواتب لا لزوم لأصحابها وتحت أعباء مخصصات تقاعد وفيرة يتقاضاها موظفون انما أخرجوا للتقاعد قبل الموعد ليتركوا إلى سواهم من أرباب الحظوى وظائفهم . ولا نلقي الكلام على عواهنه بل نحن نعتمد على أمثلة تسند إلى الاحصاء الرسمي ننقل خلاصتها اليكم يا صاحب الفخامة تبريراً لشكوانا المرة المنبعثة عن الألم وللاختصار نكتفي بها فلا نتعرض لبقية الدوائر على أمل أن نوفي الموضوع حقه في كتابنا العتيد .

* * *

١ ـ في الادارة :

إن عدد الوظائف التي هي بمرتبة وظيفة مدير والتي تشمل المديرين والمفتشين العامين والمراقبين يبلغ ٢٧ وظيفة تصيب الطوائف المحمدية سبع فقط .

٢ ـ القضاء :

أولاً : هناك تفاوت كبير في العدد بين قضاة الطوائف المسيحية وبين قضاة الطوائف المسلمة فمن مجموع ١٠٦ قضاه في الجمهورية اللبنانية تلاحظ بأن عدد المسلمين يبلغ ٣٧ قاضياً بينما عدد المسيحيين يبلغ ٦٩ .

ثانياً : وهو المهم أن الرئاسات جميعها في أغلب المحاكم وخصوصاً في الاستئناف هي في حوزة اخواننا إلا واحدة منها يرأسها مسلم .

ثالثاً : وهو الأهم أنه لا توجد في لبنان محكمة تتألف من أكثرية مسلمة وان هناك غرفتين في القضاء احداهما في الاستئناف والثانية في محكمة بداية بيروت تتألفان باجمعها من قضاة مسيحيين .

وعلى هذا النمط تتألف محاكم الملحقات ولا مجال هنا للتفصيل فنكتفي بايراد النسبة المئوية

الوظائف للمسيحيين ٦٠ في المئة وللمسلمين ٤٠ في المئة .

الرواتب للمسيحيين ٦٤ في المئة وللمسلمين ٣٦ في المئة .

* * *

٣ ـ البرق والبريد :

المصالح الرئيسية في المديرية العامة تسع واحدة منها فقط للمسلمين ونسبة حظ المسلمين في الأدارات (مديريات) ١٨ في المئة بينما تصيب غيرهم فيها ٨٢ في المئة وهذا جدول اجمالي يتكلم على ما في هذه الادارة من الغبن على المسلمين وهو قائم على أساس الراتب الأصلي الشهري وبالعملة السورية اللبنانية .

مركز	عدد الموظفين المسيحيين	عدد الموظفين المسلمين	مجموع رواتب المسيحيين	مجموع رواتب المسلمين
مركز بيروت	١٣٥	٨١	٦٦٨٢	٣٧٢٨
طرابلس وصيدا	٢٢	١٥	٢١٥٥	٦٤٦
باقي الجهات	١٤٠	٢٨	٥٣٣٣	٩٥٦
	٢٩٧	١٢٤	١٤١٧٠	٥٣٣٠

وعلى هذا تكون النسبة المئوية هكذا :

الموظفون ٧١ بالمئة مسيحيون و ٢٩ بالمئة مسلمون .

الرواتب ٧٢ بالمئة للمسيحيين و ٢٨ بالمئة للمسلمين .

٥ ـ الأشغال العامة :

المصالح الرئيسية في هذه الدوائر هي أيضاً بيد اخواننا المسيحين ومنعاً للتطويل والاسهاب نضع أمام فخامتكم النسبة المئوية وفيها الايضاح التام :

الوظائف للمسيحيين ٦٨ بالمئة وللمسلمين ٣٢ بالمئة

الرواتب للمسيحيين ٦٩ بالمئة وللمسلمين ٣١ بالمئة .

* * *

٦ ـ الدوائر العقارية :

إذا اكتفينا في الاستشهاد بمركز بيروت نجد أنه لقاء٣١ موظفاً مسيحياً في هذه الدائرة تبلغ رواتبهم الأصلية الشهرية ١٤٩١ ليرة لبنانية لا يوجد فيها إلا ١٢ موظفاً مسلماً مجموع رواتبهم هذه لا تتجاوز ٦٢٢ ليرة لبنانية .

٧ ـ المعارف :

وليس بوسعنا أن نعتقد أنه كان من الصدق حرمان المسلمين من المراكز الرئيسية في ادارة وزارة التربية الوطنية والفنون فان هذه المراكز تتألف من وزير ومدير وثلاثة مفتشين ورئيس قلم يضاف اليهم مدراء مدرسة الصنائع والمكتبة الوطنية والمتحف والكونسرفتوار وكلهم مسيحيون الا مفتشاً واحداً مسلماً .

وفي الجملة فالنسبة المئوية لموظفي الادارة تأتي على هذا الوجه :

الوظائف للمسيحيين ٧٣ بالمئة وللمسلمين ٢٧ بالمئة .

الرواتب للمسيحيين ٧٦ بالمئة وللمسلمين ٢٤ بالمئة .

هذا فضلاً عن الاجحاف الكبير في توزيع الاعانات المدرسية في كل عام ذلك الاجحاف الذي طالما احتج عليه المسلمون في شتى المناسبات .

* * *

٨ ـ المالية :

وأما في هذه الدائرة فان الأرقام الآتية تتكلم بنفسها :

الوظائف للمسيحيين ٦٤ بالمئة للمسلمين ٣٦ بالمئة .

الرواتب للمسيحيين ٦٦ بالمئة للمسلمين ٣٤ بالمئة .

مع العلم بأن الادارات الرئيسية هي كالعادة بحوزة المسيحيين .

وعلى هذه الدوائر التي استشهدنا بها تقاس سائر الدوائر في الجمهورية اللبنانية ولا سيما ما استجد منها كدائرة الاعاشة ومكتب الميرة ويظهر التحيز والاجحاف على الأكثر في الشركات صاحبات الامتياز فضلاً عن الدوائر التابعة للمصالح المشتركة .

توزيع المنافع :

إن المسلمين الذين يغزون الخزينة أكثر من سواهم بما يؤدونه من المكوس والضرائب يشعرون بفداحة الغبن عليهم حين ترون أنهم فضلاً عن حرمانهم من قسطهم بالاشتراك في الحكم يحرمون أيضاً من الانتفاع كغيرهم من الاعانات المالية التي توزع على الأفراد والمؤسسات اذ يكون نصيبهم منها في كل وقت جزء ضئيلاً وعلى هذه الطريقة سلكت أخيراً ادارة الاعاشة فبينما هي كانت تبسط يدها كل البسط ازاء المؤسسات الخيرية والدينية غير الاسلامية كالأديرة والمستشفيات كانت في نفس الوقت تقتر كل التقتير على أمثالها من المؤسسات الاسلامية . هذا فضلاً عن حرمان المناطق الاسلامية على وجه أخص من التمتع في المنافع العامة .

ويطول الشرح بنا لو عمدنا إلى أيراد الأمثلة على حرمان كل منطقة من هذه المناطق فنقتصر الآن على نقل شكاوي بلد في الشمال وهي طرابلس التي تأتي بالدرجة الثانية في

الأهمية بعد بيروت وعلى مجمل شكايات منطقة الجنوب .

فطرابلس التي يبلغ عدد سكانها الخمسة وستين الفاً بينهم ٥٥ ألف مسلم ونيف تتذمر اذ ترى نفسها مهضومة الحقوق في عقر دارها بالرغم من المواعيد والعهود التي طالما قطعت لأجلها . فالمحافظ ورئيس المحكمة والمستنطق وحاكم الصلح والقاضي العقاري ومعاون النائب العام وقضاة للمحكمة ثلاثة وقائد درك الشمال ومدير المدرسة الرسمية ومفتش المعارف والمحاسب وطبيب مستشفى الحكومة وطبيب المحافظة وطبيب البلديتين كلهم من اخواننا المسيحيين الذين يقبضون على زمام الادارة والقضاء والصحة والمعارف .

أما المسلمون فليس لهم غير مركز النائب العام ومعاون الرئيس وعضو واحد في المحكمتين وليس لهم إلا معاون طبيب مستشفى الحكومة وهم شأن غيرهم في سائر الجهات مختصون بالوظائف الثانوية .

وأما أهل جبل عامل الذين يبلغون نحو مائتي الف ساكن فكأنهم محرومون من الوظائف العالية كلها فضلاً عن أنه لا توجد في هذا الجبل مدرسة ثانوية واحدة والمدارس الابتدائية فيه لا تزيد على ثلاثين مدرسة وليس في هذا الجبل الذي يضم ثلاثمائة قرية مستشفى واحد ولا دوائر صحية ما عدا صور والنبطية وصيدا وهو محروم أيضاً من مشاريع الري ويشرب أهلوه الماء الاسن ومحروم أيضاً من الطرق إلا طريقتين تخترقانه من الغرب إلى الشرق وهما من بقايا الحرب الكبرى .

فخامة الرئيس :

هذه اسئلة قليلة عن احوال المسلمين في الجمهورية اللبنانية وقد رأينا من واجبنا كمواطنين ان نصارحكم القول في شأنها ونطلعكم على حقيقة هذه السياسة الخاطئة التي اتبعت ولا تزال تتبع بحقهم من قبل الحكومات التي تعاقبت على سياسة لبنان .

فالمسلمون لا يمكنهم أن يرتاحوا إلى أوضاع سياسة ترمي إلى إضعافهم ولا يمكنهم أن يعاونوا في انشاء وطن هو لفئة دون أخرى بل يحبون أن يساهموا في انشاء كيان يشعر فيه كل مواطن مهما كان لونه أو معتقده انه وطنه الذي يلقى فيه كل عدل ومساواة ويعيش فيه موفور الكرامة ويطمئن إلى أن مصالحه السياسية والاجتماعية والاقتصادية مصونة فيه كل الصون وان مستقبله فيه ومستقبل أولاده من بعده مضمون كل الضمانة .

وأخيراً يا فخامة الرئيس فان المسلمين الذين ما فتئوا يعربون عن تذمرهم من السياسة

المتبعة في لبنان لا ينسون أن هذا الوطن بجبله وساحله انما هو جزء لا يتجزأ من الشرق العربي . وانه ليس بوسع أحد أن يجعله في عزلة عنه وجفاء سواء أكان ذلك من النواحي الاقتصادية والاجتماعية أم من الناحية السياسية لذلك فانهم يحرصون كل الحرص على أن يولي لبنان وجهه شطر الاتجاه الطبيعي الذي تستهدفه الامصار العربية الأخرى فيجني معها ثمرات التآلف والاتحاد ويحرصون أيضاً على أن يستمر وطنهم في طليعة العاملين على تعزيز النهضة القومية واللغة العربية .

هذه كلمة بسطناها في هذه المذكرة التمهيدية تعبر عن عواطف المسلمين المتألمة وشعورهم العام غير مدفوعين فيها إلا بعامل الواجب الوطني والغيرة على مصلحة هذا البلد الذي نظن به أن يظل فريسة الأطماع والاستئثار وعدم الاستقرار .

واننا نكتب هذه المناسبة لنرفع اليكم جزيل احترامنا .

ملحق رقم ٤

في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٣

حضرة صاحب الفخامة الجنرال السر ادوارد سبيرز الوزير المالي
لصاحب الجلالة البريطانية في سوريا ولبنان

عقدت الكتلة الاسلامية جلسة خاصة بمناسبة عودة الحياة الدستورية إلى لبنان وانتصار الحق في حوادث ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ فاتخذت القرارات التالية :

أولاً : تقدم الكتلة الاسلامية خالص الشكر إلى فخامة السر ادوارد سبيرز الوزير المفوض لصاحب الجلالة البريطانية لموقفه النبيل في الأزمة اللبنانية الأخيرة وللجهود الجبارة التي بذلها لإعادة الحياة الدستورية والحالة الشرعية إلى البلاد فكان بذلك الدرع المتين لحقوق الشعب اللبناني والصائن لها .

ثانياً : ترجو من فخامة الجنرال سبيرز أن يتفضل برفع أخلص عبارات عرفان الجميل بأسمها إلى حكومة صاحب الجلالة البريطانية على عطفها ودفاعها عن حريات لبنان واستقلاله ، ذلك الدفاع الذي يتفق مع الروح الديمقراطية الصحيحة ومع غايات الدول الحليفة من هذه الحرب .

ثالثاً : تبعث بمزيد شكرها أيضاً بواسطة فخامة الجنرال سبيرز إلى فخامة المستر كايزي وزير الدولة في الشرق الأوسط .

رابعاً : تحيي تحية الأعجاب اعضاء بعثة سبيرز الكرام أحسن تحية ، أولئك الرجال الذين ما فتئوا يخدمون قضية الحق ، والذين يمثلون الأهداف العالية التي تكافح من اجلها الشعوب الحرة .

خامساً : تصرح أن تاريخ لبنان الحديث سيخلد ولا شك بفخر اسم الجنرال السر ادوارد سبيرز ممثل صاحب الجلالة البريطانية في المع صفحة من صفحاته .

الكتلة الإسلامية

DEC 1943

ملحق رقم ٥

وثيقة تاريخية

مهمات الشيوعيين في الحركة الوطنية العربية

حددها كونفرانس ممثلي الحزب الشيوعي في سوريا والحزب الشيوعي في فلسطين

هذه الوثيقة ، المنشورة في مجلة «المراسلات الأممية» عام ١٩٣٣ ، صدرت عن اجتماع (كونفرانس) بين الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان والحزب الشيوعي الفلسطيني (ربما عام ١٩٣١) وقد درجوا فيه أوضاع مختلف البلاد العربية ، والمسألة الأساسية التي هي المسألة الوطنية (القومية) العربية وصاغوا استنتاجاتهم ومهماتهم في هذه الوثيقة النظرية التاريخية المهمة التالية :

نظراً للأهمية المتزايدة للحركة الثورية في البلدان العربية ، يبدو لنا من الضروري اعطاء تقييم للوضع في هذه البلدان . من وجهة النظر الشيوعية ، آخذين في الحسبان تجارب النضال المعادي للامبريالية في البلدان الكولونيالية الأخرى .

١ ـ إحدى المهمات الجوهرية في نضال التحرر الثوري ضد الامبريالية على أرض الشرق الأدنى الواسعة ، هي حل المسألة (القومية) العربية . إن الجماهير الشعبية في كافة البلدان العربية ترزح تحت نير الامبريالية . إن كل البلدان العربية محرومة ، بشكل أو بآخر ، وعلى درجات مختلفة ، من دولة مستقلة . فلسطين ، وشرقي الأردن ، والعراق ، هي بلدان خاضعة للانتداب وهي واقعة بصورة كاملة تحت سيطرة الامبريالية الانكليزية ، وسوريا (= ولبنان) تحكمها الامبريالية الفرنسية ، ومصر واقعة تحت سلطة انكلترا وليس «الاستقلال» الذي أعلن سنة ١٩٢١ سوى مهزءة أمام الاستقلال الحقيقي ، نظراً لكون أهم مقاليد القيادة السياسية هي في أيدي الامبريالية البريطانية . بالاضافة إلى ذلك لا يزال الانكليز يفرضون دكتاتوريتهم في السودان ، وأقليم طرابلس هو مستعمرة ايطالية ، وتونس والجزائر واقعتان تحت السيطرة الفرنسية، ومراكش مقسمة بين الامبريالية الفرنسية والامبريالية الأسبانية . أما اليمن والحجاز ونجد ، فمع كونها غير واقعة تحت سيطرة الامبريالية مباشرة ،

فهي محرومة من الشروط التي لا غنى عنها لوجود مستقل ، لكونها مطوقة بمستعمرات الامبريالية وواقعة تحت ضرباتها ، إنها مضطرة لطاعة الأوامر التي تمليها عليها الامبريالية .

إن مجمل نظام السيطرة الامبريالية على الشعوب العربية لا يستند على استعبادها المباشر وحسب ، بل وعلى تقطيع أوصالها بصورة اعتباطية حسب تعليمات الامبريالية العالمية . إن تقسيم الشعوب العربية هذا بين الامبريالية الانكليزية والفرنسية والايطالية والأسبانية إنما يعكس ميزان القوى الذي قام في مجرى التاريخ بين هذه الامبرياليات ، والذي يهدف ادامة سيطرتها . وهو يتناقض تناقضاً فاضحاً مع المصالح الحيوية للشعوب العربية . إن الحدود الدولية التي تفصلها قد أقيمت ويحافظ عليها بواسطة عنف الامبرياليين الذين يعتمدون مبدأ «فرّق تسُد» . إن هذه الحدود تضعف جماهير الشعوب العربية بصورة مصطنعة ، في نضالها ضد النير الأجنبي ومن اجل الاستقلال والوحدة القومية ، وفق الارادة المعبر عنها بحرية من قبل الجماهير الشعبية .

إن جوهر المسألة القومية القريبة يكمن بالضبط في أن الامبريالية الانكليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية قد مزقت هذا الجسد الحي الذي كان يتشكل من الشعوب العربية . وفي إبقاء البلدان العربية في حالة انقسام اقطاعي ، وفي حرمان كل بلد ، على حدة ، من الشروط الضرورية لنموه الاقتصادي والسياسي المستقل ، وفي الحؤول دون تحقق الوحدة القومية وقيام دولة موحدة للشعوب العربية .

لقد قسمت سوريا بصورة اعتباطية إلى خمسة أجزاء تفصل فيما بينها ادارة خاصة بكل منها الخ . . . واستولى الانكليز على السودان بالقوة . إن الامبريالية ، اذ تحول كل البلدان العربية إلى ملحق زراعي وإلى مصدر يزود البلد المسيطر بالمواد الأولية ، واذ تشوه وتعيق نمو القوى المنتجة والنمو العام لهذه البلدان ، إنما تحاول بذلك بالذات المحافظة على استعباد هذه البلدان وإدامته . وبذلك تكتسب العناصر الاقطاعية الوزن الراجح ، في حين أن نمو العناصر الرأسمالية يقتصر في قسمه الأكبر على توليد برجوازية تجارية مرتبطة بهذا القدر أو ذاك بالملكية العقارية والاقطاعية ، وببيع منتجات البلد المسيطر وتزويده بالمواد الخام . يضاف إلى ذلك أن الامبريالية تحافظ على انظمة الحكم الملكية الاقطاعية (مصر ، مراكش ، تونس) وتخلق أنظمة حكم ملكية جديدة شبه ـ اقطاعية (العراق ، شرقي الأردن) بالاستناد على «أسر» تافهة متخلفة ، أو أنها تخلق نظام حكمها الكولونيالي الامبريالي دون اللجوء إلى هؤلاء الملوك ـ العملاء (فلسطين ، سوريا ، طرابلس ، الجزائر) وذلك بالجمع بين الاضطهاد والقرصنة وبين إدارة هذه البلدان بانتداب من عصبة الامم .

٢ - إن الأمر المشترك والحاسم بالنسبة لجميع البلدان العربية ، هو أن الرأسمال المالي الأجنبي يقبض بين يديه على كل زمام القيادة الاقتصادية ، بموازاة زمام القيادة السياسية التي في يد الامبريالية . إن أهم البنوك، والفبارك وسكك الحديد والمرافىء والملاحة والمناجم وأهم شبكات الري وزمام التجارة الخارجية والديون العامة، الخ . . . هي في أيدي الرأسمال المالي الأجنبي . وأكثر من ذلك ، استولى الوحوش الامبرياليون على أفضل الأراضي في الأكثرية الساحقة من البلدان العربية (مراكش ، الجزائر ، تونس ، طرابلس ، مصر ، سوريا فلسطين) ، أضف إلى ذلك أن الامبريالية البريطانية قد استخدمت الصهيونية المضادة للثورة للاستيلاء على أراضي فلسطين وسرقتها . إن الفلاحين العرب الرحّل يُطردون نحو الأراضي الأسوأ ، ويُحرمون من الأراضي والمراعي . وتستخدم الامبريالية زمام القيادة السياسية منها والاقتصادية ، لاستثمار الجماهير الشعبية العربية بلا شفقة .

تستند الامبريالية في اضطهاد واستثمار الشغيلة على الزمر الملكية - الرجعية ، وعلى الملاكين المشايخ الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين ، وعلى البرجوازية المحلية من الكومبرادور ، وعلى المراتب العليا من رجال الدين . إن الميزة المشتركة والحاسمة بالنسبة للنظام الزراعي للبلدان العربية يكمن بالضبط في أن القسم الأعظم من الأراضي ومن الماشية ومن المراعي التي لم يستول عليها بعد الملاكون العقاريون الأجانب ، والمزارعون الكبار ، والبنوك والمستوطنون المعمرون أو الدولة ، هي بين أيدي الملاكين الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين والرؤساء الدينيين . إن الفلاحين والرُحَّل يخضعون لأبشع أشكال الاستثمار الاقطاعي (الخُمْس ، والاتاوات) . ويزدهر الربى على نطاق واسع على صعيد الاستثمار الاقطاعي للفلاحين في ظروف نمو العلاقات البضاعية والنقدية وعلى صعيد النهب الامبريالي للاراضي وتفكك القبائل ونهب أراضي القبائل من قبل الملاكين العقاريين ونظام الحكم الكولونيالي الامبريالي ، وابعاد البدو عن المراعي .

إن الضرائب الباهظة جداً التي لا زالت تُجبى جزئياً بالشكل العيني (العُشر في سوريا وفي فلسطين، الخ . . .) تشكل عبئاً ثقيلاً يضاف إلى الوضع الذي لا يحتمل أساساً بالنسبة للجماهير الفلاحية الرئيسية . إن المناطق المختلفة في البلدان العربية هي على مستويات مختلفة من النمو الاقتصادي وصراع الطبقات . ففي سوريا وفلسطين ومصر يتوحّد النضال من اجل الاستقلال الوطني والوحدة القومية للشعوب العربية على أساس سلطة وطنية ، بصورة لا مفر منها ، مع النضال من أجل الثورة الفلاحية - الزراعية الموجهة ضد الغزاة الامبرياليين وعملائهم (الصهاينة في فلسطين) وضد الملكية الاقطاعية المحلية . وفي العراق لا

زالت باقية الملكية الاقطاعية للقبيلة والعشيرة، وهي هدف لغزو شركات المزارعين والشرائح الاقطاعية العليا والبرجوازية التجارية المحلية الذين يعملون تحت اشراف الامبريالية . إن مركز نقل الحركة الفلاحية ، هنا ، هو في تعبئة الجماهير الشعبية في النضال ضد الناهبين ، على أساس النضال ضد الامبريالية والمتواطئين معها مباشرة . وهذا ينطبق إلى درجة كبيرة على بلدان مثل طرابلس ومراكش حيث لا زالت الكتلة الأساسية من السكان مرتبطة بحياة البداوة وبالنظام الاقطاعي والعشائري ، وحيث لا تستطيع المدن أن تمارس تأثيراً ثورياً . وفي شمالي الجزائر توجد سيطرة كولونيالية مترسخة إلى هذا القدر أو ذاك ، تكمن في استثمار وحشي للسكان المحليين المستقرين ، وفي نمو هام نسبياً للمدن وللعلاقات الرأسمالية . أما في جنوبي الجزائر فلا زالت توجد قبائل من الرحل لم يتم إخضاعها بعد من قبل الامبريالية الفرنسية . ففي أغلب الأحيان لا يبدأ الفلاحون بالتشكّل كقوة مستقلة ، ضمن الشروط الاجتماعية والاقتصادية المتأخرة ، إلا في عملية تفكك المشاعة شبه البدائية والعشيرة . فمما لا غنى عنه مطلقاً أن يؤخذ في الحسبان بدقة التنوّع الملموس لهذه الشروط من اجل طرح دقيق لمسألة العلاقات بين الثورة المعادية للامبريالية والثورة الفلاحية - الزراعية للشعوب العربية . على الأحزاب الشيوعية والمجموعات الشيوعية في البلدان العربية أن تولي دراسة هذه الشروط اهتماماً خاصاً لكي تستخدم هذه الدراسة بما يتوافق ومصالح النضال الثوري .

٣ - واتسع النضال التحرري ليشمل سائر البلدان العربية ، من أجل تحرير الشعوب العربية من النير الاستعماري والقضاء عليه ، النير الذي تثقل وطأته كاهل مختلف البلدان ، حسب درجة نموها ، بالاشكال الأكثر تنوعاً .

في مراكش وجنوبي الجزائر كما في طرابلس يتراجع نضال التحرر إلى انتفاضات القبائل بلا توقف تقريباً ضد الامبريالية الفرنسية والايطالية والاسبانية . في تونس توصل حزب «الدستور» لأن يكون على رأس الحركة المعبرة عن غضب الجماهير ، وترك هذه الحركة دون قيادة . وفي مصر ، يتميز النمو الجاري بعد الحرب بالسير بشكل موجات متلاحقة من النضال الوطني الذي وصل مرات عديدة إلى درجة انفجارات استياء جماهيرية . في سوريا قُمعت الانتفاضة المسلحة سنة ١٩٢٥ وها أن موجة جديدة من النضال المعادي للامبريالية نهضت سنة ١٩٢٩ . وفي فلسطين وصل الغضب الجماهيري ضد الامبريالية البريطانية ووكيلتها ، الصهيونية المضادة للثورة ، وأدى أكثر من مرة ، إلى حركات مسلحة موجهة ضدهما . وفي العراق لا تهدأ الحركة الوطنية ضد الانتداب البريطاني . وفي نضال الوهابيين ، الذي جرى

تحت رداء ديني ، وُجد بعض عناصر الكفاح ضد الامبريالية البريطانية وعملائها .

الواقع المميز لكل هذه الحركات ، هو إنها قد أثارت صدى حاراً وعطفاً في كل الشرق العربي . فرغم الحدود المصطنعة للدول ، ورغم الانقسام الاقطاعي ، ورغم أن الحركة كانت موجهة ضد الامبريالية الانكليزية تارة وتارة ضد الامبريالية الفرنسية أو ضد الامبريالية الايطالية أو الاسبانية ، كان النضال الوطني الذي يجري في بلد عربي يلاقي هذا الصدى أو ذاك في كل البلدان العربية من فلسطين حتى مراكش .

إن طموح الجماهير الشعبية العربية إلى الوحدة القومية ضمن حدود للدول تقام ، ليس حسب تعليمات الامبريالية ، بل على أساس القرار النابع من هذه الجماهير ذاتها والمتخذ بحرية والمرتبط بلا فكاك بطموحها للتخلص من نير الامبريالية الانكليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية . إن الجماهير الشعبية العربية تشعر أنه يتوجب عليها ، من أجل إلقاء نير الامبريالية ، أن توحّد جهودها في ما هو مشترك بينها من وحدة اللغة والشروط التاريخية ، واضعة نصب عينيها عدوها المشترك . أن تلاحم هذه الجماهير في النضال الثوري ضد الامبريالية واتساع نضالها هذا ، يظهران أنه تتوفر لدى الشعوب كل الشروط التي لا غنى عنها من أجل إزالة النير الامبريالي ، والحصول على الاستقلال الوطني وخلق دول عربية تتمكن بعد ذلك ، على أساس قرار متخذ بحرية ، أن تتوحد على أسس فدرالية .

٤ ـ إن تحويل البلدان العربية إلى مكمل زراعي وإلى مصدر مواد أولية للبلد المسيطر (المتروبول) . والتنوع الكبير للتشكيلات الاقتصادية ، تؤدي إلى أن تشكل طبقات المجتمع الرأسمالي ونمو عناصر سلطة الدولة الوطنية يجريان ببطء شديد وتفاوت عميق . إن الامبريالية تستخدم هذا الظرف بصورة كاملة لمصلحتها الخاصة وذلك بتجميع العناصر الرجعية والاقطاعية تحت قيادتها وببذل جهدها لتجعل من البلدان العربية نقاط ارتكاز قوية لسياستها الامبريالية القائمة على العدوان والفتح . إن الامبريالية البريطانية خصوصاً تستخدم سيطرتها على العراق وفلسطين ومصر لحماية طريق الهند وللتحضير للحرب ضد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ولبسط نفوذها في الجزء الشرقي من البحر المتوسط . وتجهد الامبريالية الفرنسية لتحويل السكان العرب في مستعمراتها إلى غذاء لمدافع حربها الامبريالية القادمة وتدخلها ضد الاتحاد السوفياتي . إن الشرائح العليا الزراعية ـ الاقطاعية والاقطاعية في كل المناطق ذات السكان المستقرين قد انحازت إلى جانب الامبريالية بصورة نهائية بهذا القدر أو ذاك . إن الاصلاحية ـ القومية تسود في صفوف البرجوازية العربية والملاكين العقاريين الذين ارتبطوا بها . وهي تتخذ طابعاً مضاداً للثورة واستسلامياً يزداد

بروزه . إن البرجوازية والعناصر البرجوازية ـ الزراعية عاجزة عن خوض نضال ثوري ضد الامبريالية ويزداد ميلها باستمرار نحو اتفاق معها ، مضاد للثورة ، في أطر التنازلات المحدودة وشبه ـ الدستورية ـ الكاذبة التي لا تصلح إلا لاخفاء السيطرة الامبريالية . إن حركة صيف ١٩٣٠ الجماهيرية في مصر قد كشفت بوضوح دور خيانة الوفد ، الذي تخلى عن شعار «الاستقلال» ويحاول الحصول على دستور فقط ، والذي يخشى من يقظة الجماهير الفلاحية أكثر من الاستسلام النهائي أمام الامبريالية . (أنه يقبل بعقد اتفاقية انكلو ـ مصرية) . ويقتصر موقف «الكتلة الوطنية» في سوريا على لعب لعبة المعارضة بالتخلي التام عن كل عمل ثوري وعن كل نضال حقيقي . إن عدداً من قادة انتفاضة ١٩٢٥ السابقين هم في الوقت الحاضر مستكينين عند أقدام الجنرالات الفرنسيين . وتتهيأ «الكتلة الوطنية» لعقد حلف مع المضطهدين الفرنسيين . وفي فلسطين دخلت اللجنة التنفيذية العربية في طريق الخيانة بتنافسها مع الصهيونية للحصول على تنازلات من الامبريالية البريطانية مقابل «هدوء» الجماهير الشعبية العربية . إن القومية ـ الاصلاحية تصبح أكثر فأكثر مضادة للثورة واستسلامية . وبمقدار ازدياد استياء وغضب الجماهير الشعبية ، خاصة تحت تأثير الأزمة الزراعية والأزمة الصناعية العالمية ، لا تعود القومية ـ الاصلاحية تصطدم بصورة كافية ، في خيانتها للمصالح القومية ، بمقاومة جماهير الفلاحين والعمال العرب الذين لم يتعلموا بعد بصورة كافية كيف ينتظمون لمواجهة الاصلاحية البرجوازية والبرجوازية ـ الزراعية ، ببرنامجهم الثوري . في العراق يلجأ الحزب الوطني إلى عصبة الأمم وهو فعلياً يمتنع عن خوض النضال ضد الغزاة الانكليز ، مكتفياً فقط بالعبارات الطنانة . في تونس دخلت بقايا «الدستور» في أخدود الامبريالية الفرنسية . في الجزائر لا تتطلب القومية ـ الاصلاحية البرجوازية ـ الزراعية سوى بأن يُعترف للعرب بالحقوق المدنية الفرنسية . إن القومية ـ الاصلاحية البرجوازي والبرجوازية ـ الزراعية لا تقف في وجه السيطرة الامبريالية إلا في الحدود التي تخدم المصالح الاستثمارية للبرجوازية وللمالكين الزراعيين المحليين . إنهم يريدون أن يستثمروا بأنفسهم جماهير العمال والفلاحين . غير أنهم يخونون على المكشوف المصالح الوطنية العامة ويساعدون الامبريالية في نضالها ضد الجماهير الشعبية ، نظراً لكون مصالحهم المباشرة كمستثمرين ، وخاصة في ظروف الأزمة والضغط الامبريالي على المستعمرات ، تدخل في تناقض مع المصالح الوطنية العامة . إن الطبيعة المضادة للثورة والخائنة للقومية ـ الاصلاحية لا زالت أبعد من أن يسلط عليها الضوء في نظر الجماهير الواسعة من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن . والاصلاحية في البلدان العربية لا تخرج عن حدود الدول التي رسمتها الامبريالية والتي تقسم الشعوب العربية

بصورة مضطنعة . فهي تستسلم أمام الأنظمة الملكية الاقطاعية التي تشكل أدوات للامبريالية وترفض النضال ضد الامبريالية على مستوى العالم العربي ككل . إن الصفة المميزة للمرحلة الحالية تكمن فيما يلي :

في حين أن القومية ـ الاصلاحية في كل البلدان العربية تستسلم على المكشوف أمام الامبريالية ، تدخل جماهير العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن ، في مجرى النضال بعزم متزايد من أجل مصالحها الجوهرية ، في مجرى نضال الانعتاق القومي . وواقع بقاء القومية ـ الاصلاحية المضادة للثورة غير مكشوفة بما فيه الكفاية في نظر هذه الجماهير ، يهدد بالعواقب الأكثر خطورة ، لأن ذلك يسهل خيانات جديدة مضادة للثورة وضربات غير متوقعة . يجب الآن أكثر من أي وقت مضى مواجهة القومية ـ الاصلاحية المضادة للثورة والاستسلامية بالجبهة الثورية على النطاق العربي والمعادية للامبريالية جبهة الجماهير الواسعة من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن ، الجبهة التي تستند على نمو الحركات العمالية والفلاحية وتستمد منها قواها .

٥ ـ لقد لعبت الطبقة العاملة في بلدان عربية مختلفة ، ولا زالت تلعب ، دوراً متزايداً على الدوام في النضال من أجل التحرر الوطني (مصر ، فلسطين ، العراق ، الجزائر ، تونس ، الخ . . .) . وفي بلدان مختلفة بدأت تتكون المنظمات النقابية أو تعاد إقامتها بعد تحطيمها ، ولو أنها في أكثريتها لا تزال في أيدي القوميين ـ الاصلاحيين . فالاضرابات والمظاهرات العمالية والمشاركة النشيطة للجماهير العمالية في النضال ضد الامبريالية وبعض فئات الطبقة العاملة التي تبتعد عن القوميين ـ الاصلاحيين ، كل ذلك يشير إلى أن الطبقة العاملة العربية الشابة قد دخلت في طريق النضال لتأدية دورها التاريخي في الثورة المعادية للامبريالية والثورة الزراعية وفي النضال من أجل الوحدة القومية . وقد تم تكوين احزاب شيوعية أو أنها في طور التشكيل في بلدان مختلفة .

إن الأزمة الصناعية والزراعية العالمية تطال بشكل أو بآخر كل البلدان العربية ، وقد وجهت ضربة قاسية للجماهير العمالية والفلاحية . فتخفيض الأجور والبطالة يجعلان من مستوى حياة البروليتاريا ، البائس أصلاً ، أكثر تهافتاً ، ويدفعانها في طريق الصراع الطبقي الثوري . إن الفلاحين الفقراء والمتوسطين الذين يسيرون في طريق الخراب ، والعمال ، يعانون من بؤس لا مخرج منه ويفقدون عملهم . كما أن ممثلي السكان الفقراء في المدن والفئات العريضة من البرجوازية الصغيرة يتحسسون نير الامبريالية الآن أكثر بكثير مما في الماضي ويبدأون بالنهوض إلى النضال من اجل الانعتاق القومي . فالامبريالية تجهد لتسقط

على كاهلهم كل عواقب الأزمة وجعلهم يدفعون كل التكاليف . إن الموجة الجديدة من غضب الفلاحين ضد الادعاءات التي لا تطاق المقدمة من قبل الملاكين العقاريين والمرابين وعملاء الامبريالية ، تميل إلى الانصهار مع نضال العمال من أجل كسرة خبز ، ومع الاحتجاج ضد النير الامبريالي . انها ترتبط بالنضال من اجل الوحدة القومية والاستقلال الوطني لكل البلدان العربية التي مزقها ثعالب الرأسمال الانكليزي والفرنسي والايطالي والاسباني . في هذه الظروف يشكل نضال الجماهير العربية المتزايد ضد الامبريالية ، إلى جانب النضال الثوري في الصين والهند والهند الصينية الخ . . . . في أميركا اللاتينية وافريقيا السوداء ، العامل الأكثر أهمية في أزمة مجمل النظام الكولونيالي الامبريالي .

إن المهمة المباشرة والملحة للأحزاب الشيوعية ، في سوريا وفلسطين ومصر ، حيث تكونت بهذا القدر أو ذاك الحركة العمالية الطبقية ، وحيث تشكلت أحزاب شيوعية ، وحيث بلغت الحركة الفلاحية درجة عالية من النضج ، وحيث لا يمكن تصور النمو اللاحق للنضال ضد الامبريالية دون نضال منسجم ومنظم ضد القومية ـ الاصلاحية ، هي مهمة بناء عملها في وجهة الثورة الفلاحية ـ الزراعية المعادية للامبريالية والمعادية للاقطاعية .

إن قلب النير الامبريالي ، ومصادرة جميع الامتيازات الأجنبية والمؤسسات والانشاءات والمزارع وغيرهما من امتيازات الامبرياليين ، والاستقلال الوطني والدولي التام (يضاف إلى ذلك إزالة نظام الحكم الملكي في مصر) ومصادرة كل الملكية العقارية من الاقطاعيين الريفيين والمعمرين والنهابين ، الملكية القائمة على استثمار عمل الغير . وجعل يوم العمل من ثماني ساعات ، والضمانات الاجتماعية للعمال على حساب الرأسماليين وحرية تنظيم الشغيلة والحكومة العمالية الفلاحية والنضال من أجل انعتاق الشعوب العربية واتحادها الحر ـ هذه هي المطالب الرئيسية التي تحدد محتوى الثورة المعادية للامبريالية والمعادية للاقطاعية .

على هذا الأساس يجب إقامة الخط الفاصل عن القومية ـ الاصلاحية والنضال ضدها ، وكمطلب جزئي يجب الاصرار على : تقصير يوم العمل إلى ثماني ساعات ، وزيادة الأجور والتأمين ضد البطالة على حساب الرأسماليين وحرية المنظمات العمالية والفلاحية ، والغاء ديون الفلاحين والفقراء والمتوسطين للمرابين والملاكين العقاريين والبنوك ، ووقف دفع ثمن المزارعة ، وسحب كل قوات الامبرياليين المسلحة والاستفتاء الحر حول مسألة تقرير مصير الدولة الحر . (في مصر حول الملكية والمعاهدة الانكلو ـ مصرية ، في سوريا وفلسطين حول انتداب عصبة الأمم) . وفي البلدان الأكثر تأخراً مثل العراق وتونس وطرابلس ومراكش يتوجب على المجموعات الشيوعية الموجودة هناك أن تبذل الجهد لتنظيم وتكوين

الحركة المعادية للامبريالية المتنامية التي تظهر بصورة عفوية ، وربطها بالنضال ضد الفئات العليا من الاقطاعيين والرجعيين وضد القومية ـ الاصلاحية ، بربطها بنضال العمال والفلاحين في سبيل حاجاتهم اليومية . وفي الجزائر ، المستعمرة الفرنسية المستعبدة تماماً . ينبغي تركيز النشاط على تطوير نضال العمال العرب وتنظيمهم ضد الجور والمجاعة وشروط العمل في المستعمرات وأيضاً على النضال ضد نهب أراضي العرب من قبل المستعمرين . إن الشعارات التي ينبغي أن توحد كل الفلاحين العرب في النضال المعادي للامبريالية يجب أن تكون :

١ ـ لنطرد الامبريالية من البلدان العربية .

٢ ـ الاستقلال الوطني والدولي التام للبلدان العربية ، الحرية لهذه الشعوب في تقرير نظام الدولة وتثبيت حدودها .

٣ ـ الاتحاد الحر للشعوب العربية المتحررة في أطر اتحاد عمالي وفلاحي للشعوب العربية على أساس تحالف الطبقة العاملة والسكان الكادحين في المدن والفلاحين الشغيلة .

يمكن ويجب اطلاق شعار الاتحاد العمالي والفلاحي للشعوب العربية ، ليس في اتجاه أن تشرط الطبقة العاملة مشاركتها في النضال من أجل التحرر الوطني المعادي للامبريالية بالانتصار المباشر للطبقة العاملة والجماهير الفلاحية الأساسية . يجب فهم ذلك هكذا : إن البروليتاريا ، مع مواصلتها النضال من أجل التحرر الوطني بأقصى حد من الحزم والمثابرة ، ومهما كانت الظروف ، تشرح للجماهير في الوقت نفسه ، إنه لا يمكن انتزاع الاستقلال الوطني الراسخ ، بدون ثورة زراعية ـ فلاحية ، وبدون إقامة حكومة عمالية ـ فلاحية ، في البلدان العربية الأكثر تطوراً على الأقل . (سوريا ، فلسطين ، مصر ، الجزائر) .

إن الأحزاب الشيوعية لن تتمكن من جعل الجماهير العمالية الواسعة تسير وراءها ضد البرجوازية ، والجماهير الفلاحية ضد الامبرياليين والغزاة والملاكين العقاريين والمرابين ، لن تتمكن من كسب دعم السكان الفقراء في المدن والجماهير البرجوازية ـ الصغيرة إلا عندما تكون في الوقت نفسه محركة ومنظمة النضال ضد الامبريالية ومن أجل التحرر الوطني للشعوب العربية . إن هيمنة الطبقة العاملة لا يمكن أن تتحقق بدون نضال البروليتاريا الصلب من أجل الاستقلال الوطني للعرب وحريتهم القومية .

من واجب الشيوعيين خوض النضال من اجل استقلالهم الوطني ووحدتهم القومية ليس فقط ضمن الحدود الضيقة والمصطنعة التي خلقتها الامبريالية ومصالح الأسر المالكة في

كل بلد عربي ، بل أيضاً على النطاق العربي من أجل الوحدة القومية للشرق كله .

إن الحركة الثورية المضادة للامبريالية يجب أن تجد قوتها وتكتسب اتساعاً ثورياً حقيقياً وتصبح مركز جذب لأوسع الجماهير ، بتصفية الحدود المصطنعة . وهذا سيسهل أيضاً النضال ضد التأثير الرجعي لرجال الدين . لا يمكن أن يحدث انفجار في الحركة الثورية المضادة للامبريالية في مصر وفلسطين أو في أي بلد عربي آخر ، بشكل منعزل ودون دعم البلدان العربية الأخرى .

إن الأحزاب الشيوعية مدعوة لتصبح منظمة النضال من أجل التحرر الوطني ومن أجل الثورة المضادة للامبريالية على النطاق العربي .

إن الموقف تجاه الجماعات القومية الثورية البرجوازية الصغيرة التي تخوض النضال ضد الامبريالية ، ولو بتذبذب كبير ، يجب أن يتحدد بالقاعدة التالية : السير على حدة والضرب معاً . ومن الممكن لتحقيق هذا الهدف إقامة نوع من الاتفاق المؤقت معها من أجل عمل محدد ، وحتماً مع نقد تردداتها ونقص روح المثابرة لديها ، ومع الاحتفاظ بكامل الاستقلالية الايديولوجية والتنظيمية للحركة الشيوعية . يجب على الأحزاب الشيوعية أن تبذل الجهد لتكسب إلى جانب النضال المضاد للامبريالية ، ليس العمال والفلاحين وحسب ، بل أيضاً الفئات العريضة من البرجوازية الصغيرة في المدن . يجب على الأحزاب الشيوعية ، مع أخذها بالحسبان لكل الشروط الملموسة للنضال ، ان تتذكر أن التناقضات المتعاظمة بين الامبرياليين ، التي تؤدي حتماً إلى الحرب العالمية ، تخلق ميداناً مؤاتياً على الخصوص لاندفاعة جديدة نحو الحركة الوطنية الثورية العربية . إن الموقع الستراتيجي للبلدان العربية ورغبة الامبرياليين في استخدام الشعوب العربية كطعام للمدفع في الحرب العالمية الجديدة من أجل تدخل موجّه ضد اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، كل ذلك يعطي أهمية خاصة لنضال الجماهير الشعبية العربية المضاد للامبريالية .

٦ ـ مع الاشارة إلى ضرورة تطبيق قرارات الحزب السابقة المتعلقة بمهمات الشيوعيين في كل بلد عربي ، نؤكد أن من أجل تشديد نشاط الشيوعيين في كل البلدان العربية من الضروري اتخاذ الاجراءات الضرورية التالية :

١ ـ تطوير حملة واسعة جماهيرية قائمة على أهداف ومهمات حركة الانعتاق القومي المضاد للامبريالية ، مع التوفيق بينها وبين المهمات الآنية لحركة العمال والفلاحين في البلدان المعنية .

في خوض النضال من أجل قلب نير الامبريالية في كل بلد يجب ربط هذا الشعار بالنضال من اجل تقرير المصير الوطني الحر للشعوب العربية : في هذا المضمار يقوم الشيوعيون بالتحريض لصالح الوحدة القومية بشكل اتحاد عمالي ـ فلاحي على النطاق العربي .

٢ ـ من الضروري بهذا الهدف تنظيم لقاءات جماهيرية واجتماعات في الهواء الطلق ، واذا لزم الأمر ، مظاهرات ، وطبع مناشير خاصة ، وتشكيل لجان نضال ومبادرات مضادة للامبريالية ، من ممثلي الفبارك والمصانع والقرى والسكان الشغيلة في المدن .

٣ ـ إقامة اتصال أكثر انتظاماً وأكثر ثباتاً من أجل تبادل التجربة وتنسيق العمل ، في البداية بين الأحزاب الشيوعية في مصر وسوريا وفلسطين وشيوعيي العراق ، دون أن يغيب عن النظر كسب شيوعيي طرابلس وتونس ومراكش والجزائر إلى هذا التعاون فيما بعد ويجب ، من جهة ، اتخاذ اجراءات ملحة لتنظيم وتجميع الشيوعيين في الجزائر وتونس ومراكش ، ومن جهة ثانية ، التوجه بعد ذلك نحو تحويل منظمات هذه البلدان إلى احزاب شيوعية مستقلة .

كونفرانس ممثلي الحزب الشيوعي في سوريا (ـ ولبنان) والحزب الشيوعي في فلسطين .

وثائق غير منشورة

I - SOURCES

A - Archives du Ministère des Affaires Etrangères (Paris) 1918 - 1929 Serie (Syrie - Liban - Cilicie) no vol:
36 - 38 - 43 - 56 - 57 - 58 - 212 - 214 - 215 - 262 - 264 - 278 - 400

B - Archives du Foreign Office de 1936 a 1946 Série (Syrie - Liban) :

F.O. 226 Documents :
233 - 234 - 235 - 239 - 240 - 241 - 242 - 244 - 245 - 247 - 248 - 249 - 250 - 257 - 258 - 265 - 266 - 269 - 270 - 276 - 278.

F.O. 371 Documents :
20065 - 20066 - 20848 - 20849 - 20850 - 21914 - 21915 - 24591 - 27367 - 27368 - 27369 - 40120 - 45361 - 45365 - 45367 - 52492 - 52493 - 52499 - 52500.

C - Archives Société des Nations (Genève):

Série (Syrie - Liban)

Archive 1933 - 1940, registry 6A (3059) , N 1969 .

Pétition: et télégrammes adressés par des Libanais et Syriens au Comité Permanent du Mandat :

n 1776 8 mars 1936 .
n 1776 10 mars 1936 .
6A (4892) n 1469 / 24 12 mars 1936.
n 1469 / 13 mars 1936
6A (4892) n 1469 17 avril 1936.
n 1855 27 avril 1936 .
n 1955 12 octobre 1936 .
n 1955 22 octobre 1936.
n 1955 25 octobre 1936 .
n 1955 3 novembre 1936 .
n 1955 6 novembre 1936 .
n 1955 12 novembre 1936 .
n 1955 13 novembre 1936 .
n 1955 23 novembre 1936 .
n 1957 4 decembre 1936 .

n 1959 15 mai 1937 .
n 2037 7 juin 1937.
n 2052 3 novembre 1937 .
n 2049 22 novembre 1937 .
n 2041 8 juin 1938 .
Journal Officiel de la S.D.N.

III - DOCUMENTS OFFICIELS (Pouvoirs Publics) .

A - Documents français :

- Assemblée Nationale Française: Comission des Affaires Etrangèrs, séance du 8 Juillet 1936.
- Délégation Genérale de la France libre au Levant, service d'information et de radio - diffusion:
  Courrier de Levant , (Bulletin hebdomaire d'information) (1942—1945) .
- Documents diplomatiques française 1932 - 1939, imprimerie nationale, Paris.
- France : organe des Français libres du Proche - Orient.
- Georges Bidaut : exposé fait à l'Assemblée Consultative, le 15 Juin 1945 sur les affaires du Syrie et du Liban (B.D.I.C) Université de Nantèrre.
- Journal Officiel Français.
- M.A.F.E.
  1 - Rapport anneel à la S.D.N concernant (Syrie - Liban) (1926 - 1938)
  2 - Service d'information) et de presse : Revue de la presse Libanaise et syrienne 1945 (B.D.I.C) université Nantèrre
- Ministère de l'information française, direction des informations, 27 Aout 1945 hors.

وثائق لبنانية رسمية

١- الدستور اللبناني لعام ١٩٢٦

٢- وزارة الانباء اللبنانية : قضية الحزب القومي بيروت ١٩٤٩ .

3 - Lègation du Liban a Paris, service de presse en 1945 (B.D.I.C) universite Nantèrre.

مراجع اجنبية

1 - **Amine, Moustapha:** Le developpment des partis politiques en Syrie entre 1936 et 1947 . Thèse droit Paris 1950 .
2 - **Bruneau, André:** Tradition et politique de la France au Levant thèse droit 1931 Paris .
3 - **Couland, Jaques:** Le mouvement syndical au Liban 1919-1946 Paris 1970 .
4 - **General Catroux :** Dans la bataille de la mediterranée 1940-1944 Paris 1949 .
5 - Comité franco -britanique note et question au comité de londres le 21 Janvier 1946 .
6 - **General de Gaulle :** Memoires de guerre TomeII Paris 1973 .
7 - **Fabre, Alferd:** Deuil au levant Paris 1950 .
8 - **Furon, Raymond:** Le proche-orient (Syrie , Liban , Jordanie , Iraq ...) Paris 1957 .
9 - **Gemayel, Pierre:** Connaissance des Kataebs Beyrouth 1948 .
10 - **George, Lucien et Makdessi, Toufic:** Les partis Libanais en 1959 éditions L'orient Al Jarida . Beyrouth , .
11 - **Hobieka, Pierre:** S.E. Emile Eddé imp ,catholique Beyrouth 1938 .
12 - **Homet, Marcel:** Histoire secrete du traité franco-syrien Paris 1938 .
13 - **Jung, Eugene:** - L'islam et L'Asie devant l'imperialisme Paris 1927 .
14 - La revolte arabe deux tomes Paris 1925 .
15 - **Lammens :** La syrie imp catholique Beyrouth 1921
16 - **Lapierre, Jean:** Le mandat francais en syrie Paris 1936
17 - **Malzac. M :** L'emigration Syro - libanaise en Amerique du Sud (CHEAM) 409 le 12 Juillet 1939.

18 - **Maalouf Rouchdi:** Le parlement model Beyrouth 1943 .
19 - **Mourkos Michel :** La vie éléctorale au liban 1843-1970 Beyrouth 1970
20 - Note sur la situation politique au levant , sans date , sans signature une seule page . bibliotheque de documentation internationale contemporaine Nantèr-re France .
21 - **Rabbath, Edmond:** La formation historique du liban politique et constitu-tionnel , Beyrouth, 1973.
22 - Unité syrienne et devenir arabe paris 1937 .
23 - **Soreljean Albert :**Le mandat français et l'expension économique thèse droit paris 1929 .
24 - **Tabbarah Bahig :** Les forces politiques actuelles au liban, thèse droit , Grenoble 1954 .
25 - **Tabet-Jaque :** Pour sauver l'entente franco-libanaise paris 1937 .
26 - **Vienot Pierre :** Le traité franco-syrien . imp .F .Jalloux , paris 1939 .
27 - **Vienot. P. et Henry Hay :** Les relations de la France et de la Syrie Mars 1939 .

جرائد باللغة الأجنبية

1 - L'humanité 1936 Paris.
2 - Libration 1945 Paris .
3 - L'ordre 1945 Paris .
4 - L' orient 1936 Beyrouth .
5 - Le jour 1936 Beyrouth .
6 - Le monde 1945 Paris .
7 - Le temps 1919 Paris.
8 - Le populaire 1936 Paris .
9 - La syrie et le proche orient 1943 Paris .
10 - La societe statistique 1945 Paris .

مجلات باللغة الأجنبية

1 - Revue Asie francaise Paris .
3 - Archive contemporaines de documentation internationales (Pharos) . Paris .
4 - Correspondance d'orient Paris .
5 - Revue des deux mondes Paris.
6 - Revue de la France Paris .
7 - Revue du liban et de i'orient mediterranée Paris. .
8 - Revue du liban et de l'orient arabe . Paris .
9 - Revue internationale communiste Paris .
10 - Revue lavoix du liban Paris .
11 - Revue de la tribune des nations Paris .
12 - Revue enterre d'islam (Alger) .

13 - Revue la nation arabe (Genève).
14 - Revue oriente moderno (Italie) .
15 - Revue internationale du travail (Genève).

مراجع باللغة العربية

١ ـ **السعيد، أمين**: أسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين دار الكتاب العربي بدون تاريخ للطباعة.

الثورة العربية الكبرى مطبعة عين البابي الحلبي مصر بدون تاريخ.

٢ ـ **الحكيم، يوسف**: سوريا والعهد الفيصلي دار النهار للنشر طبعة ثانية ١٩٨٠

٤ ـ **الخوري، بشارة**: حقائق لبنانية ثلاث اجزاء بيروت ١٩٦٠.

٥ **الخوري، اسقف خليل**: مؤامرة على الدين والوطن الحزب السوري القومي المطبعة الكاثوليكية بيروت طبعه ثانية ١٩٣٦.

٦ ـ **الخردي، محمد شاكر**: العرب في طريق الاتحاد دمشق ١٩٤٧.

٧ ـ **الجسر، باسم**: ميثاق ١٩٤٣ بيروت ١٩٧٨.

٨ ـ **الجميل، بيار**: لبنان بين واقع ومرتجى بيروت ١٩٧٠.

٩ ـ **العياشي، غالب**: الايضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان مطابع الأشقر بيروت ١٩٥٥.

١٠ ـ **الحلو، يوسف خطار**: صفحات من مراحل التأسيس في تاريخ الحزب الشيوعي اللبناني جريدة النداء ٥ كانون الأول ١٩٨٧.

١١ ـ **الصلح، عادل**: حزب الاستقلال الجمهوري من المقاومة الوطنية أيام الانتداب الفرنسي دار الطليعة ١٩٧٠ بيروت.

١٢ ـ **الصلح، كاظم**: مشكلة الاتصال والانفصال في لبنان بيروت ١٩٣٦.

١٣ ـ **العظم، خالد**: مذكرات ثلاث اجزاء الدار المتحدة للنشر بيروت ١٩٧٣.

١٤ ـ **الدحداح، ادوار**: سياسة لا وجدان بحث في استقلال لبنان مطبعة زنكغراف طبارة بيروت ١٩٢٦.

١٥ ـ **أيوب. س**: الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ١٩٢٢ ـ ١٩٥٨ منشورات دار الحرية

بيروت ١٩٥٩ .

١٦ - **الياس، جوزف**: تطور الصحافة السورية في مائة عام ١٨٦٥ / ١٩٦٥ بيروت ١٩٨٣ .

١٧ - **الكتلة الاسلامية** : مذكرة إلى رئيس الجمهورية اللبنانية في ٢٠ تموز ١٩٤٢ .

١٨ - **الموصلي، عاصم** : الحزب حرب العروبة ومؤامرة على سوريا بدون تا يخ .

١٩ - **المحافظة، علي**. العلاقات الانكليزية الأردنية بيروت ١٩٧٣ .

٢٠ - **عليا الصلح وناصر الدين النشاشيبي** : عندما دخلوا التاريخ دار الثقافة بيروت ١٩٥٨ .

٢١ - أعمال الوفد الفلسطيني السوري من أيار ١٩٢٢ إلى تشرين الأول ١٩٢٢ القاهرة كانون الثاني ١٩٢٣ المطبعة السلفية بمصر .

٢٢ - اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني : تقرير إلى جمعية الأمم حول الحالة السياسية والاقتصادية في سورية مطبعة الشباب مصر ١٩٣٣ .

٢٣ - **بيهم، محمد جميل**:

- العهد المخضرم في سوريا ولبنان (١٩١٨ - ١٩٢٢) بيروت ١٩٦٨ .
- لبنان بين مشرق ومغرب (١٩٢٠ - ١٩٦٩) بيروت ١٩٦٩.
- النزعات السياسية في لبنان عهد الانتداب والاحتلال ١٩١٨ - ١٩٤٥ .

طبع في دار الأحد بيروت سنة ١٩٧٧

٢٤ - **برنس، موسى**: في بلاد ادونيس من دون تاريخ .

٢٥ - **تقي الدين، منير**: ولادة الاستقلال بيروت ١٩٥٣ .

٢٦ - **جنبلاط، كمال**: في مجرى السياسة اللبنانية بدون تاريخ للنشر .

٢٧ - **جبران، جريج**: مع انطون سعادة بيروت ١٩٧١ .

٢٨ - **حلاق، حسان**: مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨ الدار الجامعية بيروت ١٩٨١ .

٢٩ - **خليفة، عصام**: ابحاث في لبنان المعاصر دار الجيل بيروت ١٩٨٥ .

٣٠ - **خباز، حنا**: فرنسا وسوريا الجزء الأول مطبعة علم الدين مصر ١٩٢٨ .

٣١ - **خاطر، لحد**: مذكرات شاهد بيروت ١٩٥٠ .

٣٢ - **ديمتروف، جورج**: الفاشستية عدوة الشعوب أو وحدة الطبقة العاملة في النضال ضد الفاشية نقله إلى العربية نقولا الشاوي ووضع المقدمة خالد بكداش دمشق ١٩٣٧ .

٣٣ - **رياشي، اسكندر**: رؤساء لبنان كما عرفتهم بيروت ١٩٦١ .

٣٤ - **زين نور الدين زين**: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان دار النهار للنشر بيروت ١٩٧٧ الطبعة الثانية .

٣٥ - **زويا، لبيب**: الحزب القومي الاجتماعي ترجمة ومناقشة وتقديم جوزيف شويري دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٣ .

٣٦ - **زيادة، بيار**: التاريخ الدبلوماسي لاستقلال لبنان مع مجموعة من الوثائق المطبعة الأهلية بيروت ١٩٦٩ .

٣٧ - **سالم، يوسف**: ٥٠ سنة مع الناس دار النهار للنشر ١٩٧٥ بيروت .

٣٨ - **سعادة، أنطوان**:

- نشوء الامم بيروت ١٩٥١ الطبعة الثانية .
- المحاضرات العشر الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٦ .
- شروح في العقيدة بيروت ١٩٥٨ .

٣٩ - **شعيب، علي عبد المنعم**: مطالب جبل عامل ١٩٠٠ - ١٩٣٦ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٨٧ .

٤٠ - **ضعوق، توفيق فضل الله**: من وحي السبعين (١٨٨٣ - ١٩٥٣) منشورات صادر وريحاني بيروت ١٩٥٣ .

٤١ - **عبد المسيح، جورج**: يوميات بدون تاريخ للنشر .

٤٢ - **علم الدين، وجيه**: استقلال سوريا ولبنان ١٩٢٢ - ١٩٤٣ بيروت ١٩٧٦ .

٤٣ - **البطريرك عريضة، أنطون**: وطن قومي للنصارى في الشرق الأوسط . بيروت ١٩٤٥ .

٤٤ - **فاخوري، عمر**: لا هوادة بيروت ١٩٤٢ .

٤٥ - **فروخ، عمر**: من اجل الدفاع عن الوطن بيروت ١٩٤٢ .

٤٦ - **قرقوط، ذوقان**: تطور الحركة الوطنية في سوريا ١٩٢٠ - ١٩٣٩ دار الطليعة بيروت ١٩٧٥ .

٤٧ - **كوثراني، وجيه**: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠ معهد الانماء العربي الطبعة الثانية ١٩٨٧ بيروت .

٤٨ - **كفانا رياء** (كراس) بدون توقيع طبع في جونيه تشرين الأول ١٩٣٦ .

٤٩ - **لوسيان جورج ومقدسي** : الأحزاب اللبنانية بيروت ١٩٥٩ .

٥٠ - **لونغريغ هامسلي، ستيفن**: تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. دار الحقيقة بيروت ١٩٧٨. ترجمة بيار عقل.

٥١ ـ **موسى، سليمان**: الحركة العربية (١٩٠٨ ـ ١٩٢٤) دار النهار للنشر ١٩٧٧ .

٥٢ ـ **مسعد، بولس**: لبنان وسوريا قبل الانتداب وبعده الجزء الأول المطبعة السورية في مصر الجديدة ١٩٢٩ .

٥٣ ـ محضر جلسات مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٠ آذار ١٩٣٦ مطبعة الاتحاد .

٥٤ ـ مقررات مؤتمر الطوائف الاسلامية المنعقد في بيروت يوم الاثنين في ٢١ حزيران ١٩٤٣.

٥٥ ـ **نخلة، رشيد**: كتاب المنفى المكتبة العصرية بيروت ١٩٥٦ .

٥٦ ـ **ناصر الدين، علي**: هكذا كنا نكتب بيروت ١٩٥٢ .

٥٧ ـ **ناجي، أمين**: فلسفة العقيدة الكتائبية بيروت ١٩٦٦ منشورات الكتائب .

٥٨ ـ ن . **هوفها نسيان** : النضال التحرري الوطني في لبنان ١٩٣٩ ـ ١٩٥٨ مترجم بيروت ١٩٧٤ .

٥٩ ـ **وهبة، توفيق**: لبنان في حبائل السياسة دون تاريخ للنشر .

٦٠ ـ **وزارة الأنباء اللبنانية** : قضية الحزب القومي بيروت ١٩٤٩ .

٦١ ـ **يزبك، يوسف ابراهيم**: حكاية أول نوار في العالم وفي لبنان دار الفارابي بيروت ١٩٧٤ .

وثائق صادرة عن الأحزاب والمنظمات السياسية :

I الحزب السوري القومي

١ ـ رسالة جورج عبد المسيح إلى مفوضية فنزويلا المركزية في الحزب السوري القومي الاجتماعي تاريخ شباط ١٩٦٥ رقم ٣٥/٣/٣ وذلك رداً على ما كتبه عبدالله القبرصي عن تاريخ الحزب في مجلة (المجلة) التي اصدرها على حسابه في فنزويلا ١٢ صفحة .

٢ ـ كراس تحت عنوان بلاغ من زعيم السوريين القوميين إلى الرأي العام ١٥ حزيران ١٩٣٦ .

٣ ـ **جبران جريج** : مع انطون سعادة جزئين بيروت ١٩٧١ .

٤ ـ مذكرة الحزب القومي إلى المجلس النيابي اللبناني رداً على مذكرة الحزب الشيوعي بيروت ١٠ نيسان ١٩٤٥ .

٥ ـ بيان لعمدة الاذاعة في الحزب السوري القومي في ٨ أيار ١٩٤١ .

٦ ـ البرنامج السياسي للحزب القومي والذي على أساسه نال الحزب الترخيص من قبل الحكومة اللبنانية ٢ أيار ١٩٤٤ .

٧ ـ انطون سعادة من المهد إلى اللحد . كراس طبع على مطابع الاستقلال دون سنة النشر .

٨ ـ **سعادة انطون** : ● نشوء الامم بيروت ١٩٥١ الطبعة الثانية .
● المحاضرات العشر بيروت ١٩٥٦ الطبعة الثانية
● شروح في العقيدة بيروت ١٩٥٨ .

٩ ـ مذكرة الحزب السوري القومي إلى عصبة الأمم سنة ١٩٣٧ التوقيع نعمة ثابت .

١٠ ـ دستور الحزب السوري القومي الاجتماعي وقوانينه وضع في ٢١ تشرين الأول ١٩٣٤ وصنف في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٧ .

II الحزب الشيوعي اللبناني

١ ـ جريدة الانسانية ١٩٢٥ .

٢ ـ جريدة صوت الشعب ١٩٣٧ .

٣ ـ جريدة النداء .

٤ ـ **ديمتروف جورج** : الفاشستية عدوة الشعوب أو وحدة الطبقة العاملة في النضال ضد الفاشية نقله إلى العربية نقولا الشاوي وضع المقدمة خالد بكداش دمشق ١٩٣٧ .

٥ ـ مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني بشأن تنظيم العمل في ٣١ أيار ١٩٣٩ .

٦ ـ تقرير خالد بكداش أمام اللجنة المركزية تحت عنوان «الشيوعيون العرب والحركة القومية العربية» مكتب المطبوعات الشعبية دمشق.

٧ ـ مذكرة الحزب الشيوعي اللبناني بشأن الأحداث الأخيرة في ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

٨ ـ البيان الانتخابي للحزب الشيوعي اللبناني ١٩٤٣ .

٩ ـ كراس تحت عنوان «استقلال الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني» تقرير نقولا الشاوي في اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في ٢٣ تموز ١٩٤٤ .

III منظمة الغساسنة

١ ـ بيان موقع من قبل المحامي نسيم مجدلاني في ٢٥ شباط ١٩٤٤ .

٢ ـ القانون الأساسي للغساسنة مطبعة الحياة بيروت ١٩٤٤ .

٣ ـ جريدة الغساسنة ١٩٤٦ .

VI الكتلة الوطنية

١ ـ حزب الكتلة الوطنية سيرة ومواقف بيروت ١٩٧١ .

٢ ـ الكتلة الوطنية بدون تاريخ للنشر .

٣ ـ مقابلة جرت مع العميد ريمون اده في ٢٠ نيسان ١٩٧٧ في برانس أوتيل باريس .

V الكتائب اللبنانية

١ ـ **الجميل، بيار** : لبنان بين واقع ومرتجى بيروت ١٩٧٠ .

٢ ـ الكتائب اللبنانية :

● بيار الجميل في خدمة لبنان بيروت ١٩٥٠ دار الطباعة والنشر .

● تاريخ حزب الكتائب اللبنانية جزئين دار العمل للنشر ١٩٧٩ .

٣ ـ القانون الأساسي للكتائب لعام ١٩٣٨ مطبعة عازار بيروت تموز ١٩٣٨ .

٤ ـ النظام العام للكتائب ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٢ .

٥ ـ النظام الداخلي لفرق الأقاليم قرار رقم ٢٠٤ تاريخ ١٠ أيار ١٩٤٢ .

٦ ـ جريدة العمل ١٩٤٦ .

٧ ـ **Gemayel, Pierre:** connaissance des Kataebs Beyrouth 1948 .

VI النجادة

١ ـ القانون الأساسي للنجادة عام ١٩٣٧ .

٢ ـ مقابلة مع عماد الصلح ٢٣ شباط ١٩٧٨ بيروت .

٣ ـ مقابلة مع عدنان الحكيم ١٨ تموز ١٩٧٧ .

٤ ـ مقابلة مع عضو المكتب السياسي للنجادة عبدالله دموس ١٥ آب ١٩٧٧ بيروت .

٥ ـ جريدة الهدف ١٩٤٣ .

٦ ـ جريدة الايمان ١٩٤٦ .

جرائد عربية

١ ـ البيرق ١٩١٨ بيروت .

٢ ـ البشير ١٩٣٧ جريدة الجزويت في لبنان بيروت .

٣ ـ بيروت ١٩٣٦ .

٤ ـ ملحق جريدة البصير ١٩٣٦ .

٥ ـ السفير ١٩٨٤ .

٦ ـ الهدف ١٩٤٣ جريدة منظمة النجادة ١٩٤٣ بيروت .

٧ ـ الايمان ١٩٤٥ جريدة منظمة النجادة عام ١٩٤٥ بيروت .

٨ ـ الأنصار ١٩٤٤ بيروت .

٩ ـ الانسانية ١٩٢٥ جريدة الحزب الشيوعي اللبناني بيروت .

١٠ ـ الغساسنة ١٩٤٧ جريدة منظمة الغساسنة بيروت .

١١ ـ التلغراف ١٩٤٦ بيروت .

١٢ ـ العمل ١٩٤٦ جريدة منظمة الكتائب بيروت .

١٣ ـ الشعب ١٩٣٣ دمشق .
١٤ ـ النهار ١٩٣٦ بيروت .
١٥ ـ ملحق النهار ١٩٧٥ بيروت .
١٦ ـ النداء ١٩٨٧ جريدة الحزب الشيوعي اللبناني .
١٧ ـ النهضة ١٩٣٧ جريدة الحزب السوري القومي .
١٨ ـ آخر الأخبار الطرابلسية ١٩٣٦ طرابلس .
١٩ ـ سوريا المتحدة ١٩١٩ المكسيك .
٢٠ ـ صوت الشعب ١٩٣٦ جريدة الحزب الشيوعي اللبناني .
٢١ ـ لسان الحال ١٩١٩ .
٢٢ ـ ؟ ١٩٤٣ انصار الاستقلال .
٢٣ ـ ؟ ١٩٤٣ انصار الانتداب .

المجلات العربية

١ ـ اليقظة بيروت .
٢ ـ المعرض بيروت .
٣ ـ الحوادث بيروت .
٤ ـ العرفان صيدا .
٥ ـ العربي الكويت .
٦ ـ فلسطين الثورة بيروت .

تاريخ لبنان

يعالج هـذا الكتاب مرحلة مهمة من تاريخ لبنان المعاصر، مرحـلة كانت حافلـة بالصراع الدولي من أجل السيطرة على الشـرق العربي. ففيها تحركت المحاور العربية ومعهـا تفاعلت الأوضاع الداخلية حتى راحت بعض الطوائف الدينية تنزع للعب دور الأمـة القومية ضمن الدائرة الإستعمارية المرسومة لها.

لقد صدر وفرة من الكتب القيّمة والأبحـاث العلمية التي تناولت تاريخ لبنان السياسي المعاصر. لكن هذا الكتـاب يطرح آفاقاً جـديدة للبحث، ويتضمن الكثير عن تفاصيل أحداثٍ لم تنشر من قبل. وبالإستناد إلى مصـادر أجنبية وعربية جـديدة. ففي وثائق وزارة الخارجية البريطانية وكذلك في أرشيف عصبة الأمم في جنيف، الكثير مما لم ينشر عن لبنان.

يتناول الكتاب في القسم الأول منه، بروز بعض الجمعيات الطائفية التي تحمـل لواء الدعـوة إلى أمة لبنانية والبعض الآخر إلى أمة سورية. وكانت هـذه الجمعيات منقسمة الولاء بين بريطانيـا وفرنسا. وفي مقابل ذلك فريق كبير من المسلمين والأرثوذكس يحمل لواء القومية العربية ويرفع شعار الحرية.

في القسم الثاني جـرى تناول نشأة أهم الأحزاب وأنظمتها وموقعهـا السياسي في الحياة السياسية اللبنانية، والذهنيات التي ترعرعت فيها.

أما القسم الثالث، فتناول الظروف التي مهـدت لإبرام معاهدة لبنانية فـرنسية، وردّات الفعل الشعبية عليها. والموقف الرسمي الفرنسي.

وأخيراً، القسم الـرابع والخامس من الكتاب، تناولا أسرار وخفـايا الصراع البريطاني الفرنسي للإستئثار بالهيمنـة على بلاد الشرق العربي، وانعكاسات ذلك في المواثيق والوعود التي أعطيت لقادة العمل الوطني في المنطقة.